معهد علم الثقافة الشعبية
رقم جرد 765
تاريخ الوصول
رقم الترتيب
AT/A/96.3

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

فرع الأنتروبولوجيا

الموضوع :

الزاوية العلاوية

أصولها التاريخية و دورها الإجتماعي

– دراسة أنتروبولوجية دينية –

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنتروبولوجيا

إعداد الطالب:
محمد حمادي

أعضاء لجنة المناقشة :

د. عبد العالي بشير	رئيسا
د. محمد سعيدي	مشرفا و مقررا
د. محمد بشير	عضوا مناقشا
د محمد رمضان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2002 / 2003

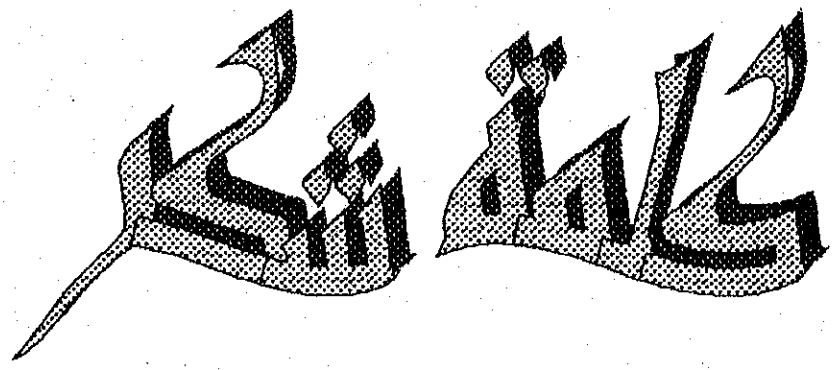

بادئ ذي بدء أتقدم بالشكر الخالص ، إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد سعيدي على المساعدة و التوجيهات القيمة التي قدمها لي رغم إلتزاماته و نشاطاته العلمية المكثفة .

كما أقدم اشكراتي إلى الأساتذة الكرام ، جرادي ، ميموني ، يوسفي ، مالكي ، العيد ، سيكوك ، شعلال ، منصوري ، بن أحمد ، و كل السادة الأساتذة المحترمين بجامعتي مستغانم و تلمسان و بمركز CRASC بوهران لمساعدتهم المعنوية سواء من قريب أو من بعيد لإنجاز هذه المذكرة .

كما أتقدم بشكري الخاص لكل الفقراء و المنتسبين للزاوية العلاوية بمستغانم و وهران و غليزان و على رأسهم الشيخ خالد لمساعدتهم القيمة و حسن الترحاب الذي قوبلت به أثناء زياراتي المتعددة للزاوية و أخص منهم بالذكر : الشيخ عدة بن تونس ، الشيخ مراد ، الشيخ يحي برقة ، السيد مولاي ، السيد العربي و القائمة طويلة . لهم مني كل تشكراتي و عرفاني .

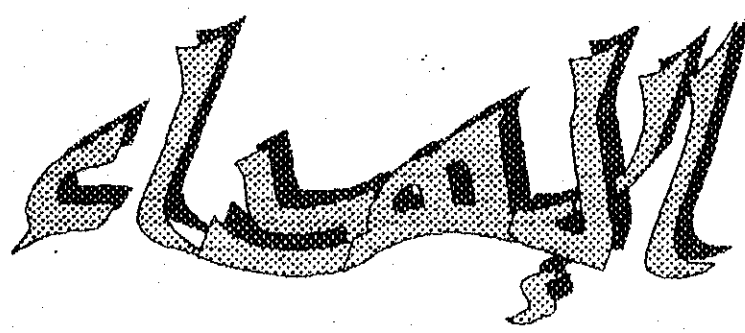

أهدي هذا العمل المتواضع :

- إلى الوالدين و إلى أرواحهما الطاهرة .
- إلى كل أفراد عائلتي : زوجتي و أولادي .
- إلى كل أقاربي .
- إلى كل أصدقائي و أشقائي الذين وقفوا سندا لي معنويا و ماديا .

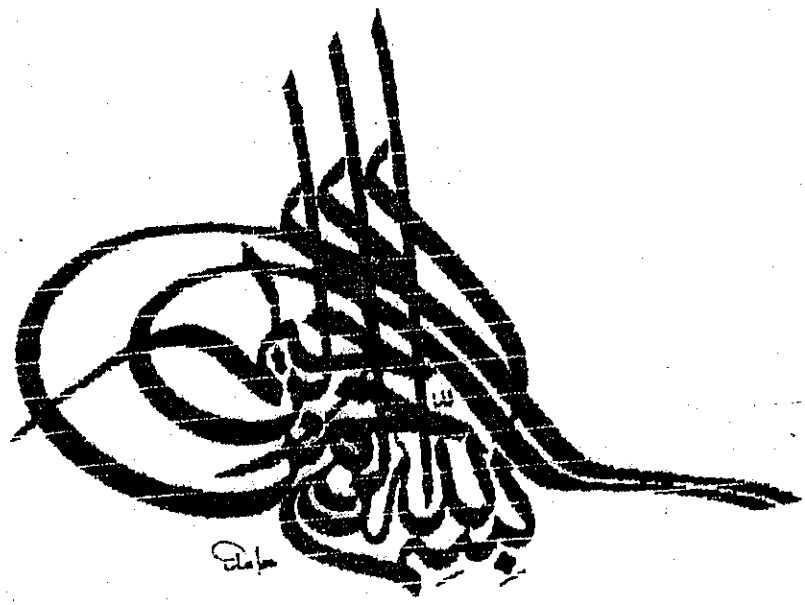

المقدمة العامة

المقدمة :

عندما نشارك بثقافتنا بكل ما تحمله من أبعاد ، فإن الهدف من ذلك هو التفاعل مع الآخر . لأن التواصل لم يعد مقتصرا بين مخاطب و مخاطب في حالة عادية ، بل انتقل إلى تواصل بين الثقافات ، أي بين منظومة من القيم و العلاقات السلوكية و المكانية و الزمانية بمنظومة أخرى تخضع لظروف و ملابسات ثقافية أخرى .

فالآخر كما يذهب George Mead هو "غير الذات" و الذي يعد من الشروط الجوهرية لإدراك الذات و هذا ما يتمثل في إعادة اكتشاف الفرد لهويته المنسية ، و اكتشاف أناه التي ضاعت في صراعه مع المادة و الآخر.

فثقافتنا بمميزاتها و خصوصياتها ، تسمح بذلك التفاعل للتعبير عن نفسها في خضم الاختلافات الثقافية من بيئة لأخرى ، و خاصة في خضم "تصادم الثقافات و الحضارات" التي أصبحت تدعو إليها بعض المجتمعات في ظل العولمة و هيمنة الأحادية القطبية Unipolarité . و من الطبيعي إن تصبح لكل ثقافة مهددة بالزوال ، في رد فعلها ، ميكانيزمات دفاع Mécanisme de défense ، من أجل الحفاظ على بقائها و استمراريتها([1]).

و لعل أهم عنصر يمكن أن نتساءل من خلاله حول مفهوم سيرورة الثقافة و فعاليتها هو مفهوم التصوف ، الذي عبرت عنه مختلف الثقافات و الحضارات الإنسانية في مختلف الفضاءات الجغرافية ، من بلاد المغرب العربي إلى الصين و من البلقان إلى الهند ، و هذا انطلاقا من واقعها و خصوصيتها الثقافية ، و التي كانت كلها تعبر في نهاية المطاف عن علاقة الإنسان بالإلهي Le divin .

[1] Ben Meziane Thaâlbi – l'identité au Maghreb – Casbah – Editions Alger 2000 P.40

و في هذا المجال ، يعتبر الميراث الصوفي من المقومات الأساسية لثقافتنا ، و قد أكد حضوره في مختلف المجالات كالانتروبولوجيا و علم النفس و علم الاجتماع و الفلسفة و غيرها من خلال وظيفته المتمثلة في الترقي أو التسامي بالإنسان La Sublimation .

فالخبرة الدينية الفردية و الجماعية قد واكبت الإنسان منذ القديم ، و لازال يحملها كجزء من هويته الذاتية . و قد لاحظ رودولف أوتو R. Otto أن الإحساس لا ينشأ عن أي إرادة أو تصميم مسبق ، بل أن الفرد يجد نفسه تحت سلطان هذا الإحساس ، دون مقدرة منه على توجيهه أو التحكم فيه . إلى جانب هذا ، فإن غوستاف يونغ G. Jung يرى أنه توجد علاقة جدلية لا غنى عنها بين الممارسة الدينية المؤسسة اجتماعيا و بين الخبرة الدينية الفردية ، و ذلك لما لهذه الممارسات الطقسية من وظيفة نفسية كبيرة الأهمية في المجتمع ، على مستوى الفرد و الجماعة كتفاعل متبادل .

و هذا ما ينطبق على التصوف كعملية مستمرة Process ، و من خلال الوظيفة النفسية و الروحية و التربوية التي يؤديها .

فالثقافة الصوفية بحكم تميزها الروحي الذي يعكس علاقة الأنا البشرية بالذات الإلهية من خلال تصاعدها في درجات التعالي الذاتي الداخلي ، في مقابل الثقافة الغربية التي تتخذ من الطبيعة معنى لوجودها ، فهذا مما يشكل نوعا من استقلال الأنا كجسد لمفهوم الطبيعة الإنسانية ، فإننا نجد بالمقابل أن التصوف يتمثل في الأنا الروحي لمفهوم الطبيعة الإنسانية .

فالجسد أصبح من نوع آخر ، فهو يتضمن انقطاعا بين الشخص و الآخرين فالفرد أصبح يمتلك جسدا أكثر من أنه يكون جسدا ([1]) ، فهنالك

---

[1] دافيد لوبروتون D. Lebreton – انتروبولوجيا الجسد و الحداثة – ترجمة محمد عرب ضاصيلا – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع 1997 ص.6 .

فاصلا بين جسده كمادة و بين إنسانيته ، مما أدى إلى ظهور التمركز حول الأنا Egocentrisme .

في مقابل ذلك ، فإن المتصوفة يهتمون بعلم الباطن Esotérisme كوسيلة للوصول بالأنا البشرية إلى الحقيقة الإلهية أو المطلق L'Absolu عن طريق رياضات روحية و مجاهدات و أحوال و مقامات ، و هذا ما يقابله علم الظاهر Exotérisme أي الأحكام الشرعية العملية و الظاهرة في العبادات و المعاملات .

و من ثم ، يمكن التساؤل : هل خرجت هذه العملية من الإنطوائية ، التي كانت تعيشها لتواكب الحداثة و التغيرات العديدة و التي اتخذت صفة العالمية من خلال الإنتشار و التفاعل الثقافي ؟ .

تم أن مفهوم الإنطوائية الذي كان سائدا في بداية التصوف أي حركة الزهد (القرن 1 و 2) ، لم يكن ليعبر عن معنى الإنسان و طبيعته ، فتم التعبير عن الذات من خلال حلقة التواصل بين الأنا و الآخر . و التي أصبحت من أهم القضايا المعاصرة المطروحة للبحث ، لأن "صورة الآخر" من المواضيع العملية التي تحظى في الوقت الراهن بإهتمام كبير لدى الدوائر الانتروبولوجية و الاجتماعية و الثقافية .

الإشكالية :

بعدما تعرضت الحركة الصوفية عبر مراحلها التاريخية للكثير من الأخذ و الرد فقد لعبت دورا كبيرا في توعية الفئات الشعبية في الأرياف ثم انتقلت إلى المدن ، كما شارك الكثير منها في صد هجمات المستعمر في بلاد المغرب العربي

و لا زال البعض من هذه الزوايا يلعب دورا إيجابيا من خلال التربية الروحية في الحقل الثقافي و الاجتماعي الذي ينتمي إليه ، بل و تجاوزته إلى مجتمعات أخرى ، بهدف التفاعل معها ، لأن البعد الإنساني للفكر الصوفي الذي تسعى لتحقيقه الزاوية العلاوية ، امتد إلى المجتمعات الغربية و أكد حضوره و فعاليته من خلال معالجته لقضايا تهم البشرية جمعاء كالدعاء للسلم و محاربة التلوث و التجارب النووية و الأسلحة المدمرة و غيرها .

لقد أصبحت الزاوية العلاوية ، و انطلاقا من ثقافتها الصوفية التي تريد نشرها ، تدعو لخدمة البشرية جمعاء و إلى السلام و الحرية و الإستقرار في كافة مجتمعات العالم ، بغض النظر عن الاختلافات و الفروقات في الدين و اللون و العرق .

و انطلاقا من هذه الرسالة ، جاءت الزاوية العلاوية و من خلال مشايخها بمساهمات فكرية تتضمن التواصل مع كل الثقافات و تحقيق فكرة "الإنسان الكوني" L'homme Universel ، التي يدعو إليها الشيخ خالد ، حيث يجب على كل كائن بشري أن يتقبل مصيره و انتماءه لهذه الإنسانية جمعاء بكل اختلافاتها و تنوعاتها دون تخصيص لوطن أو دين أو عرق ، و من ثمة فهو يستطيع أن يكون في صلة مباشرة مع الله خالق هذا الكون ، و يصبح عبده و خليفته على هذه الأرض .

" La réalisation de l'homme universel, c'est-à-dire relier l'homme à Dieu , afin qu'il devienne son serviteur " ([1])

لكن هذا الإنسان ، من طبيعته يحمل ازدواجية أو قطبين ، السالب و الموجب ، فهو يجمع بين الخير و الشر ، الحب و الكراهية . و بذلك فهو يجسد التوازن و اللاتوازن في آن واحد .

و من خلال ما تقدم ذكره ، يمكن طرح الإشكالية التالية :

– ما مدى حضور الذات الصوفي (من خلال الزاوية العلاوية) كآلية اتصال بين الثقافة المحلية و الثقافة الأجنبية ؟

فالزاوية العلاوية ، بالإضافة إلى كونها مؤسسة دينية – ثقافية ، فهي فضاء روحي تنسجم فيه الدلالات الرمزية و المعاني حول تحقيق الذات الإنسانية كأصل و التقارب الثقافي كفرع .

فمن خلال اندماجها في الحقل الثقافي و الاجتماعي ، فهي تؤكد بحضورها طابعها العصري بعيدا عن الانعزالية التي اشتهر بها المتصوفون الأقدمون الذين جعلوا من الفقر و الزهد و إذلال النفس و الخلوة أركانا أساسية لتصوفهم و أسلوبا لعبادتهم ، فكانوا في الدنيا و ليسوا فيها .

الفرضيات

من خلال دراسة مختلف الوثائق التابعة للزاوية العلاوية ، و المقابلات التي أجريت مع المنتسبين لها ، و هم المريدون الذين يكونون العينة المدروسة ، توصلت إلى طرح الفرضيات التالية :

– المحيط الخارجي للزاوية امتداد لفضائها الروحي الداخلي (الممارسات الطقسية و التفاعل الاجتماعي بين الفقراء)

[1] Cheikh Khaled Bentounes – Le soufisme , cœur de l'Islam – Edition El Alamein – Sétif 1997 P.62

- التواصل الثقافي مع المجتمعات الغربية هدف سام تسعى لتحقيقه الزاوية العلاوية من خلال التفتح على الآخر .

- حضور الآخر مع الذات طبيعة جديدة حداثية لمفهوم التصوف .

الجانب المنهجي :

تم تناول هذه الإشكالية ببعد بين أساسيين : الجانب النظري المتمثل في الدراسة الشاملة عن التصوف من حيث التعاريف و الاصطلاحات ، ثم التطور التاريخي للممارسات الصوفية من الزهد إلى التصوف الطرفي عبر مراحل تاريخية ، تبدأ بفترة ما قبل التصوف أي حركة الزهد (القرن 1 و 2 هـ) ثم المرحلة الكلاسيكية للتصوف و هي المراحل الكبرى التي ظهر فيها التصوف بقوة (من القرن 3 إلى 8 هـ) ، لكنه كان يتصف بوجود المتصوفة المنفردين Soufis solitaires ، الذين تأثروا بالمذاهب الفلسفية خاصة اليونانية كمذهب الحلول (الحلاج) و وحدة الوجود (ابن عربي) و أخيرا مرحلة التجديد للتصوف Neo-soufisme ، و هو ظهور التصوف الجماعي أو الطرق الصوفية الكبرى و فروعها التي لازالت متواجدة إلى اليوم .

و في هذه الظروف ظهرت الطريقة العلاوية و تأسست حسب مرجعيتها الشاذلية-الدرقاوية ، مستمدة مقوماتها المعرفية من الفلسفية اليونانية و الإسلامية (الفارابي) و من التصوف السني (للغزالي) و وحدة الوجود (لابن عربي) ، فمن خلال هذا التراكم المعرفي تعتبر حاليا نموذجا خاصا لعلاقة الإنسان بالمقدس .

و هذه المبادئ النظرية قد تجسدت في مفهوم الإنسان الكامل Concept de l'homme universel كفكرة ذات أبعاد فلسفية و إنسانية ،

لها جذور و مرجعية تاريخية تعود للشيخ العلاوي ، الذي كان رجلا متفتحا على الآخر ، و هذا راجع لظروف ذاتية يتضمنها تكوينه الفيزيولوجي و ملامحه الخارجية ، بأنه ذو طابع عيساوي Modèle christique ، حسب ما لاحظه الكثير من الباحثين الأوربيين ، أمثال الطبيب الفرنسي مارسال كاري ([1]) و عبد الكريم جوسو و غيرهما .

الجانب الميداني :

تعتبر الدراسة الميدانية أو الحقلية ، بالنسبة للباحث تجربة علمية و نفسية في آن واحد، و ليس بالإمكان تشبيه الباحث الأنتروبولوجي في حقل الدراسة بموقف العالم الطبيعي في معمله، فهذا العالم يجري تجاربه لإختيار مدى صحة فروضه دون أي ارتباط شخصي بينه و بين موضوع بحثه، أما الباحث الأنتروبولوجي فإن معمله هو المجتمع الذي يجري فيه الدراسة و موضوع بحثه يتمثل في أفراد و جماعات و علاقات و ساحات تتغير باستمرار و لا يستطيع التحكم فيها باعتبارها متغيرات([2]) و لذلك، و حتى يتجنب الباحث هذه الإشكالية يجب عليه أن يوطد علاقاته مع المجموعة عينة البحث، حتى يتمكن من ملاحظة سلوكاتها و مظاهر النشاط اليومي في الداخل و لا يكتفي بملاحظتها من الخارج فقط. و هذا ما يسمى بطريقة الملاحظة بالمشاركة L'observation participante و التي قام بها بعض الباحثين الأنتروبولوجيين أمثال Malinowsky، عند دراسته لجزر Trobriands في غينيا الجديدة (أستراليا) حيث بقي مدة 03 سنوات (1915– 1918) ([3]) .

---

[1] Marcel Carret – Le Cheikh El Alawi (Souvenirs) Imprimerie Alaouia de Mostaganem 1987 P.12

[2] د. فتحية محمد إبراهيم – مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان "الأنتروبولوجيا" دار المريخ للنشر – المملكة العربية السعودية 1988 ص.89

[3] Charles Henri Favrod - Encyclopédie du Monde Actuel – (L'Anthropologie) – Editions Brodard et Taupin – Le livre de Poche – Paris 1977 p.134

و بكون موضوع الدراسة مرتبط بالجوانب الداخلية (الروحية و النفسية) للأفراد من حيث هم أفراد يتأثرون بالعوامل الثقافية و الاجتماعية الخارجية ، فقد استعنت بمنهج دراسة الحالة مع استخدام المقابلات و الملاحظة بالمشاركة و دراسة الوثائق المتعلقة بها ، و ذلك من أجل التأكد من صحة الفرضيات الناتجة عن الإشكالية المطروحة .

و بذلك فقد تم حضور مجموعة من اللقاءات الخاصة بالاحتفالات الدينية التي تقيمها الزاوية العلاوية (الأعياد الدينية و المولد النبوي ، و موسم الشيخ العلاوي) و التي تقام فيها ممارسة طقسية كحلقات الذكر و السماع و الحضرة.

و في هذا المجال ، كان من الضروري الاستعانة بالمادة الاتنوغرافية و الانتروبولوجية لدراسة مجموعة من الوظائف التي من شأنها المحافظة على سيرورة و استمرارية هذه البنية الدينية .

و قد تم جمع عدد من المعطيات و تبويبها ، بما يخدم التجانس في التحليلات للوصول إلى تقييم منهجي و علمي و التأكد من خلاله على الصورة الحقيقية المتعلقة بالوظيفة الأساسية التي تقوم الزاوية العلاوية في الحقل الثقافي و الاجتماعي

دواعي إختيار الموضوع :

إن التصوف مجال واسع ، و الخوض في غماره ليس بالأمر الهين و لكن رغم شساعته فهو موضوع شيق و جذاب ، حيث يهتم بالجانب الروحي للإنسان و المجتمع ، و يدرس النفس و مراتبها و العلاقة الموجودة بين الإنسان و الله و هي علاقة عمودية ، و كذا العلاقة الأفقية بين الفقراء ، و من هنا فقد جذب إليه الكثير من المختصين و الباحثين من شتى فروع العلم و المعرفة . و قد كان اهتمامي بهذا الموضوع للأسباب التالية :

1) الزاوية العلاوية بكونها مؤسسة دينية ذات طابع عصري الذي تميزت به ، من خلال فضائها الثقافي و التربوي المتمثل في الجمعيات المتعددة أو "الحركة الجمعوية" المتواجدة في الحقل الثقافي و الاجتماعي ، و تماشيها مع التطور العلمي و التكنولوجي أي أنها تريد الوصول إلى التوفيق بين الجانب الباطني Esotérique و الجانب الظاهر Exotérique .

2) انتشارها عبر المجتمعات الأوربية ، حيث تمكنت من إقامة التواصل و الحوار الثقافي و الحضاري ، و من خلاله الدعوة لمعالجة الكثير من القضايا الإنسانية ، و محو كل الفروقات سواء كانت دينية أم عرقية أم لغوية... .

3) ما لفت انتباهي كذلك هو الدراسة القيمة التي قام بها الدكتور عبد المالك مرتاض([1]) و توصل إلى نتيجة هامة ، معتبرا مدينة مستغانم أنها أصبحت " عاصمة للثقافة الصوفية في الغرب الجزائري كله " و هذا راجع إلى الطرق الصوفية المتعددة و المنتشرة في المنطقة و التي زادت من ثراء التراث الثقافي و الروحي و منها السنوسية و العلاوية و العيساوية و البوزيدية... .

الدراسات التي أجريت حول الموضوع :

من خلال قراءتي للمؤلفات و النصوص التي استعنت بها ، وجدت أن أغلب الدراسات ([2]) كانت منصبة حول تاريخ التصوف عامة و التصوف

---

[1] د. عبد المالك مرتاض " مراكز الثقافة في الغرب الجزائري " دراسة نشرت في جريدة الجمهورية بتاريخ 21 جويلية 1977

[2] Boudouaia Belhia - Le Soufisme Maghrebin (4 parties) - Le Quotidien d'Oran (9,10,11,12 Novembre 2002)

الإسلامي خاصة ، أما الطرق الصوفية المنتشرة عبر العالم و بخاصة في مناطق المغرب العربي ، فقد اعتمدت خاصة على مؤلف ضخم و مهم يتكون من جزئين و هو : Les Voies d'Allah ([1]) و التي يتعرض بالدراسة من طرف الكثير من المختصين الغربيين للطرق الصوفية في البلدان الإسلامية . أما فيما يخص الطريقة العلاوية ، فقد تناولها بعض الكتاب من خلال السيرة الذاتية للشيخ العلاوي ، و ليس كبنية دينية . و من بينها :

المؤلف الثاني هو Documents et Témoignages ([2]) حول شخصية الشيخ العلاوي . و المؤلف الثالث : و هو كتاب قيم

([3])Un Saint Soufi du XX° siècle :Le Cheikh Ahmed ElAlawi

---

[1] Alexandre Popovic et Gilles Veinstein : Les voies d'Allah(1) Les origines mystiques dans le monde musulman des origines à aujourd'hui – tome 1 et 2 – Editions Morinoor 1996

[2] Johan Cartigny documents et témoignages (Cheikh El Alawi) Editions Les Amis de l'Islam Paris 1984

[3] Martin Lings – Un saint soufi du xx° siècle Cheikh Ahmed ElAlawi – Editions du Seuil – Paris 1990

العينـــة المدروســـة :

عند نزولي إلى الميدان لأتعرف عن قرب على المجموعة التي تكون عينة البحث فقد اتصلت بالكثير من الفقراء التابعين للزاوية من مختلف الأعمار و المستويات الثقافية (أساتذة ، باحثين ، موظفين ، تجار ...) و أجريت معهم مقابلات متعلقة بسلوكاتهم و علاقاتهم فيما بينهم ، و خاصة فيما يتعلق بالطقوس الدينية و خصوصياتها ، إلى جانب حضوري لعدد منها (حلقات الذكر و السماع و الاحتفالات ...) و لبعض الملتقيات المنظمة من طرف الزاوية ، و كذلك لقائي مع الشيخ خالد بتاريخ 09 جوان 2002 .

و قد استغرقت هذه اللقاءات و حضوري للنشاطات المختلفة مدة أكثر من سنة .

الفصل الأول

الفصل الأول : التصوف و الطرق الصوفية

المبحث الأول : التعريف بالتصوف

مفهومه و اشتقاقاته :

السؤال الذي يطرح نفسه في البداية هو : ما هو التصوف ، و ما اشتقاقاته و خصائصه ؟ .

نقول بصفة مبدئية أن التصوف بوجه عام فلسفة حياة و طريقة معينة في السلوك يتخذها الإنسان لتحقيق كماله الأخلاقي ، و عرفانه بالحقيقة ، و سعادته الروحية ([1]) .

و كلمة تصوف و إن كانت من الكلمات الشائعة ، إلا أنها في نفس الوقت من الكلمات الغامضة التي تتعدد مفهوماتها و تتباين أحيانا . و السبب في ذلك أن التصوف حظ مشترك بين ديانات و فلسفات و حضارات متباينة في عصور مختلفة . و من الطبيعي ، أن يعبر كل صوفي عن تجربته في إطار ما يسود مجتمعه من عقائد و أفكار و يخضع تعبيره عنها أيضا لما يسود حضارة عصره من اضمحلال أو ازدهار .

و يبدو أن التجربة الصوفية واحدة في جوهرها ، و لكن الاختلاف بين صوفي و آخر راجع أساسا إلى تفسير التجربة ذاتها و التأثر بالحضارة التي ينتمي إليها كل واحد منهما .

---

[1] د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني – مدخل إلى التصوف الإسلامي – دار الثقافة للنشر و التوزيع – القاهرة 1979 ص 3

أصل كلمة تصوف و اشتقاقاتها :

لقد اختلف الآراء في اشتقاق كلمة "صوفي"، و قد قيل: الظاهر من هذا الاسم أنه لقب إذ لا يشهد له من جهة العربية اشتقاق، و قيل: هو مشتق من الصفاء

و قيل أنه مشتق من الصفو بمعنى الصفاء أيضا ، كما قيل أنه مشتق من الصف لأن الصوفية في الصف الأول أمام الله .

و هناك من قال أنه نسبة لأهل الصفة ، و كانوا قوما من فقراء المهاجرين و الأنصار بنيت لهم صفة في مؤخرة مسجد الرسول (ص) ، من أجل الإقامة و التعبد فيها .

كما قيل أنه مشتق من "سوفيا" اليونانية التي تعني الحكمة .

و بعضهم ينسبون الصوفية إلى بني صوفة و هي قبيلة بدوية كانت تخدم الكعبة في الجاهلية .

و لكن الدراسات العلمية أثبتت أن هذه الوجوه الدلالية كلها بعيدة ، و الأصوب أن يقال أن اشتقاق كلمة صوفي هو من "الصوف" ، فيقال : تصوف الرجل إذا لبس الصوف ، و كان لبس الصوف شعارا للعباد و الزهاد لأول نشأة الزهد ، و كثير من الصوفية أنفسهم يذهبون إلى هذا الرأي الأخير و منهم السراج الطوسي في كتابه "اللمع" و يؤيده ابن خلدون في ذلك ([1]) .

مفهوم التصوف في الإسلام :

مر التصوف في الإسلام بمراحل متعددة، و تواردت عليه ظروف مختلفة و اتخذ تبعا لكل مرحلة و وفقا لما مر به من ظروف، مفاهيم متعددة

---

[1] نفس المرجع السابق ص 20-21

و لذلك كثرت تعريفاته . و كل تعريف منها قد يشير إلى بعض جوانبه دون البعض الآخر.

و لكن يظل هناك أساس واحد للتصوف لا خلاف عليه ، و هو أنه أخلاقيات مستمدة من الإسلام .

و لعل هذا ما أشار إليه ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين" قائلا:"و اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق" و غبر عنه الكتاني بقوله:"التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"([1])

و هو بهذا الاعتبار روح الإسلام لأن أحكام الإسلام كلها مردودة إلى أساس أخلاقي .

فقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على مكارم الأخلاق كالزهد و الصبر و المحبة و ما إليها . كما بين لنا القرآن الكريم أن رسول الله (ص) هو الأسوة الحسنة في هذه الفضائل و في أرقى صورها.

و لعلنا ندرك عمق المعنى في قوله تعالى مخاطبا الرسول (ص) : " و إنك لعلى خلق عظيم ([2]) ". و في قوله (ص): " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

و من بين من أعطوا تعريفا للتصوف ، إبن خلدون في المقدمة بقوله :"علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، و أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين ، و من بعدهم طريقة الحق و الهداية و أصلها العكوف على العبادة و الانقطاع

---

[1] مدخل إلى التصوف الإسلامي ص 10

[2] سورة القلم ، آية 4

إلى الله و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة " ([1]) .

و من هنا فابن خلدون ، يؤكد على أن التصوف و الزهد هو الانقطاع عن ملذات الحياة ، و التمسك بالجانب الروحي الذي يهذب البشرية كالعكوف و الخلوة و كل ما من شأنه أن يحدث اضطرابا فيها .

مصدر التصوف الإسلامي :

هل التصوف الإسلامي من مصدر أجنبي ؟ .

منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى اليوم و آراء المستشرقين الذين عنوا بدراسة التصوف الإسلامي مختلفة في مسألة المصدر الذي يمكن أن يرد إليه هذا التصوف .

و قد كان المستشرقون المتأخرون قد مالوا إلى رفض المصدر الواحد للتصوف .

هناك من ذهب إلى القول بأن التصوف من مصدر فارسي ، و من هؤلاء ثولك (Thoulk) ، من قدماء المستشرقين في القرن التاسع عشر و الذي ذهب إلى أن التصوف الإسلامي مأخوذ من أصل مجوسي و حجته في ذلك أن عددا كبيرا من المجوس ظلوا على مجوسيتهم في شمال إيران بعد الفتح الإسلامي ، و أن كثيرين من مشايخ الصوفية الكبار ظهروا في الشمال من إقليم خراسان ([2]) .

و منهم أيضا المستشرق دوزي Dozy في كتابه :

Essai sur l'histoire de l'Islamisme

---

[1] الأستاذ حجر عاصي – مقدمة العلامة ابن خلدون – دار مكتبة الهلال – بيروت 1991 ص 295

[2] مدخل إلى التصوف الإسلامي ص 27

فهو يرى أن التصوف جاء إلى المسلمين من فارس ، حيث كان موجودا قبل الإسلام ([1]) .

و يرى هذا الاتجاه أن بعض كبار شيوخ التصوف من أصل فارسي كمعروف الكرخي و أبي يزيد البسطامي .

أما لويس ماسينيون Louis Massignon ، فقد ذكر في كتابه "بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الإسلامي" ، أن التصوف الإسلامي نشأ عن أصول إسلامية خالصة ، مستمدة من القرآن الكريم و سنة رسول (ص) و حياته و حياة أصحابه ذوي النزعة الزهدية ([2]) .

و رغم أن بعض الباحثين قد ارجعوا أصله إلى الهند و أوربا . ففي الحقيقة أن الإنسان دائما متعطش لحب الله ، و من خلال قراءتنا للقرآن الكريم يتبين أن التصوف قد تم التعبير عنه بأشكال مختلفة . لكن مع ظهور الإسلام ، فقد ارتبط مع البعثة المحمدية في مظهره الداخلي و الخارجي ([3]) .

و هناك أسباب أخرى لظهور التصوف ، و هي ناتجة عن عوامل اجتماعية سياسية ، و قد ذهب إلى ذلك المفكر حسين مروة ([4]) حيث بدأت ظاهرة الزهد اعتزالا بعد مصرع سيدنا عثمان رضي الله عنه ، و تولي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخلافة ، فعبر المعتزلة عن ذلك بقولهم : "لا يحل قتال علي و لا القتال معه" . و لكن هذا الإعتزال السياسي تحول إلى اعتكاف طوعي في ممارسة العبادة ، ثم إلى انكماش على الذات أدى إلى الانصراف عن مجمل النشاط الاجتماعي .

---

[1] مدخل إلى التصوف الإسلامي ص 27

[2] عبد الرحمن بدوي – لويس ماسينيون – مجلة "المجلة" العدد 71 – جمهورية مصر العربية 1962 ص 11

[3] - Cheikh Khaled bentounes - Le Soufisme , cœur de l'islam – Edition ElAmein Sétif 1997 P. 52

[4] حسين مروة – "تراثنا ، كيف نفهمه " مؤسسة الأبحاث العربية – لبنان 1985 ص 357 .

و قد دعم هذا الرأي المستشرق المجري غولد زيهر ، فحسب رأيه " أن الميل إلى الزهد كان مرتبطا بالثورة على السلطة القائمة " و أن كثيرا من المسلمين " لجأوا احتجاجا على ما ينكرون من حكومة و نظام إلى الاعتكاف و الزهد " ([1]) .

و قد ظهر التصوف لأول مرة في المشرق العربي و إيران ، في حوالي القرن الثاني من الهجرة .

في البداية كان الشيوخ يعيشون بمفردهم في المناطق الصحراوية ، و لم يكن لهم مذهب خاص بهم أو مدرسة في الفكر الديني أو الفلسفي .

و بالتالي ، فإن التصوف لم يكن معرفا أو محددا بصفة دقيقة ، لذلك فإن الأفكار الدينية قد اهتمت بالمتصوفين ، مما خلف نوعا من الغموض في التعريف بحقيقة التصوف . لكن بعد ذلك ، و خلال القرون المتتالية ، تم توضيح خصوصية و أصل التصوف من خلال أقوال و تعاليم كبار الشيوخ .

و مع مرور الزمن نلاحظ تطورا ملحوظا في الحركة الصوفية خاصة عبر مناطق كثيرة منها العربية السعودية و الشرق الأوسط و إيران و الهند و إفريقيا الشمالية و إفريقيا السوداء .

و بداية من القرن الخامس للهجرة ، فقد اعتبر التصوف كظاهرة اجتماعية و في نفس الوقت كمذهب ديني و ميتافيزيقي .

و من هنا بدأت الحياة الجماعية تميز الحركة الصوفية ، خاصة في الأماكن المخصصة للخلوة ، و هذا المظهر الاجتماعي لم يكن معروفا فيما مضى .

---

[1] نفس المرجع ص 357

و عند انتشار هذه الأماكن المسماة بـــ "الخانقاه" بكثرة في البلدان العربية و إيران و بالخصوص بخراسان (*) ، و بدأ الشيوخ يجمعون فيها المريدين .

و عندما انتشرت الحركة الصوفية و كانت الخانقاه تنشأ داخل بيوت الشيوخ المشرفين عليها ، و تأوي مئات المتصوفة و الفقراء ، تحت المسؤولية الروحية و المالية للشيخ .

فكانت لهؤلاء المتصوفة كل الوسائل المادية ، حتى في أوقات الأزمة كانت المؤونة تأتيهم من طرف الأثرياء أو الملوك .

و بذلك ، فقد أصبح التصوف عند تطوره حركة ذات أبعاد سياسية و اجتماعية بكون أن عددا من الملوك كانوا ينتسبون لبعض الطرق الصوفية .

و خلاصة لهذا الجزء التاريخي المتعلق بالمراحل التاريخية التي مرت بها حركة التصوف ، يمكن تقسيم تاريخ التصوف إلى ثلاث مراحل مختلفة :

1) مرحلة المتصوفة الوحدانيين Soufis Solitaires من القرن الثاني إلى الرابع الهجري .

2) مرحلة التصوف الجماعي و الخانقاوات من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري .

3) مرحلة الطرق الصوفية الكبرى ابتداء من القرن العاشر إلى يومنا هذا ([1])

ففي المرحلة الأولى : كان المتصوفة يعيشون حياة زهد و تقشف كل بمفرده و في مناطق صحراوية ، و لم يكن لهم شيوخ و مريدون يلقنونهم مبادئهم الصوفية .

---

* خراسان : منطقة توجد في الشمال الشرقي في إيران

[1] Djamchid Nortazavi – Soufisme et psychologie – Edition du Rocher Paris 1989 page 26

أما المرحلة الثانية : فظهر ما يسمى التصوف الاجتماعي ، حيث بدأ المتصوفة يعيشون حياة جماعية و بدأوا يتجمعون فيما يسمى بالخانقاه . و يقومون بطقوس دينية منها حلقات الذكر و السماع . و قد ظهرت الخانقاوات في عدة مناطق خاصة في الدول العربية و في إيران و بالخصوص في خراسان .

أما المرحلة الثالثة : و هو ما يعرف بالتصوف الطرقي و الذي تأسس في مناطق عديدة من العالم سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي أو الأندلس أو تركيا أو إيران أو الهند .

ففي منطقة المغرب العربي ، تعددت الطرق و كلها انحدرت من الطريقة الأم و هي الطريقة الشاذلية (التيسيتم التعريف بها لاحقا) .

التربية الروحية و النفس البشرية:

الروح عند الإنسان :

الإنسان من طبيعته يتكون من جانب روحي علوي (فيه الروح و العقل و النفس) و جانب مادي و حسي أي يتعلق بالجنس و الغرائز الحيوانية . و من هنا فله جانب ملائكي و جانب حيواني . و الجانب العلوي و هو الروح ، هو الذي نزل من عند الله ، حيث يعتبر جزءا من الروح المطلقة و هو الله خالق هذا الكون .

فنزلت هذه الروح و استقرت في الجسد فأصبحت سجينة لعالم مليء بالظلمات و هو عالم الجسد المحسوس و كل ما يحتويه من نفس شريرة و عقل .

العقل : إن عقل الإنسان هو سبب ضياعه Son égarement . لذلك فمصدر العلم و المعرفة هو العقل ، فإذا لم يكن متصلا بروحنا و قلبنا ، فإنه يكون

مصدرا لتدمير البشرية ، عن طريق توظيف هذا العقل لإختراع الأسلحة الفتاكة (مثل أسلحة الدمار الشامل ، و الأسلحة الكيمياوية و البكتيرية ...) و إحداث التلوث و تدمير الطبيعة ... .

أما إذا وظف في جوانبه الإيجابية فسيكون وسيلة لإسعاد البشرية و نشر السلام و القضاء على البؤس و الفقر .

النفس عند الإنسان :

لقد قسمت مدرسة التحليل النفسي عند فرويد Freud ، النفس إلى ثلاثة مستويات : الأنا Le moi ، الأنا الأعلى Le Surmoi ، و الهو Le Sa .

و بالمقابل نجد أن الدين الإسلامي قد قسم النفس إلى : النفس الأمارة بالسوء (الشريرة) النفس اللوامة و النفس المطمئنة .

إذن فكل التربية الروحية لدى الإنسان، و طيلة حياته ترتكز على عملية مجاهدة النفس و تربيتها ، من أجل السمو بها إلى أعلى المراتب .

فكل فرد من بني الإنسان يعيش في بحر هذه الحياة الدنيوية ، لشهوات نفسه و مطامعها الفتاكة القاتلة ، و قليلا ما نجد من يعاكس هوى نفسه ، مع أن الإنسان لو تأمل قليلا لوجد نفسه مخطئا في مطاوعته لهواجس نفسه و هواه . فالنفس عند الحكماء هي القوى الباطنية الأمارة بالسوء ، و معالجتها يكون عن طريق مخالفتها ، و الإعراض عن اقتراف شهواتها .

قال الشيخ البوصيري رحمه الله :

و النفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع و إن تفطمه ينفطم ([1])

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي – المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية – الجزء الأول – الطبعة الثانية المطبعة العلاوية بمستغانم 1989 ص 30

فهو يشبه النفس بالطفل ، لأن الطفل قد لا يدرك مضاره من منافعه و إذا ترك بغير رعاية من أهله فلا ربما يسعى في هلاكه ، أكثر من إصلاحه . و معرفة النفس هي أساس المعرفة بالله ابتداء و انتهاء ، ففي حالة الإبتداء تعرف بالنقائص فيعطيها مستحقها كما يعطي مستحق الألوهية من الكمالات و لهذا يقول عليه الصلاة و السلام : "من عرف نفسه عرف ربه" ([1]) و قال أيضا : "أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه" ([2]). إذ كلما ازداد الإنسان معرفة بنفسه ازداد معرفة بربه ، لانطوائها على كل خير ، وقد قيل في هذا المعنى :

داؤك فيك و لم تبصر و دواؤك منك و لم تشعر

و تحسب أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر ([3])

و عندما تكون الروح سجينة داخل الجسد و مقيدة بالنفس الشريرة تصبح المجهودات التي يبدلها المتصوفة من أجل تطهير هذه النفس من الدسائس من جهة و إضعاف الجسد من جهة أخرى .

فحساب النفس من حساب الإنسان ، و لكن الذات الإنسانية أهم من النفس و من العقل و من الروح حين تذكر كل منها على حدة ، فإن الإنسان يحاسب نفسه لينهاها عن هواها ، و لكن الروح من أمر الخالق الذي لا يعلم الإنسان منه إلا ما علمه الله .

فالإنسان يعلو على نفسه بعقله و يعلو على عقله بروحه ، فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية و دوافع الحياة الجسدية ، و يتصل من جانب الروح بعالم البقاء و سر الوجود الدائم و علمه عند الله ([4]) .

---

[1] نفس المرجع ص 42

[2] نفس المرجع السابق ص 42

[3] نفس المرجع ص 43 .

[4] عباس محمود العقاد – الإنسان في القرآن الكريم – منشورات المكتبة العصرية بيروت 1973 ص 35 .

فكل فرد من بني الإنسان يعيش في بحر هذه الحياة الدنيوية ، لشهوات نفسه و مطامعها الفتاكة ، و قليلا ما نجد من يعاكس نفسه ، مع أن الإنسان لو تأمل قليلا لوجد نفسه مخطئا في مطاوعته لهواجس نفسه و هواها .

لذاك فإن التربية الروحية لدى الإنسان ، ترتكز على عملية مجاهدة النفس من أجل السمو بها إلى أعلى المراتب ، عن طريق مختلف الرياضات الروحية كالخلوة و الذكر و السماع و الحضرة....

المقامات و الأحوال عند الصوفية

إن سلوك المتصوف في الطريقة ، يبدأ بمجاهدة النفس البشرية أخلاقيا أي تربيتها عبر الرياضات الروحية المختلفة .

و يندرج السالك في مراحل متعددة تعرف بالمقامات Stations ([1]) و الأحوال Etats ، حيث ينتهي من مقاماته و أحواله إلى الهدف المنشود لدى كل المتصوفة و هو الوصول إلى المعرفة بالله أو المعرفة الإلهية و هي نهاية الطريق

المقام : و يعني به الصوفية مقام العبد بين يدي الله فيما يقام فيه من العبادات و المجاهدات و الرياضات . و من أمثلة المقامات التوبة و الزهد و الورع و الفقر و الرضا و التوكل و ما إلى ذلك .

الحال : فهي ما يحل بالقلب ، أو تحل به القلوب ، من صفاء الأذكار و من أمثلة **الأحوال** : المراقبة و المحبة و الخوف و الرجاء و الشوق و الأنس و الطمأنينة و المشاهدة و غير ذلك .

---

[1] Djamchid Mortazavi – Soufisme et psychologie – Editions du Rocher – Paris 1989 P.50 : « Certains spécialistes ont traduit " maqâm" مقام par " Station" . Nous n'y sommes pas opposés , mais nous pensons que le terme " étape" est plus proche de la signification de " maqâm" que celui de " Station"

و قد فرق الصوفية بين المقام و الحال تفرقة دقيقة . فالمقام عندهم يتصف بالثبوت ، أما الحال فزائل ، و المقام يحصل للسالك بكسبه و إرادته أي هو الذي يطلبه و يريد الحصول عليه إراديا .

أما الحال وارد عليه دون تعمد منه و بطريقة لا إرادية .

لذلك فالحضرة (العمارة) مثلا و هي طقس يمارس عند الصوفية ، يبدأ بمجرد حال يأتي عند مريد أو مجموعة من المريدين ، و هي شروط نفسية تكون متوفرة زيادة على شروط أخرى (سيتم ذكرها في الجزء الخاص بالحضرة) و هي الزمان و المكان و الإخوة . فتلك الحالة النفسية هي التي تدفع الشخص ، و بعد ذلك و بأمر من الشيخ أو المقدم يقوم بقية الفقراء و يؤدون هذا الطقس ([1]) . و إلى ذلك يشير القشيري في رسالته بقوله : " و الحال معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم (أي من الصوفية) ، لا اجتلاب و لا اكتساب لهم في طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو احتياج .

فالأحوال مواهب و المقامات مكاسب ، و الأحوال تتأتى من عين الجود ، و المقامات تحصل ببدل المجهود " ([2]) .

لذلك يجب التخلص من سيطرة الأنا (النفس الأمارة بالسوء) و ليس القضاء عليها كلية .

و هناك مراحل أو مقامات Stations و هي معالم الطريق حسب الطوسي و هي كما يلي :

- التوبة : أي التوقف عن ارتكاب المعاصي و الأخطاء التي يسببها العقل البشري أو النفس الشريرة .

---

[1] هذا ما لاحظته في طقس الحضرة ، عند حضوري للحفل الديني بمناسبة الاحتفال بأسبوع المولد النبوي بتاريخ 21 جوان 2001 .

[2] د. أبو الوفا النعيمي التفتازاني – مدخل للتصوف الإسلامي –دار الثقافة للنشر و التوزيع – القاهرة 1979 ص 39

- الورع : الامتناع عن كل ما هو محرم ، و يبعدن عن الله سبحانه و تعالى
- الزهد : ليس الانصراف عن ملذات الحياة ، و إنما هو أن لا يملكك ما تملكه .
- الفقر : الانفصال عن كل ما له صلة بسيطرة العالم المحسوس .
- الصبر : عن طريق القيام بمجاهدة النفس .
- التوكل : أي الثقة بالله ، و الابتعاد عن كل ما تمليه علينا النفس الشريرة .
- الرضا : الاكتفاء بما هو موجود دون غيره و طلب التقرب من الله.

و المرحلة الأخيرة ، هي التحرر الكلي من هذه النفس ، و عند تجاوز هذه المرحلة ، يمكن الوصول إلى الفناء ، و هي المرحلة العليا لما يسعى إليه كل المتصوفة ([1]) .

و هذه المقامات يقطعها السالك لكي يصل إلى المرحلة الأخيرة للبحث الصوفي و الروحي و هي مرحلة الفناء L'anéantissement .

الكرامات عند شيوخ الصوفية

إن مسألة الكرامات عند شيوخ الطرق الصوفية ، قد أثارت الكثير من التساؤلات عن ثباتها أو عدم ثباتها ، حيث ألصقها الكثير بالخرافات و الأساطير ، و اعتبر أن هذه الخوارق لا يمكن لها أن تحدث لكائن بشري .

[1] Soufisme et psychologie page 51 et 52

لكن المتفق عليه، أن الكرامات صفة خاصة بالمتصوفة فقط، و أنها وسيلة لإثبات الولاية، و إن الله أكرم فقط هذه الفئة من الناس، بصفات خارقة للعادة، حيث لا يتم إثباتها أو البرهنة عنها علميا، مثلها مثل المعجزات .

و لهذا فقد خصصت هذا الموضوع الخاص بالكرامات ، و وضعت علاقة بينه و بين الشيخ ، لأنها تعتبر من أهم الشروط و الخصائص التي يتميز بها شيخ الطريقة .

إن الكرامات Charismes مثل المعجزات Miracles ، هي ما عجز العقل عن تفسيرها ، و هي كل ظاهرة مضادة لقوانين الطبيعة و قوتها ، أي أنها خارقة للعادة . و يجب أن يكون محدثها هو الله الذي وضع هذه القوانين و لكنها في الخارج بتوسط إنسان يختاره الله أداة لذلك .

فإذا كان هذا الإنسان نبيا تظهر على يده هذه الظاهرة الخارقة كآية على صدق رسالته فإن هذه الظاهرة تسمى "معجزة " مثل ما حدث لسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي رمي في وسط النار و لم تحرقه ، أو سيدنا موسى في شفاء الأبرص أو في عصاه التي تحولت إلى ثعبان ، أو معجزة سيدنا محمد (ص) الذي نزل عليه القرآن الكريم أو الإسراء و المعراج ...

أما " الكرامة " فذات علاقة وثيقة جدا من الناحية المعنوية بالكلمة اليونانية اللاتينية Charisme ، و منها اشتقت كلمة شخصية كازرماتية Personnalité Charismatique و كلمة كرامة من ناحية الإشتقاق مرادفة لكلمة موهبة و فضل يمنح تكريما لشخص ما .

و تستعمل عند المتصوفة على أنها ظاهرة خارقة عجيبة منحها الله للخاصة من عباده ، مكافأة لفضائلهم في هذه الحياة الدنيا ([1]) .

---

[1] فاروق عبد المعطي – محي الدين ابن عربي – حياته ، مذهبه ، زهده – دار الكتب العلمية بيروت 1993 ص 126

و يقول أكثر الصوفية إن ظهور الكرامات جائز بل واقع ، و هي أمور ناقضة للعادة ، غير مقترنه بدعوى النبوة ، و هي عون للولي على طاعته و مقوية ليقينه كما يقول الصوفية أن الكرامات تغاير المعجزة من وجوه ثلاثة :

1) أن الأنبياء متعبدون بإظهار معجزاتهم للخلق ، و الإحتجاج بها على من يدعونه إلى الله تعالى ، فمتى كتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى ، و الأولياء متعبدون بكتمان كراماتهم عند الخلق ، فإذا أظهروا شيئا منها لاتخاذ الجاه فقد خالفوا الله تعالى و عصوه .
2) إن الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين ، لأن قلوبهم قاسية ، و الأولياء يحتجون بذلك على نفوسهم حتى تطمئن و تقف و لا تضطرب .
3) إن الأنبياء كلما زيدت معجزاتهم يكون أتم لمعانيهم و فضلهم ، و الأولياء كلما زيدت كراماتهم يكون ذلك سببا لسقوط منزلتهم عند الله([1]) .

و بذلك ، تكون المعجزات للأنبياء و الرسل و نزلت عليهم في ظروف تاريخية معينة ، لتستعمل كوسيلة لإقناع المشركين و إصلاح المجتمع ، أما الكرامات نزلت على بشر ليسوا بمرتبة الأنبياء و الرسل ، فقد أنعمها الله عليهم ، و كلما تم كتمانها من طرف شيوخ الصوفية كلما تقربوا بمراتبهم إلى الحقيقة الإلهية .

أنواع الكرامات :

يوجد نوعان من الكرامات : الكرامات الظاهرة و الكرامات الباطنية .

---

[1] أحمد الشتناوي – دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الخامس –دار المعرفة بيروت 1933 ص 286 .

الكرامات الظاهرة أو المادية :

فهي تتمثل في الأمور أو الأعمال المحسوسة أو المرئية لدى كل الناس و تظهر خارج الشخص و يمكن إدراكها بالحواس مثل المشي على الماء و المشي على النار ، و تحويل المادة و إبراز قوى جسمانية هائلة إلخ .

الكرامات الباطنية أو الروحية :

و هي التي تتحقق في نفس الصوفي أو في غيره ، لذلك فحقيقتها لا يمكن أن تظهر إلا من خلال الحالة التي يظهر فيها صاحبها و يقوم بإبلاغها للناس ، مثل الكشف عن أسرار العالم المادي و النفسي و الإلهي ، مما يتلقاه بعض الصوفية بتوفيق من الله . و كقراءة أفكار الغير من مسافة بعيدة Télépathie ...

أصناف الكرامات

قام ابن عربي إلى تقسيم الكرامات إلى أصناف حسب أعضاء الجسم التي هي آلات للفضائل ، و قد تم هذا التقسيم إلى ثمانية أبواب منها كرامات خارجية و أخرى باطنية .

1) كرامات البصر : و تنتسب إليها كل الظواهر الخارقة الخاصة بالبصر و المشاهدة الروحية و مثالها : البصر على مدى بعيد ، و رؤية حقائق العالم الروحاني السماوي و الأرضي على السواء .
2) كرامة السمع : و هي مكافأة عن قهر أهواء السمع بالفرار عن فرص ارتكاب المعاصي بالسمع ، و بممارسة أعمال التعبد التي آلتها هي السمع و إلى هذه المجموعة تنتسب كرامة سمع لغة الكائنات غير الحية .

3) كرامة اليد : و هي ثواب عن الفضائل التي تؤديها اليد كتحويل قبضة من الهواء إلى ذهب أو فضة .

4) كرامة النطق : و هي ثواب من فضائل اللسان ، و تنتسب إلى هذه المجموعة كرامة الكلام مباشرة مع الملائكة و علاج المرضى و إحياء الموتى .

5) كرامة قمع شهوة الطعام : و يكون عن طريق إشباع عدد كبير من الناس بطعام قليل يتكاثر بطريقة عجيبة ، أو تحويل لون واحد من الطعام إلى أطباق من أطعمة مختلفة .

6) كرامة فضيلة العفة : و كلها من طبيعة روحية أو رمزية و أهمها كرامة الأبوة الروحية ، فالصوفي الذي يزهد عن فضيلة الشهوات الجنسية المقرونة بالولادة الجسدية ، يتلقى من الله كجزاء عن ذلك موهبة ولادة أبناء روحيين .

7) كرامة المشي : و تتمثل هذه الكرامة في المشي على الماء دون اجتياز مسافات طويلة ، أو المشي غلى النار أو على الهواء .

8) كرامة القلب : يعتبر القلب ينبوع الكرامات كلها ، إذ من القلب تتولد النية الخالصة المستقيمة . و كرامات القلب كلها باطنة روحانية كالتنبؤ بالحوادث المقبلة و مشاهدة أسباب حوادث الطبيعة ، السعيدة و الأليمة و تشخيصها ، و مشاهدة الظواهر النفسية في الشخص قبل أن توجد ([1]) .

---

[1] فاروق عبد المعطي – محي الدين ابن عربي – حياته ، مذهبه ، زهده – ص 128 – 129

إن الكرامات الصوفية سواء المدونة القديمة أو الشفهية ، فهي تعتبر منبعا أدبيا يغزو القصة و المسرحية و الرواية و الشعر و غيرها .

فقصص الكرامات كانت منهلا خصبا للأدب العالمي لأنها وظفت في الخيال اللامحدود و الرؤى الشعرية التي تركت بصماتها على الأسلوب الأدبي .

و صور الكرامات هي صور لخيالات أدبية تتلامس مع الأساطير و الحكايات الشعبية و يحيطها بعض الناس بسياج من القدسية لأنهم يؤمنون بها ، بل أن بعضهم يجعل من الإيمان بها أساسا من أسس الإيمان العام كالطيران في الهواء ، أو المشي على الماء و تحمل الجوع و العطش و تسخير الملائكة و الجن و الحيوانات و الجماد و كائنات أخرى ، و التنبؤ بالمستقبل و تغيير جوهر الأشياء ، و غير ذلك مما أتت به قصص الكرامات الشفهية و المدونة.

وظائف الكرامات

تم تحديد وظيفتين أساسيتين للكرامات و هما :

- إثبات الولاية : و هي خاصة بالمتصوفين وحدهم . فالكرامات خاصة فقط بالشيوخ المتصوفين ، و ذلك حتى يكون لهم نوع من القدسية من طرف المريدين إلا أن هناك من شيوخ الطرق من لا يحبذ بعض الكرامات خاصة الظاهرة أو المحسوسة مثلما هو موجود عند الطريقة العيساوية كعدم التأثر بسم الأفاعي و العقارب و النوم على الزجاج .. و غيرها من الخوارق المادية . فالشيخ العلاوي ينبذ كل هذه الخوارق و يفضل الكرامات الباطنية أو القلبية التي لا تظهر للعيان .

أما الوظيفة الثانية فهي إنتاج إبداعي جماعي لأفراد المجتمع ، إما لإرضاء حاجة الإبداع لديهم ، أو مواجهة حاكم ظالم أو لتحقيق مكسب إجتماعي لا يمكن تحقيقه إلا بواسطة ادعاء الكرامة

– و هناك وظيفة تعليمية و فيها يكون الحث على مكارم الأخلاق و على الجهاد ضد العدو ، إضافة إلى القصص الخيالية التي تحاك على بطل يواجه العدو المستعمر ، و الصفات الخارقة التي تلصق به ، و هذا يعتبر كمحفز للأشخاص الآخرين .

لذلك فتوظيف الكرامة الوصفية في الأدب و لما لها من تأثير في إنتشار هذه القصص في الوجدان أو الذاكرة الجماعية ، فقد كان هدف الأدباء إما لمحاربة الكرامة و معتقديها بوصفها في الخرافات و الأساطير ، و إما استغلالها لأهداف سياسية و اجتماعية ، و إما لأن هذا الأديب أو ذاك مؤمن لها فعلا أو متردد بشأنها ([1]) .

و هذه المبالغات و الخرافات في نسق هذه الكرامات و الخوارق ليست وقفا على أمة دون أخرى، بل هي على الأرجح وليدة العصور القديمة، يتساوى في ذلك العرب و غير العرب في الشعوب القديمة . كما نقل المؤرخ "حرجي زيدان" في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" رسوما عن أصول خطية ترجع إلى القرن الثالث عشر للميلاد، و هي تمثل الإسكندر المقدوني يحارب أقواما رؤوسهم وحشية و أقواما آخرين متوحشين لكل منهم ست أيد ([2]) . .

و هذه المبالغات لا نلفت لمخالفتها العقل و المنطق فحسب ، بل في أنها تخالف النواميس الطبيعية أيضا . و هي وليدة البيئة و العصر أكثر مما هي خاصة بشعب معين من الشعوب .

---

[1] مقالة حصلت عليها عن طريق الإنترنت Internet بتاريخ 2002/05/16 و كتبت بتاريخ 2001/07/02 تحت عنوان "أدبيات الكرامة الصوفية" للدكتور عبد الله بنهان الموقع : http: //wwwalbayan coge/albayan/htm

[2] موسى سليمان – الأدب القصصي عند العرب – دار الكتاب اللبناني لبنان 1983 ص 316

فهناك الكثير من الأدباء العرب المعاصرين الذين وظفوا الكرامة في الأدب منهم نجيب محفوظ و الظاهر عبد الله و الطيب صالح و جمال الغيطاني و صلاح عبد الصبور و عبد الحميد بن هدوقة و غيرهم . كما أن الكرامة قد وظفت على نحو أساسي في السير الشعبية كما في سيرة الملك الظاهر بيبرس و أبو زيد الهلالي في سيرة بني هلال ، كما كان لها حضور في كتابات الرحالة العرب كإبن بطوطة و ابن فضلان ([1]) .

الكرامات عند الطريقة العلاوية

بعدما كان الشيخ العلاوي ينتمي إلى الطريقة العيساوية ، حيث كانت له كرامات مادية أو حسية و هي عبارة عن الأعمال الخارقة التي يقوم بها كل منتسب لهذه الطريقة ، كترويض الأفاعي و العقارب و إدخال السكاكين في الفم و البطن و النوم على الزجاج ... . و بعدما نصحه شيخه البوزيدي (من خلال القصة التي ستذكر فيما بعد) ، و هي مجاهدة ذلك الوحش المتمثل في النفس البشرية من هنا بدأ الشيخ يتمسك بالجانب الروحاني ، و يسعى إلى ترك كل ما له علاقة بالكرامات الحسية أو المادية ، و كان يعتبرها بمثابة الحيض لدى المرأة الذي يأتيها دون إرادتها . أما الكرامات المعنوية و القلبية فكان يفضلها بكونها تعتبر سرا من أسرار الله و حكمة من حكمه بشرط أن لا تدخل الكبرياء على من وقعت له و تهيئ النفس حتى يمكن لها أن تنسجم مع شروط الحياة العلوية .

إلا أن الكرامات ليست بالضرورة عنوانا للكمال ، و لكنها عامل مساعد لشيخ الطريقة لتوجيه و إرشاد المريدين .

---

[1] من نفس المقالة السابقة الذكر .

يقول ابن عربي " قد يتواجد الكمال و الولاية حتى مع غياب الكرامات إذ هذه الأخيرة ليست شرطا ضروريا في ذلك ، إن أعظم الكرامات هي كذلك تسير في طريق الاستقامة الأخلاقية " ([1]) .

الكرامات عند الطريقة العيساوية :

و هذه الكرامات تكون بعد ممارسة طقس الحضرة ، حيث يبرز الشيخ ليقابل الراقصين و يرفعهم من هذه النشوة إلى نشوة الإتصال مع الذات الإلهية ، فتختفي النفس ، و تختفي الكلمات و الجسم و الحواس المادية . و في هذه اللحظة يوزع الشيخ على المريدين قطعا من الزجاج ، و المسامير و العقارب و يبتلعها هؤلاء و هم يواصلون رقصهم ، ثم يبرز " السياف " و يشق جسمه بإبر كبيرة أو بسيف أو يتمرغ على الجمر ([2]) .

كما يقومون بإشعال عيدان من خشب و يمرون شعلتها سريعا على صدورهم و بطونهم .

غير أن المناعة ضد الحريق ليست خاصة بأهل بعض الطرق فقد عرفت منذ التاريخ القديم في روما، و تنسب كرامات نارية إلى صوفية عاشوا قبل الرفاعي (578هـ/1183م) و بعده كأبي حفص الحداد النيابوري.

و يتمتع بالمناعة ضد الحريق في عصرنا أشخاص و طوائف من مختلف الملل و النحل في الهند و اسري لانكا و فيجي و إندونيسيا و اليونان و إسبانيا و بلغاريا و الولايات المتحدة الأمريكية و غيرها ، و تقع أكثر استعراضاتهم في احتفالات دينية ([3]) .

---

[1] جان شوقلي – التصوف و المتصوفة –ترجمة عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق المغرب 1999 ص 121 .

[2] لطيفة لخضر – الإسلام الطرقي– سراس للنشر – تونس 1993 ص 49

[3] عبد الحكيم مرتاض رسالة ماجستير " الطرق الصوفية في الجزائر " أصولها و تطورها حتى سنة 1939 1999/1998 ص 76

المبحث الثاني : تاريخ الحركة الصوفية في المغرب العربي

نعرف أن النزعة الصوفية ذات علاقة بفكرة تقديس الشيوخ ، و التي عرفت بالمغرب العربي بالمذهب المرابطي Maraboutisme ، نسبة إلى الحركة المرابطية التي تأسست بمراكش سنة 1062 م . و قد امتد حكم المرابطين من إفريقيا إلى إسبانيا مرورا بالمغرب و كثرة الرباطات التي انشأوها ساهمت كثيرا في نشر الإسلام أو إعادة إدخال الإسلام للشعوب التي كانت تحت نفوذهم .

لكن سرعان ما قامت الصراعات بين الموحدين و المرابطين . فقام الأمراء الموحدون بحرق كتب الغزالي أمام أعين الناس ([1]) ففقدوا شعبيتهم ، مما أدى إلى الإطاحة بهم ، و خلفهم حكام بربر هم الموحدون ، المتمسكون بمذهب وحدانية الإله الذي نشروه مع المذهب الصوفي للغزالي و رغم الصراعات التي كانت موجودة بين الموحدين و المرابطين ، إلا أنهم اتفقوا على العمل بنفس الرسالة و هي الوحدة الإسلامية الممتدة من جنوب الصحراء إلى إسبانيا.

و مصطلح مرابط ، قد بقي على صيغة المفرد : مرابط (مما أدى إلى ترجمته إلى Marabout و Maraboutisme باللغة الفرنسية)([2]) .

و عند نهاية حكم كل من المرابطين و الموحدين ، في بداية القرن 13م و التخلي عن فكرة الرباط . تغيرت دلالة هذا المصطلح ، و بدأ يطلق خلال القرون اللاحقة ، على كل زعيم سياسي ، أو مؤسس طريقة صوفية ، أو رئيس قبيلة ، أو رجل حكيم ، أو على الرحل الذي يؤدي المعجزات ، كما

---

[1] Les voies d'Allah T2 P.41

[2] الغالي بن لباد – "زاوية سيدي بن عمر" – رسالة ماجستير في الانتروبولوجيا – (جامعة تلمسان) نوقشت بتاريخ 2001/05/28

أطلق على أشياء أخرى كانت مقدسة مثل المغارات أو عيون المياه أو الأشجار المقدسة (أو الحويطة) .

إن الفترة الممتدة ما بين القرن 12 و القرن 13م ، تعتبر منعرجا حاسما بالنسبة للتصوف ، سواء في المشرق أم في أوربا ، بكون أن الشيوخ ، خلال هذه الفترة قد جاؤوا من كل منطقة و من كل الشرائح الاجتماعية . لقد ظهروا في البداية ، في المغرب الأقصى تم انتشروا في كافة مناطق المغرب العربي . و كانوا يبحثون عن طريقة صوفية يأخذونها من طرف أحد الشيوخ الروحيين من خلال تجوالهم في كل المدن و القرى و البلدان و القارات .

الطرق الصوفية في المغرب العربي

إن التيار الصوفي في المغرب العربي ، ظهر على يد أبي مدين (سيدي بومدين) الغوث أو المنقذ الأكبر الذي كان أصله من إشبيليا ، و قدم إلى المغرب الأقصى . أما في المشرق ، فعلى يد الجنيد و الغزالي ، و كان قد التقى مع سيدي عبد القادر الجيلالي بمكة المكرمة .

و بعد أن أخذ سيدي بومدين تعليمه الروحي في المشرق و الأندلس و المغرب الأقصى ، انتقل إلى بجاية بالجزائر و استقر فيها ، حيث كان له الكثير من المريدين . و توفي في مدينة تلمسان ، عندما كان متوجها إلى المغرب لزيارة الخليفة يعقوب المنصور بطلب من هذا الأخير .

و هو يعتبر أديبا و شاعرا و عالما ، و كان قد تتلمذ على يده الكثير من المريدين و من بينهم ابن مشيش و الشاذلي خاصة ، اللذان قاما بنشر تعليمه في كل بلاد المغرب العربي ([1]) .

[1] Les voies d'Allah T2 P.43

و اسم الشاذلي مرادف للحركة الصوفية في المغرب العربي في القرن 13م و التي مست الكثير من فئات الطبقات الشعبية . و كان أصله من المغرب الأقصى حيث ولد في سنة 1197م . و قد عرف أبو الحسن الشاذلي كشيخ للصوفية بتونس ، ثم انتقل إلى مصر طالبا اللجوء فيها تحت ضغط أحد الزعماء الدينيين في تونس الذي اتهمه بالقيام بنشاطات مشبوهة . و قد لحق به البعض من اتباعه و بقي الآخرون بتونس لنشر تعاليمه .

و خلال هذه الفترة ، بدأ المتصوفة بتنظيم أنفسهم ، و ثم تأسيس الكثير من الطرق الصوفية في منطقة المغرب العربي و الشرق و الأندلس

و نظمت الكثير من اللقاءات بين الشيوخ و اتباعهم في الزوايا خلال الاحتفالات السنوية . و ظهرت الشغائر الدينية التي بدأت تنظم الحياة الجماعية الخاصة بالاتباع و المريدين .

و عند انتشار الكثير من الزوايا عبر المنطقة ، ظهرت هناك بعض التوترات الداخلية و الصراع حول أخذ النفوذ ، كما ظهرت المعارضة للسلطة السياسية. و في بعض الحالات ، ظهرت فكرة المهدي المنتظر في الأوساط الشعبية كمنقذ لهم أو " الشخصية الكارزماتية " و بدأت حركة التصوف تقوى خلال القرن 14 م ، حيث نلاحظ دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب العربي و تحت التأثير الكبير لكتب الإمام الغزالي ، فإن الفقهاء المسلمين قد قبلوا تلك الأشكال المعتدلة للتصوف ، و رفضوا تلك الممارسات المتطرفة في التصوف . و التي حاربها ابن عربي بدوره ، و الذي كان له نفوذ كذلك في بلاد المغرب العربي .

فقد ظهرت بعض الشعائر مثل زيارة الأضرحة التي كانت مباحة ، لكن تقديس هذه الأضرحة كان محرما . إلى جانب ظهور الكرامات عند الأولياء (الأعمال الخارقة للعادة) و التي كانت موجودة عند صحابة رسول

الله (ص) . و قد أثيرت هذه المسألة ، أي إذا كانت الكرمات تورث إلى خليفة الشيخ بعد موته أم لا .

و في الفترة ما بين القرنين 14 و 15 م ، فإن كل بلاد المغرب قد عرفت اضطرابات عميقة : أزمة في الفلاحة ، نكسة تجارية ، صعود الرحالة من الجنوب إلى الشمال .

فاضطراب الأوضاع السياسية الداخلية و انتصار البرتغال على المغرب الأقصى كل هذه العوامل ساهمت في تجنيد الكثير من الاتباع حول ابن عبد الله محمد الجازولي و الذي يعتبر نفسه من السلالة الشريفة و من الطريقة الشاذلية ، مما أدى به إلى تأسيس الطريقة الشاذلية – الجازولية .

و خلال القرنين 15 و 16 م ، ظهر نوع آخر من الشيوخ و هم الشرفاء جمع شريف ، و هم من سلالة الرسول (ص) . و هؤلاء الشرفاء كانوا من رجال العلم و الأدب و الفقهاء في الدين ، بدأوا في نشر الإسلام في الأوساط الريفية . و أصبحت المشيخة وراثية تدريجيا ، و تكونت فيهم مجموعات من المرابطين و التي لعبت دورا أساسيا في الحياة السياسية المحلية ([1]) .

إن أهم الطرق الصوفية قد تم تأسيسها ما بين القرن 17 و بداية القرن 20 و كلها ظهرت من طريقتين كبريين : القادرية و الشاذلية – الجازولية و هذه الطرق هي : الناصرية و السنوسية و التيجانية و الدرقاوية و الطيبية و الرحمانية... .

و الانضمام إلى إحدى هذه الطرق يكون عموما عن طريق تعلم المبادئ الأولية ، و كل طريقة لها تنظيمها و طقوسها الخاصة بها و كل طريقة لما تؤسس فإنها تنظم بنيتها داخل الزاوية الموجودة مسبقا .

---

[1] Les voies d'Allah P.43

حتى نتبين الفرق بين هذه البلدان ، علينا أن نبرز و نحدد الخصوصيات المحلية أو الجهوية و المميزات المشتركة بينها :

أ) المغرب الأقصى : لقد تأسست أغلب الطرق الصوفية في هذا البلد مثل القادرية و هي أقدم طريقة (القرن 12) و مريدوها معروف تحت اسم " جيلالة ".

لكن اسم ابن مشيش ، مريد الطريقة الشاذلية ، هو الأكثر انتشارا في حركة الطرق الصوفية في المغرب الأقصى ، رغم أنه لم يكن مؤسسا لأية طريقة . قد أصبح ابن مشيش هو "القطب الغربي" مقابل عبد القادر الجيلالي "القطب الشرقي"

فكل الطرق الصوفية المغربية منتسبة للطريقة الشاذلية ، و مع الجازولي ، أصبحت تسمى الطريقة الشاذلية – الجازولية .

و الطرق الصوفية الموجودة بالمغرب الأقصى هي :

العيساوية – الشرقاوية – الناصرية – الطيبية – الدرقاوية – التيجانية – البوغروية – الكنانية – الحمدوشية – الحنصلية .

فالطريقتان العيساوية و الحمدوشية تعتبران طريقتان شعبيتان نتيجة للشعائر و الممارسات الموجودة فيها بينما التيجانية و الدرقاوية فتنخرط فيها كل الطبقات الراقية في المجتمع .

إن الدور السياسي للطرق الصوفية في المغرب الأقصى معروف ، حيث قام الجازولي بالدفاع عن وطنه ضد الأجانب (البرتغال – إسبانيا و تركيا) ([1]) .

[1] Les voies d'Allah P.47

لكن هذه الطرق الصوفية دخلت في صراع مع السلطات الحاكمة ، خاصة في عهد السلطان مولاي سليمان ، و كذلك في عهد السلطان عبد الحفيظ ، الذي تأثر بحركة السلفيين .

في الجزائر :

إن الطرق الصوفية قد ظهرت في الجزائر ابتداء من القرن 16 أغلبها قدمت من الخارج ، من المغرب خاصة (العيساوية ، الدرقاوية ، الطيبية) و كذلك من الشرق (الشابية ، السنوسية) .

أما الطرق ذات طابع الخصوصية الجزائرية ليست متعددة (الرحمانية التيجانية ، القادرية ، الشيخية ، العلاوية ...) .

و قد قامت بنشاطات متمثلة في التأطير الديني لسكان الأرياف و المدن لكل الفئات الإجتماعية . كما مست نشاطاتها ميادين أخرى (اجتماعية ، اقتصادية ، سياسية ، طبية ...) و كان مريدوها يدافعون عن السكان ، في حالة وجود غزو خارجي.

و قد قامت هذه الطرق بإعداد المقاومة ضد الاستعمار التركي ثم الفرنسي ، مثل القادرية (بزعامة الأمير عبد القادر) و الدرقاوية و الشيخية و الطيبية و الرحمانية .

و خلال هذه الفترة الاستعمارية ، بدأت تنمو فكرة مشاركة الطرق الصوفية في محاربة الاستعمار .

و بدأت عملية محاربة هذه الطرق من طرف المستعمر ، و ذلك عن طريق غلق الزوايا و منع الحج إلى البقاع المقدسة ، لكن هذه العملية لم تتوج بالنجاح .

و من جانب آخر ، فقد كان هناك تعاون بين الحركة الإصلاحية و المتصوفة ، حيث أن بعض شيوخ الزوايا قد اندمجوا في الحركة ، و قاموا بإصلاح الزوايا التابعة لهم ، و حثوا السكان المقيمين معهم في مناطقهم على الانخراط في جمعية العلماء المسلمين ([1])

لكن هذه الطرق مارست نشاطاتها رغم حضرها . و كانت قوتها تكمن في أن المنتسبين إليها كانوا من سكان المدن و رجال الأدب ، و عدد كبير من العلماء في الفقه .

و في عهد الاستعمار الفرنسي ، امتزج نشاط هذه الطرق مع الاتجاه الوطني ، و كان المقاومون ينشطون تحت قيادة حركة " العلاوية " نسبة لقائدهم علال الفاسي المسمى بالشيخ .

و في هذه الفترة ، تم تأسيس طريقة صوفية جديدة ، و هي الطريقة العلاوية بمستغانم (في سنة 1910) .([2])

بعد الاستقلال ، وقع نوع من التراجع في دور بعض الزوايا ، حيث اتخذ بعضها أشكالا أخرى أو قامت بوظائف أخرى بإستثناء البعض منها (مثل الطريقة العلاوية و الرحمانية) ، اللتان كانتا ميدانا للتعليم الديني ، و فضاء للممارسات الدينية للكثير من التابعين لها .

و هناك نموذج آخر من الزوايا ، التي كان لشيوخها أو للمقدمين قدرة علاجية بكونهم يملكون الحكمة في معالجة بعض الأمراض مثل عرق النسا عن طريق الكي .

و كذلك العيساوية التي تقوم بشعائر و ممارسات لها طابع موسيقي و مسرحي و لها فرق فولكلورية ([3]) .

---

[1] Les voies d'Allah P.49

[2-3] Les voies d'Allah P.49

و بعد سنة 1988 ظهرت حركة تأسيس الجمعيات ، و تم استرجاع الممتلكات و الأوقاف للزوايا ، و التي كانت مؤممة في إطار الثورة الزراعية.

و في سنة 1991 ، تم تنظيم " الملتقى الوطني للزوايا " بالجزائر ، و ذلك من أجل رد الاعتبار لهذه المؤسسات و لدورها الروحي و التربوي و الديني و الاجتماعي .

و كانت عملية بعث دور الطرق الصوفية من جديد ، بفضل الأفراد و الجماعات الاجتماعية التي حافظت على ذلك النمط الاجتماعي للدين الإسلامي ، و كذا ممارسة ذلك الشكل التعبدي الخاص بها و الذي أصبح ضروريا رغم كل التحولات الاجتماعية التي حصلت .

في تونس :

إن أهم الطرق الصوفية و أقدمها في تونس هي :
القادرية ، الشاذلية و هناك فروع لطرق صوفية مغربية مثل: (الطيبية ، الدرقاوية ، العيساوية). أو لطرق صوفية جزائرية: (التيجانية ، الرحمانية ، العلاوية) .

و كذلك شرق – أوسطية : (المدنية ، الشابية ، السنوسية ، السليمية).

و قد كانت الطرق الصوفية التونسية علاقات جيدة مع الفقهاء من جهة و الحكومة المركزية من جهة أخرى . حتى أن الباي أحمد ، كان عضوا نشطا في الطريقة الشاذلية . كما كان لشيوخ الطرق مناصب سياسية (كمستشارين في الحكومة) مما مكنهم من لعب دور الوساطة بين الحكومة و بين الشعب .

و من بين الشيوخ الذين كان لهم نفوذ سياسي كبير ، نذكر الشيخ مصطفى بن عزوز (المتوفي في سنة 1866) ، و الذي نشر الطريقة الرحمانية من الجزائر إلى تونس ، و اتهم من طرف المستعمر الفرنسي بأنه كان يهرب الذخيرة من تونس إلى الثورة الجزائرية .

كما لعب شيوخ الزوايا دورا كبيرا إلى جانب علماء الدين في عملية التنشئة الدينية للفئات الشعبية .

و خلال القرن 20 ، و خاصة بعد استقلال تونس سنة 1956 ، تراجع الدور الذي لعبته الطرق الصوفية ، و هذا راجع لنظام الحكم آنذاك . مما دفع الكثير من شيوخ الطرق إلى الانخراط في أحزاب وطنية . و في سنة 1960 أبدت الحكومة التونسية نوعا من التسامح اتجاه هذه الطرق ، حيث قام ديوان السياحة بتشجيع الزوايا للقيام ببعض الشعائر الدينية كحلقات الذكر و الشطح (مثل العيساوية) ، بهدف المحافظة على التراث الوطني و تشجيع السياحة . و حاليا ، لا زالت الكثير من الطرق الصوفية قد حافظت على نشاطها و من بينها : العيساوية ، التيجانية ، و الشاذلية و السلامية ([1])

خلاصة هذا الجزء

رغم أن الظاهرة الصوفية قد استعادت قوتها بعد مرحلة الاستقلال في بلاد المغرب العربي ، إلا أنها اعتبرت كنوع من التابوهات ، و اعتبرها البعض كنشاط ثانوي و مهمش . و كانت موضوعا لدراسات من مجال التاريخ الاجتماعي و قد اهتم المختصون في هذا المجال بدور بعض الزوايا في الماضي . أما الدراسات الأنتروبولوجية و السوسيولوجية فهي قليلة و

[1] Les voies d'Allah P.52

غير كافية من أجل الإحاطة بالموضوع . فهذه الدراسات قد أعطت النتائج التالية :

- اعتبار الطرق الصوفية ذات طابع محلي سواء من الناحية الجهوية أو الوطنية . فإذا كانت في المغرب الأقصى أكثر انتشارا ، فإنها في الجزائر و في تونس مقتصرة على بعض الفضاءات و بعض الجماعات الاجتماعية .

- الانتماء إلى طريقة صوفية ، يعطي للمنتسب إليها هوية اجتماعية ، لكنها صالحة فقط داخل الشبكة المغلقة المتكونة من أعضاء الطريقة الصوفية الواحدة . لذلك فإن الانتماء لطريقة صوفية معينة تجبر من الناحية المعنوية الشخص على المشاركة في نظام العلاقات التي تتكون مع السلطة الروحية (الشيخ) من جهة و مع الإخوان الروحيين (المريدين) من جهة أخرى .

و كل طريقة تحتوي على مجموعة من القيم كالمحبة و الإخاء اللذين يحتلان الحيز الأكبر .

- إن مصير هذه الطرق الصوفية في بلاد المغرب العربي يتغير حسب السياسة المتبعة من طرف الحاكمين . و رغم الاضطرابات الاجتماعية ، السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي أثرت كثيرا على القاعدة المادية لهذه المؤسسات ، فإنها لم تستطع التأثير على بعدها الروحي . و الحركة الصوفية الإسلامية التي تنتمي إليها هذه الطرق قد اتبعت نوعا من المرونة في هذه المنطقة ، و اكتسبت ثقة الفئات الشعبية من السكان عن طريق التكيف مع أنماط حياتهم و طريقة تفكيرهم .

و ما يجب التأكيد عليه ، كذلك هو أن هذه الطرق الصوفية و كذا تقديس الشيوخ و الأولياء تمثل ذاكرة شعوب هذه المنطقة ، و وسيلة لتجنيدهم و مصدرا لهويتهم كلما كانت سيادتهم مهددة .

الفصل الثاني

الفصل الثاني : الزاوية العلاوية و مؤسسها الشيخ العلاوي

المبحث الأول : الشيخ العلاوي و إسهاماته في مجال العلم و المعرفة

مؤسس الطريقة الشيخ العلاوي : هو أحمد بن مصطفى العلاوي (اسمه الأصلي بن عليوة) ولد سنة 1869م و توفي سنة 1934م. يعتبر ولي الله القطب الشيخ العلاوي من عائلة عريقة في المجد، و قد تخرج عن تلك العائلة موظفون و علماء أجلاء. قام الشيخ بالإرشاد و إغاثة الملهوفين بعد موت شيخه الذي أخذ عنه التربية الصوفية، وأذن له في الإرشاد في حياته، و في تعمير الزاوية ، و هو المرحوم الشيخ حمو البوزيدي . فشيد الشيخ العلاوي زاوية عظيمة في حي (تجديت) بمستغانم على ساحل البحر، كما شيد عدة زوايا في الجزائر و في القبائل و في وهران و معسكر و غليزان و غيرها. و انقادت له فحول الرجال و دخل الناس في طريقته أفواجا من المغرب و المشرق، و وفد عليه العلماء من الأقطار البعيدة ، و ذاع صيته في الآفاق، و نصب مرشدين بإذنه في فرنسا و الحجاز و العراق و اليمن و غير ذلك. و قد أسس مطبعة جديدة تطبع فيها الرسائل التي ألفها، و في الرد على من أنكر على التصوف، ثم أسس جريدة أسبوعية سماها (لسان الدين) ثم أصدر بعدها جريدة (البلاغ الجزائري) تصدر كل جمعة، تحتوي على المسائل الفقهية التي تدور المحاورة فيها بين العلماء، و فيها القصائد الحكمية في الوعظ و الرثاء و التهنئة، و الأكثر من فصولها في الرد على المنكرين، سواء كان الرد منه أو من فحول العلماء العظام على المفسدين المشوشين على عباد الله بإدخال الشك على عقائدهم([1]) .

---

[1] نيل المغانم من تاريخ و تقاليد مستغانم ص 104

و قد كتب أحد المريدين التابعين له يصفه بقوله : " لقد أعطى هذا الشيخ الذي أحيا طريق الصوفية، في عصر الظلمات الروحية ، مثال الإنسان الذي أهمته مشاكل عصره و وقته، لقد كان قوي الروح، شديد الإحساس بمصير مريديه، و مهتما بهم و كانت عزيمته و قوته الروحية تشمل الإنسانية كلها و تعطف عليها " فامتدت حركته إلى أوربا. و له في باريس مركز ديني و ثقافي و هو يصدر مجلة و ينظم دروسا، و يعقد اجتماعات بالإضافة إلى تربيته و تكوينه للمريدين. و قد تتلمذ على يده الكثير من الأوربيين ، و أسسوا مراكز في فرنسا و سويسرا . و معظم مريدي السيد "روني جينو René Guenon"، كالشيخ عبد الواحد يحي قد اعتنقوا الصوفية سواء على الطريقة العلاوية أو على طريق آخر و يذكرنا الشيخ عدة بن تونس (*) بالمبدأ الآتي " إن الصوفية يؤسسون علمهم و معارفهم على ما يحيونه هم أنفسهم "([1]) .

و قد دفعته ظروف الحياة إلى العمل في سن مبكرة ، غير أنه لم ينس حظه في المعرفة و التثقيف ، لإستعداده الفطري و القدرة على الاستفادة و التلقي مع الميل إلى طريق التصوف ، حيث اتصل بالشيخ العارف سيدي (حمو الشيخ) : محمد بن الحبيب البوزيدي المستغانمي ، فعاش في صحبته خمس عشرة سنة مكنته من معرفة الطريق و آدابها و أسرارها ، فأذن له الشيخ في التربية و السلوك و تلقين أوراد الشاذلية .

و لما توفي الشيخ البوزيدي سنة 1909 م ، اجتمع كبار الطريق فوقع اختيارهم على مبايعة الشيخ العلاوي بالخلافة ، و هكذا تأسست الطريقة العلاوية منذ سنة 1910 م/ 1328 هـ .

---

* الشيخ عدة بن تونس و هو الخليفة الأول لشيخ العلاوي

[1] جان شوقلي – التصوف و المتصوفة – ترجمة عبد القادر قنيني ص 89

اضطلع الشيخ بشؤون الطريق ، و بما تفرضه عليه من مسؤوليات تجاه ربه و أمته و الإنسانية ، فكان جهاده متعدد الجوانب ، هدفه تجديد ما اندثر من تعاليم الدين و مثله العليا ، و إصلاح ما أفسدته عصور التخلف و الانحطاط و الجمود ، و البعد عن تعاليم الإسلام ، فإتخذ الكلمة سلاحا ، و الصحافة منبرا للتبليغ و التربية و الإرشاد و الدعوة إلى الله .

ترك الشيخ العلاوي في هذا المجال مآثر علمية قيمة في مجالات الفقه و التصوف و التفسير و الفلسفة و التوحيد ، بالإضافة إلى ما نشره من عشرات المقالات و الدراسات على صحيفتي (لسان الدين) سنة 1923 م ، و (البلاغ الجزائري) 1926-1934 تناولت مختلف المجالات الدينية و الاجتماعية و الأخلاقية .

و فيما يخص بداية اعتناق الصوفية ، فقد كان ينتمي في البداية إلى الطريقة العيساوية ، لكن الممارسات و الأساليب التي كانت تمارس أمام الناس و كانت تبدوا فيها نوع من العنف ، لم تكن تناسبه فدخل في الطريقة الشاذلية-الدرقاوية ([1]) .

و بعد ذلك قام بعدة أسفار عبر مناطق الجزائر ، ثم إلى تونس و ليبيا و مصر و سوريا . و اشتغل في عدة مهن صغيرة ، و في هذه الظروف الصعبة بدأ يتلقى تعليما في الأدب و الدين في دمشق ، ثم مكث بالقسنطنطنية (استنبول حاليا) لمدة سنة ، و عاد إلى مدينة مستغانم في سنة 1909 حيث إلتقى بالكثير من الفقراء و بدأ يلقنهم الطريقة الشاذلية – الدرقاوية خاصة في تلمسان و مستغانم . و بعد ذلك أسس فرعا من هذه الطريقة و هو يعتبر فرعا حديثا و لكن بنفس المبادئ ، ثم استقل عن الطريقة الشاذلية – الدرقاوية

[1] الطريقة الشاذلية – الدرقاوية سيتم التعريف بها في الصفحات القادمة

مؤسسا بذلك طريقة جديدة عرفت باسمه و هي الطريقة العلاوية في سنة 1910 ([1]) .

ظروف انتقال الشيخ من الطريقة العيساوية إلى الطريقة العلاوية

لقد أحدثت طريقة انتقال الشيخ العلاوي من الطريقة العيساوية إلى الطريقة العلاوية تغيرا جذريا في مساره الروحي . فقد كان يمتلك كرامات خارجية أو (الخوارق) عن طريق ترويض الثعابين . و ذات يوم اتصل به شيخه البوزيدي و قال " لقد بلغني أنك تتحكم و تروض الثعابين ، فأنا بحاجة لأتأمل ذلك " .

فأحضر الشيخ العلاوي حية من الجبل ، و قام ببعض الألعاب أمام شيخه ، فتعجب منه .

و قال : " إنك قوي في ذلك ، لكن هذه الحية صغيرة . هل تستطيع ترويض حية أكبر منها ؟ .

أجابه : إن الحجم لا يهم ، فأنا أتحكم في الحيات مهما كان كبرها .

فأجابه شيخه : و مع ذلك ، توجد حية بمثابة الوحش . هل تريد أن تعرفها اسمها ؟ . إنها "نفسك" أي طبيعتك الداخلية . إنها نزواتك و غرائزك التي يجب السيطرة و التحكم فيها " .

و كانت هذه القصة قد قلبت المسار الروحي للشيخ العلاوي رأسا على عقب ، و منذ ذلك الوقت أصبح مريدا تابعا للشيخ البوزيدي ، و قد تكلم هو نفسه عن العلاقة التي كانت تربطه بشيخه البوزيدي ، كما عمل هذا الأخير على دفع الشيخ العلاوي للتمسك في بداية الطريق بمجاهدة النفس لأنها أعدى عدو للإنسان يحمله بين جنبيه ، و ينطلق الشيخ من الفكرة السائدة في

[1] Johan Cartigny – Cheikh El Alawi – Documents et témoignages – Editions les amis de l'Islam Paris 1984 P.80

التصوف حول ضرورة الشيخ للمريد و هي قولهم " من لا شيخ له فشيخه الشيطان " ([1]) .

و فيما يخص شخصية الشيخ العلاوي، فقد ذكر الدكتور مارسيل كاري في كتابه([2]) :... ثم أعقبت مبديا رأي في أن نحافته أمر يدعو إلى الانزعاج مقترحا عليه أن يزيد في كمية الأكل الذي اعتاد تناولها كل يوم. و كنت قد عرفت قبل ذلك إجابة على أحد أسئلتي أن غداءه اليومي لم يكن ليتعدى لترا من اللبن و قليلا من التمر مع موزة أو موزتين و قليل من الشاي ."

"... و حاولت أن أعرف شيئا من أمر هذا الشيخ العجيب . و لكن أحدا لم يستطع أن يخبرني بشيء على وجه الخصوص .

فالأوربيون في شمال إفريقيا يجهلون جهلا تاما تأثير الإسلام على نفوس أهله بدرجة تجعلهم ينظرون إلى كل شيخ أو مرابط على أنه مشعوذ لا وزن له و لا أهمية إلا بقدر ما يمكن أن يكون له نفوذ سياسي. و لما كان شيخنا هذا لا يتمتع بهذا النفوذ المذكور تراهم و قد باتوا على جهل تام بأمره.

و ذهبت لأعوده في اليوم التالي و لمدة أيام أخرى إلى أن برئ من مرضه و في كل مرة زرته كنت أجده كسابق عهدي به ساكنا في نفس جلسته تحيل نفس البقعة ، و لم تزاوله نظرته الحالمة و لا تلك الإبتسامة الباهية على شفتيه . كان يبدو و كأنه لم يتحرك بوصة واحدة من ذلك المكان الذي تركته عليه في اليوم السابق كان كالتمثال الذي لا يلقي بالا إلى الزمن الذي يمر حوله ([3]) .

---

[1] د. حميدي خميسي " الشيخ العلاوي عارفا و متصوفا " محاضرة ألقيت خلال أشغال ملتقى الذكرى العاشرة لتأسيس جمعية الشيخ العلاوي أيام 17-2001/10/18 بمستغانم ص 111

[2] د. مارسيل كاري – ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي – ص 13

[3] نفس المرجع ص 16

و من آثاره :

- مفتاح الشهود في مظاهر الوجود – المطبعة العلاوية بمستغانم 1994
- التعرف إلى حقيقة التصوف – المطبعة العلاوية بمستغانم 1992
- المنجاة – المطبعة العلاوية بمستغانم 1986
- مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد – المطبعة العلاوية بمستغانم 1989
- رسالة الناصر معروف في الذب عند مجد التصوف – المطبعة العلاوية بمستغانم 1990
- المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية الجزء 1 – المطبعة العلاوية بمستغانم 1989
- مظهر البينات في التمهيد بالمقدمات – المطبعة العلاوية بمستغانم 1987
- دوحة الأشرار في معنى الصلاة على النبي المختار – المطبعة العلاوية بمستغانم 1991
- القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول – المطبعة العلاوية بمستغانم 1991
- القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد – المطبعة العلاوية بمستغانم 1992
- نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد – المطبعة العلاوية بمستغانم 1992
- معراج السالكين و نهاية الواصلين – المطبعة العلاوية بمستغانم 1992
- المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية الجزء 2 – المطبعة العلاوية بمستغانم 1994

- الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية (Philosophie Allaouite-Bilingue) – أحباب الإسلام – باريس 1984

- ديوان (مجموعة قصائد) الطبعة 6 – المطبعة العلاوية بمستغانم 1999

- منهل العرفان في تفسير البسملة و صور من القرآن – تاريخ الطبع غير معروف

- البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور – جزآن – تاريخ الطبع غير معروف

- المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية – تاريخ الطبع غير معروف

- القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف – تاريخ الطبع غير معروف

- الرسالة العلاوية في الأحكام الشرعية – تاريخ الطبع غير معروف

- المنهاج المفيد في أحكام الفقه و التوحيد – تاريخ الطبع غير معروف

- أعذب المناهل في الأجوبة و الرسائل – تاريخ الطبع غير معروف

- حكمة – حكم الشيخ العلاوي(Sa sagesse-Bilingue) – تاريخ الطبع غير معروف

- برهان الخصوصية في المآثر البوزيدية –مخطوط – تاريخ الطبع غير معروف

- مفتاح علوم السر في تفسير سورة العصر – تاريخ الطبع غير معروف

- إغاثة المستغيثين برجال الله الصالحين – تاريخ الطبع غير معروف.([1])

---

[1] نيل المغانم من تاريخ و تقاليد مستغانم ص 107

لقد كانت الحقيقة و مازال ضالة الإنسان و هدفه المنشود ، فقد شغلت فكرة في كل المجالات الفلسفية و العلمية و الأدبية و العقائدية ، كما إنشغل منذ القديم بالأمور التالية :

- في الله الخالق وجودا و ذاتا
- في الكون منشأ و نظاما و تطورا و مالا
- في أنظمة سلوك الإنسان و ذاته و معاشه ، و نوع علاقاته مع ربه ، و مع نفسه و مع الآخرين ، من أجل ضمان سعادته و أمنه و رخائه .

فالشيخ العلاوي إلى جانب كونه شيخا متصوفا ، فقد كان متعدد الجوانب ، يهتم بالعلم و المعرفة ، فكان فضوله الفكري يزداد يوما بعد يوم ، و ميله كبيرا للبحث الميتافيزيقي ، كما كان يقدم الحجج و البراهين مستندا إلى النصوص الشرعية .

و بعد إطلاعي على بعض مؤلفاته ، خصصت جزءا من هذه الدراسة للبعض منها و التي تهتم بالمجال العلمي و الفلسفي و الأدبي ، و ذلك حتى أبرز قيمتها و أهميتها .

1) في المجال العلمي :

من خلال كتابه "مفتاح الشهود في مظاهر الوجود" و هو كتاب يبحث في أمور تتعلق بالإعجاز العلمي للقرآن ، و قد قسمته إلى عدة محاور هي :

المحور الأول : يتناول عظمة الله – خلق السموات و الأرض و الموجودات.

المحور الثاني : في علم الفلك – الكواكب السيارة – الشمس و القمر – حركة الأرض – السماء – الخسوف و الكسوف .

المحور الثالث : الأحوال الجوية – نزول المطر – وقوع الرياح و نتائجها .

المحور الرابع : الإنسان الأول و تكوينه .

المحور الأول : عظمة الله و خلق السموات و الأرض و الموجودات :

إن عظمة الله تتجلى في الواحدية (أو الوحدانية) L'unicité ، و التي لا تدرك بلفظ أو إشارة . فهي ذات مجردة ، و نفس مفردة لا تقبل نقصان و لا زيادة.

تم ينتقل إلى وصف الأيام الست التي خلق الله فيها السموات و الأرض ففي اليوم الأول كانت الأشياء منحصرة في علم الله ثم أعطاها الإرادة في اليوم الثاني ، ثم تعلقت بها صفة الكلام بعد الإرادة و هي اليوم الثالث .

ثم تلقتها القدرة عن كلمة "كن" و هو دخولها في اليوم الرابع ، ثم أعطاها السمع و البصر عند إتمام إيجادها و هي اليومان الخامس و السادس.

و أخذت الحكمة الإلهية في تدريج الموجودات إلى أن تم نظام العوالم. ثم أمر تعالى الأجرام على اختلافها أن تأخذ مراكزها و أفلاكها فامتثلت أمر ربها ([1]) .

المحور الثاني : في علم الفلك

فقد تحدث عن عظمة النجوم المنتشرة في السماء، إستنادا لقوله تعالى : " فلا أقسم بمواقع النجوم، و أنه لقسم لو تعلمون عظيم " صدق الله العظيم .

و بكون النجوم تبدو صغيرة و هي على مسافة بعيدة جدا ، فإنها تبدو محتقرة مع أنه جاء ما يدل على عظمتها ، و على أن النجم الواحد يعادل

---

[1] الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي – مفتاح الشهود في مظاهر الوجود – المطبعة العلاوية بمستغانم 1994 ص 24

الأرض أضعافا ، و مما قاله الإمام الغزالي : " أن أصغر النجوم يعدل الأرض ثمانين مرة و منها ما ينتهي إلى مائة و عشرين مرة " ([1]) .

ثم يتكلم المؤلف عن الكواكب السيارة ، موضحا أنها في حركية دائمة رغم أنها تبدو مستقرة في أفلاكها بكون أن الأرض تبدو هي كذلك في أنها مستقرة .

و لهذا تعين أن نرسم دائرة الأفلاك مع ما حوته من الأجرام ([2]) :

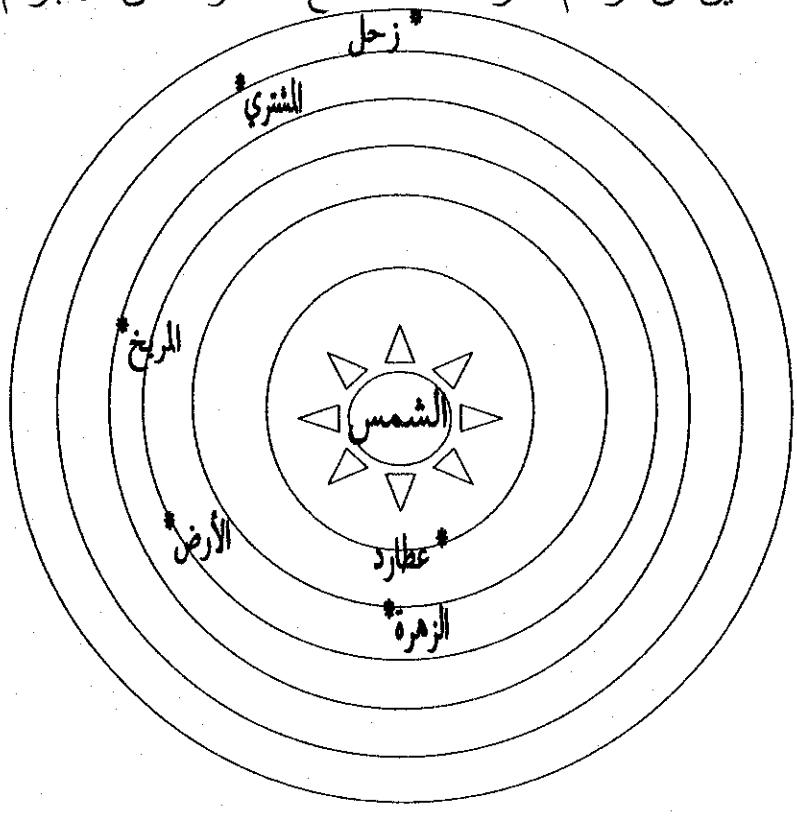

و يقوم بإعطاء وصف لكل واحد من هذه الكواكب :

* **زحل** : و هو نجم كبير الجرم للغاية حتى قيل إنه يعدل بالأرض بما يقرب الثمانمائة مرة ، و هو أنهج الكواكب و أحسنها صورة . و هو لا تؤثر فيه حرارة نتيجة لبعده عن الشمس .

* **المشتري** : و هو كذلك كوكب عظيم ، و إنما يعدل الأرض بما يزيد على ألف مرة ، و هو أشد حرارة و أسرع من زحل .

---

[1] نفس المرجع ص 30
[2] نفس المرجع ص 45

* **المريخ** : و جرمه يعدل الأرض مرة و نصف .

* **الأرض** : و هي مستقر البشرية ، و هي تقطع فلكها في ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما و هي السنة ، و لها قمر و هو المشاهد عندنا ، أما فلكه فمندمج في فلك الأرض ، لأن سماءه هي السماء الدنيا .

* **الزهرة** : و جرمه يقرب من جرم الأرض ، و هي تعطيه من الضياء ما يغنيه عن القمر عند استتار الشمس عنه .

* **عطارد** : و هو أصغر الكواكب ، فجرمه يقرب من نصف الأرض ، و هو شديد الحرارة نتيجة لقربه من الشمس .

* **أما الشمس** : فهي بمثابة روح الهيئة الفلكية ، و وجودها شرط في استمرار الكون ([1]) أي أن وجود الشمس شرط في استمرار الوجود ، و زوالها يؤدي إلى هلاك البشرية جمعاء .

2) في مجال الفلسفة الإسلامية :

من خلال كتابه " الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية " ، يبدي بعض التأملات الفلسفية ، و من خلال استعمال العقل و التفكير ، فهو يدعو الإنسانية إلى التأمل في هذا الكون الذي يحيط بنا ، متسائلا عن أصله و عن ما توصل إليه الإنسان .

و قد قسمت هذا الجانب إلى المحاور التالية :

المحور الأول :

- ماهية الإنسان و تكوينه :

من طبيعة الإنسان أنه يتكون من الجانب العلوي (الملائكي) و الجانب السفلي (الحيواني) .

---

[1] نفس المرجع ص 50

فهو يتكون من ثنائية دائمة ، أو قطبين سالب و موجب و هذه الجدلية تتمثل في :

- ما مدى تخلصه من الجانب السفلي (الغرائز الحيوانية)
- و ما مدى اتصاله و تعلقه بالجانب الروحي .

و بالنسبة للصوفية ، فإن غاية الإنسان هو الوصول إلى هدف واحد و هو معرفة نفسه حتى يصل إلى معرفة الله (المعرفة المطلقة) .

و الشكل التالي يبين وضعية الإنسان الذي يعيش هذه الثنائية ، و التي تكون خصوصية الكائنات البشرية .

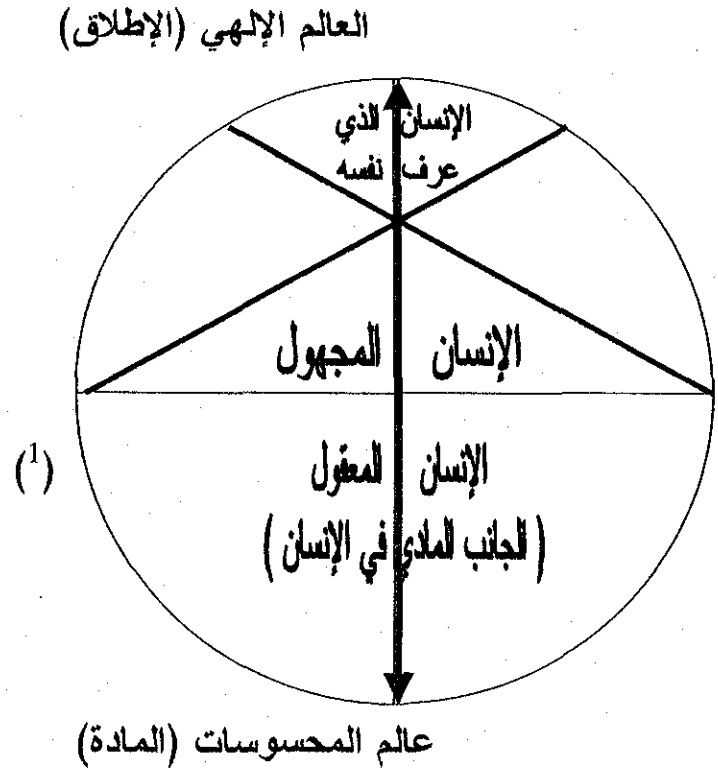

(1)

المحور الثاني :

حفظ ضروريات الحياة من طرف الشريعة الإلهية :

إن مصالح الإنسان لا تخرج عن ثلاثة أنواع :

[1] Cheikh Khaled Bentounes – Conférence : Le soufisme ou la voie du juste milieu – (Au CRASC-Oran le 06/11/1999) P.4

- الضروريات
- الحاجيات
- الكماليات

فالضروريات و هي التي جاء بها الشرع الإلهي ليحافظ عليها و هي : النفس البشرية و العقل و العقيدة و النسل (الجنس البشري) و المال (المادة).

و الحاجيات تتمثل في الحفاظ على حياة الإنسان ، و هي متمثلة في المأكل و المشرب و الهواء و الملبس و المأوى .

و الكماليات ما زاد على ذلك حتى يظهر عدم الإحتياج إليها ، (مثل الأعمال الأدبية و الفنية...) و هي تتمة للحاجيات . كما أن الحاجيات تتمة للضروريات .

و فكرة الشيخ العلاوي حول الحاجيات المادية و النفسية و الفكرية و الاجتماعية للإنسان ، تنطبق مع نظرية أ. ماسلو Abraham Maslow حول الحاجيات الإنسانية و المسماة بسلم أو هرم ماسلو La pyramide de Maslow و هي على الشكل التالي :

1) الحاجيات الفيسيولوجية : كالغذاء و الملبس و المأوى ...
2) حاجيات الأمن : محيط أمني خال من المخاطر
3) حاجيات اجتماعية : علاقات اجتماعية – العمل – الزواج ...
4) حاجيات الاحترام و التقدير : و هي الحصول على منصب أو مركز اجتماعي مرموق .
5) حاجيات تحقيق الذات : أي إبراز الامكانيات و القدرات الشخصية و الإبداعية (كالاختراع و الإبداع الفني و الأدبي...) ([1])

[1] مجلة "الجامعة" عدد 19 عام 1983 – صادرة عن جامعة وهران – عدد مخصص للملتقى الدولي حول الحاجيات الاجتماعية . ص 22

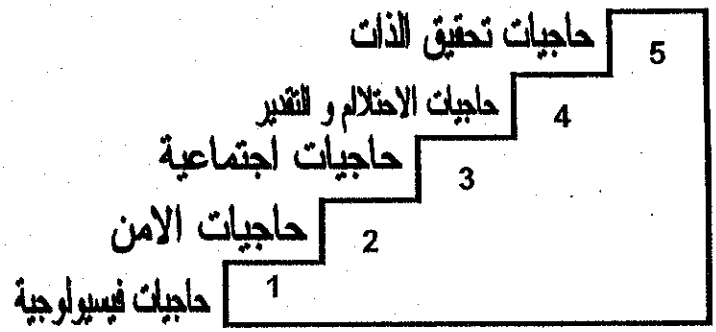

و يتم إشباع هذه الحاجيات بصفة تدريجية ، أي لا يتم الانتقال إلى خاصية دون إشباع ما سبقها من الحاجيات السابقة .

المحور الثالث : أصناف الناس داخل المجتمع :

و هنا يقسم أفراد المجتمع إلى أصناف كثيرة حسب فعاليتهم في المجتمع ، أي الحركة الفكرية و المادية للإنسان .

فالحركة الفكرية توجد فيها طبقات أو أصناف :

الصنف الأول : ليست لهم حركة فكرية في المجتمع .

الصنف الثاني : لهم حركة انتظامية غير أنها مفيدة للغير .

الصنف الثالث : لهم حركة ذات تأثير فعال و هم قادة الأفكار في كل عصر (كالأنبياء و المصلحين و العلماء...) .

أما الحركة البدنية فهي تحتوي بدورها على أصناف ، و هي :

الصنف الأول : لا حركة بدنية لهم و لو فيها ما يعود على أنفسهم .

الصنف الثاني : و هم الذين يقومون بأدوارهم لتعود المنفعة على كل المجتمع.

الصنف الثالث : و لهم حركة بدنية و قوة نفسية ، و هم الملوك و أصحاب الثروة.

المحور الرابع : في كون الإنسان في قومه أشبه بالعضو في البدن :

في هذا المحور ، يتم تشبيه المجتمع بالجسم البشري ، فالإنسان واحد و إن تعددت أفراده في جميع المجتمعات ، لأنه بمثابة العضو في البدن . فهذه الأعضاء تختلف بإختلاف منافعها و وظائفها داخل الجسم الواحد ، فهي تكون بنية واحدة تتكون من عناصر متناسقة فيما بينها ، فأي عضو مهما كان حجمه في الجسم لا يمكن الاستغناء عنه . فضرورة البدن موزعة حسب أعضائه .

و هذه الفكرة نجدها عند الكثير من علماء الاجتماع ، خاصة عند دوركايم ، فالقيم الاجتماعية لها خاصية الإكراه و الضغط على الأفراد ، فكل فرد مجبر على تطبيقها حسب وظيفته و حسب الأنساق الاجتماعية التي تكون البنية الاجتماعية .

هنا ، يستعمل الشيخ العلاوي الرمزية الخاصة بالحركة الجسدية للتعبير عن الجوانب الاجتماعية .

فإذا تأملنا أجسادنا عن قرب نلاحظ ذلك التناغم و التجانس الموجود داخلها. فكل جزء أو كل عضو يتناسب مع الوظيفة التي يقوم بها .

و لهذا لا نستطيع تفضيل أي عضو عن عضو آخر لكن إذا كان كل إنسان يملك عقلا يسيره ، فكذلك يحتاج المجتمع البشري إلى قائد يسير أموره.

فمبادئ تنظيم الحياة الاجتماعية تكون مستمدة من الطبيعة الإنسانية المزدوجة ، أي من القوانين الوضعية أو المادية التي تقوم بتنظيم الحياة الاجتماعية للأفراد . و كذا القوانين الإلهية ، و التي تتعلق بالإنسان "المجهول" أي الإنسان في جانبه الروحي (الإلهي في الإنسان) .

و لهذا ، فإن السلطة الروحية و السلطة الوضعية تكون متصلة فيما بينها من أجل الحفاظ على وجود الإنسانية . لكن الخطر يكمن فقط في عدم الإعتراف بهذه القوانين و إنما في تزييفها كذلك . و يمكن التعبير عن هذه الأفكار في الجدول التالي :

الإنسان بين الحركة الفكرية و الحركة البدنية

الحركة الفكرية (عالم المعقولات)		الحركة المادية (عالم المحسوسات)	
أصناف الناس	ميزاتهم	أصناف الناس	ميزاتهم
مخلوقات لا حركة لها مثل الجماد	ينتفع بها غيرهم (كالصخور و الحجارة)	مخلوقات لا حركة لها البتة	وجودهم في المجتمع مثل العضو المشلول في جسم الإنسان ، فحركتهم بغير انتظام ، ففيها منفعة للمجتمع أحيانا ، و فيها ضرر له أحيانا أخرى .
مخلوقات لها قيمة في عالم المعقولات و لها حركة لا إدارية و غير منتظمة	منفعتها محدودة مثل الأشجار و النباتات		
مخلوقات لها حركة انتظامية و إدارية	ينفعون غيرهم أكثر مما ينفعون أنفسهم ، مثل الحيوان مسخر للإنسان	مخلوقات لها حركة انتظامية	تعود المنفعة على صاحبها ، أكثر ما تعود على المجتمع شريطة أن يكون صاحبها مسخرا لذلك
مخلوقات لها حركة ذات تأثير فعال	و هم قواد الأفكار في كل عصر ، مثل الإنسان ، و خاصة المصلحين	مخلوقات تنتمي إلى الطبقة العليا ، مثل الأمراء و الملوك و أصحاب الثروة	لهم حركة بدنية و قوة نفسية

يلخص هذا الجدول الأفكار التي أتى بها الشيخ العلاوي و المتعلقة بالمحور الرابع الخاص بمكانة الإنسان و أصناف الناس في المجتمع ، و الذي يتلخص في وجود ثنائية بين أصحاب الفكر (العلماء) و أصحاب المال (الحكام) .

فأعطى طبقة على مستوى الحركة الفكرية هم العلماء من رجال الدين ، أما أعلى مستوى الحركة البدنية فأعلى طبقة يمثلها السلطان السياسي و المادي (سياسة و مال و نفوذ) .

المبحث الثاني : الزاوية العلاوية و تأسيسها

الطريقة الشاذلية كمرجعية تاريخية للطريقة العلاوية

تنسب الطريقة الشاذلية إلى أبي الحسن علي الشادلي ، و أصله من منطقة غمارة و هي قبيلة بربرية من الريف المغربي ، حيث ولد سنة (593 و مات سنة 656 هـ) (1196 – 1258 م) ، ثم غادرها و هو صغير السن إلى تونس و استقر بمنطقة الشاذلية التي أخذ منها اسمه ([1]) .

و كان في بداية حياته يقوم بالتجارب في مجال الخيمياء L'Alchimie من أجل تحويل المعادن ، لكنه تخلى عن هذه المهنة فيما بعد .

و أثناء سياحته (الزيارات الروحية) الكثيرة التقى بأبي سعد الباجي أحد اتباع أبي مدين التلمساني ، ثم التقى في العرق بأبي الفتح الواسطي أحد اتباع الرافعي . و بهذا يكون قد اتصل بطريقتين من أهم الطرق الصوفية في طور التكوين .

ثم تم اللقاء مع شيخه و أستاذه عبد السلام ابن مشيش الذي تلقى على يديه التربية الصوفية ، حتى أصبح خليفته و تحصل على مرتبة القطب ([2]).

و قد احدث لقاؤه مع ابن مشيش تغييرا كبيرا في سلوكه و حياته ، فأصبح يتبع حياة الزهد . حيث قام بالصوم لمدة ثمانين يوما . و حسب تعليمات شيخه دخل في مغارة بجبل زغوان بجنوب تونس ، و مكث بها مع مجموعة من اتباعه و اختياره لهذا المكان لم يكن صدفة ، و إنما فيه دلالة رمزية ، فهو من جهة اتبع نفس الطريقة التعبدية لشيخه ، و من جهة أخرى أراد أن يسلك نفس سلوك الرسول (ص) عندما كان يتعبد بغار حراء .

---

[1] Les Voies d'Allah P.104
[2] Les Voies d'Allah P.105

ثم انتقل بعد ذلك ، ليستقر في زاوية ، مما جعل عدد المريدين يزداد بكثرة و كان هذا عاملا مهما جلب إليه الكثير من الشكوك من طرف القاضي الأكبر ابن البراعة الذي اشتكى به إلى السلطان أبي زكريا ، مؤسس الدولة الحفصية (625-647 هـ) (1228-1249م) . و نتيجة لهذا الخلاف سافر أبو الحسن الشادلي إلى مصر مع اتباعه لكن ألقي عليه القبض بالإسكندرية ، لكنه فر من السجن بأعجوبة . و حينئذ وجد نفسه في صراع مع السلطة . مما دفعه إلى السفر إلى بلاد المشرق ليستقر بها نهائيا .

و الجدير بالذكر أن الشيخ أبو الحسن الشاذلي عند مماته ، لم يترك الوصية لأحد أقربائه من أجل خلافته في المشيخة ، رغم أنه كان له طفلان و بنت . و ترك الخلافة لأحد أتباعه و هو أبو العباس المرسي . و من أهم الطرق المنحدرة من الطريقة الشاذلية نذكر ما يلي :

- الجازولية : و التي أسسها أبو عبد الله الجازولي .
- الزروقية : و التي أسسها أبو عباس أحمد زروق .
- اليوسفية : و مؤسسها هو سيدي أحمد بن يوسف الملياني .
- الرازية : و مؤسسها هو أبو الحسن القاسم الرازي .
- الشيخية : و مؤسسها هو سيدي الشيخ عبد القادر .
- الناصرية : و مؤسسها هو محمد بن ناصر .
- الطيبية : و مؤسسها هو مولاي الطيب .
- الحنصلية : و مؤسسها هو أبو عصمان حنصلي .
- الزيانية : و مؤسسها هو سي محمد أبو زيان .
- الدرقاوية : و مؤسسها هو سي مولاي العربي أحمد الدرقاوي .

- المدنية : و مؤسسها هو أبو زيان جعفر بن جمزة المدني ([1]) .

و كان الإتجاه الصوفي الشاذلي المتجدد من طرف الشيخ الدرقاوي ، يهدف إلى جعل الناس يعودون إلى المبادئ الأولى للصوفية ، و إبعادهم عن العالم المادي .

و كانت المبادئ التي طبقتها الطريقة الدرقاوية و هي لم تكن موجودة في الطريقة الأم و هي الشاذلية ، لأن الطريقة الشاذلية تجنبت كل هذه الأمور هي : المشي بأرجل حافية ، و لبس (ملابس مرقعة) ، و هي الخرقة و وضع عمامة خضراء و حمل عصا في اليد . و كذلك سبحة حول العنق و هي كبيرة الحجم مصنوعة من الخشب تحتوي على 100 حبة كبيرة ، مقسمة إلى ثلاثة أقسام ، واحد يحتوي على 50 حبة و قسمين يحتوي كل واحد على 25 حبة ، و العيش بمعزل عن الناس ، و تحمل الجوع ، و التعبد في الليل ، الإكثار من الصلاة ، إلى جانب طاعة الشيخ كل الطاعة .

و قد شارك الدرقاويون في كثير من الانتفاضات سواء في الجزائر ضد الأتراك أم في المغرب ضد السلاطين ([2]) .

و كانت الطريقة الشاذلية تستعمل أساليب تربوية من أجل نشر مذاهب أكبر المتصوفة . و قد تأثرت بمذهب وحدة الوجود عند ابن عربي و الشاعر الصوفي المصري ابن الفارض و هذا المذهب عند الشاذلية يسمى بالتوحيد ، أي وحدة الإله الذي تبنى عليه الديانة الإسلامية . و قد تمسك به الكثير من الشيوخ التابعين لهذه الطريقة مثل عبد العباس المرسي ، أو الشيخ العلاوي في القرن العشرين . و من سوريا الشيخ عبد القادر عيسى ، و عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف سنة 1960 .

---

[1] P.J. André de l'Académie des sciences coloniales- Contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes . Edition la Maison des livres - Alger 1956 page 227

[2] Ibid Page 247

و قد انتقلت هذه الطريقة إلى الغرب لتنتشر في بعض البلدان الأوربية خاصة فرنسا و سويسرا ، حيث قامت مجموعة من المفكرين الغربيين الشاذليين بترجمة النصوص الصوفية و نذكر منهم : René Guenon و Frithjof Schuon و Michel Valsan و Titus Burckardt ([1]) .

و الشيخ الشاذلي يرفض أن تكون له سلطة أو قدرة معينة تقديرا للشرع الإلهي.

و بالنسبة لطقوس السماع التي يمارسها الصوفية بإستعمال الموسيقى فإنه ينبذها لأنها تستعمل الموسيقى التي تشغلهم عن التركيز في عبادة الله .

كما أن الشاذلية قد أبطلت كل مظهر خارجي أو لباس خاص يرمز للإنتماء للطريقة الصوفية .

و الجدير بالذكر أن الطريقة الشاذلية قد تمكنت من الانتشار في وسط العلماء و الشخصيات الدينية ، حيث تمكنت هذه الشخصيات بدورها من الحصول على سلطة روحية .

كما استطاعت الطريقة الشاذلية من الاندماج داخل الحقل الاجتماعي و درجة اندماجها تكون حسب المجتمع الذي توجد فيه . ففي مصر مثلا استطاعت الكثير من فروعها من القيام بنشاطات اجتماعية تربوية و قامت بطبع كتبها و نشر مجلات شهرية كما تملك روضات للأطفال ، و مدارس و مراكز تكوين الكبار و مراكز صحية ... . كما استطاعت " العشيرة المحمدية " من خلال نفوذها في جامع الأزهر الشريف و في وسط رجال الاقتصاد من تأسيس بنك إسلامي في مصر .

إلى جانب ذلك كان من أهداف الطريقة الشاذلية إدخال إصلاحات عن طريق محاربة بعض الممارسات التي لا تتفق مع مذهبها . و هذا الإصلاح

---

[1] Les voies d'Allah T2 page 158

يتم عن طريق التنسيق و التقريب بين مختلف الطرق الصوفية في العالم ، أي الوصول إلى تحقيق " الوحدة الصوفية " " Pan soufisme " ، عن طريق وضع شبكة عالمية و تحقيق مشروع جامعة للتصوف بالقاهرة ([1]) .

و الانفتاح على الحقل الثقافي و الاجتماعي الذي تبينه الطريقة الشاذلية و مشاركتها في مختلف النشاطات الثقافية و الإجتماعية كل هذا كان عاملا مهما في دفع الطريقة العلاوية فيما بعد في القيام بنفس هذه الأنشطة و تنميتها و تطويرها .

[1] Les Voies d'Allah T2 Page 168

التعريف بالزاوية العلاوية

الزاوية : تعريفها و اشتقاقها :

عرف الدكتور رابح تركي الزاوية في كتاب "ابن باديس ، رائد الإصلاح" " بأنها مركز مشايخ الطرق الصوفية " و مفهوم الزاوية السائد في يومنا هذا لم يكن كذلك في فترة الاستعمار ، لأن الزاوية كان لها دور إيجابي في محاربة الاستعمار الفرنسي ([1]) .

و من ناحية الاشتقاق اللغوي ، فكلمة زاوية مشتقة من الإنزواء أي انزوي في زاوية . فالإنسان ينزوي بعيدا لتصفو نفسه و ذهنه و أفكاره معانقة السماء ، مقتربة من ملكوت الخالق العظيم ([2]) .

و الزاوية هي في الأصل ركن البناء ، و كانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي ، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى . و لا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في الشرق .

إلا أن مصطلح " زاوية " ظل سائدا في شمال إفريقيا ، إذ يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني ، و هي تشبه الدير أو المدرسة .

و قد استعملت مصطلحات أخرى تدل في معناها على بنايات لها نفس الدور مثل الزاوية ، مثل الدير و الخانقاه و التكية التي كانت تطلق بصفة خاصة على المنشآت الصوفية التي يرجع أصلها بصفة عامة إلى التصوف الإسلامي عند الفرس . غير أن مصطلح "زاوية" ظهر في المغرب خلال

---

[1] قادة بحيري – مقال حول "الشيخ البوعبدلي" جريدة الشروق الثقافي عدد 1 سنة 1993

[2] د. قدور إبراهيم عمار – زاوية سيدي محمد بن عمر – تاريخها و نشأتها – ديوان المطبوعات الجامعية – المطبعة الجهوية بوهران 1997 ص 32

القرن الثالث عشر مرادفا للرابطة ، أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي و يعيش وسط مجموعة من التلاميذ أو المريدين ([1]) .

أنماط الزوايا :

و مما يجدر ذكره أنه نظرا للدور الذي تلعبه الزاوية في حياة الفرد و المجتمع على السواء يمكن تمييز أنواع ثلاثة منها :

1- الزاوية السلوكية : التي ترسم لأتباعها منهاجا يلتزمه كل مريد ينتسب إلى شيخ عارف بمراتب السلوك ، و تلقين الأذكار و التعاليم الروحية لأتباعه الذين يشرف على تربيتهم و ترقيتهم لمقام المعرفة و اليقين ، كما يسعى إلى استجلاب الوسائل الكفيلة بتبليغ تعاليمه إلى المجتمع بإنشاء الزوايا و تأليف الكتب و الرسائل ، و إقامة التجمعات و تنظيم السياحات و غيرها من الوسائل التي تحقق رسالة الشيخ المرشد .

2- زوايا التبرك : و يتمثل دورها الأساسي في استقبال الزوار و المنتسبين إليها محبة في أهل الزاوية ، إضافة إلى تعليم القرآن و إقامة المواسم الدينية و إيواء الغرباء و أبناء السبيل ، و الإصلاح بين الخصوم ، و إنهاء الخلافات التي قد تحدث غالبا بين الأفراد أو القبائل ، و هو دور مهم كانت تقوم به هذه الزوايا أثناء فترة الاستعمار ، و ما تزال تقوم بمهمتها الاجتماعية بعد استقلال الجزائر حتى اليوم .

3- الزوايا التعليمية : التي أنشئت لغرض تعليم القرآن الكريم و تلقين العلوم الدينية و اللغوية ، و غالبا ما تقام بجانب ضريح ولي صالح تحمل اسمه فيقال : زاوية سيدي الجيلالي ، و زاوية سيدي منصور ... . أو يقوم على شؤونها أحد العلماء الأعيان فتنسب إليه أيضا ، و

---

[1] أحمد الشنتاوي –دائرة المعارف الإسلامية – المجلد العاشر – دار المعرفة – بيروت 1933 .

إذا مات انتقل تدبيره إلى أحد أفراد أسرته ممن تتوفر فيه الأهلية العلمية ، و إن انعدم أسندت مهام الزاوية إلى جماعة من سكان القبيلة يرأسها (وكيل الزاوية) الذي يقوم بالإشراف على مواردها المادية و صرفها في مصالح الزاوية و طلبة العلم ، و إذا ظهر تقصير في مهمته أو إخلال بالمسؤولية عرض نفسه للعزل و الإقصاء في اجتماع تعقده الجماعة و رؤساء القبيلة بمقر الزاوية ، لإختيار وكيل آخر تتوفر فيه الكفاءة و الإخلاص و يوجد أغلب هذه الزوايا بمنطقة الشرق الجزائري ([1]) .

---

[1] نيل المغانم من تاريخ و تقاليد مستغانم ص. 80 .
و كذلك ما جاء في المحاضرة التي ألقاها الأستاذ يحي طاهر برقة في الأيام الدراسية للتراث الروحي (جامعة مستغانم) من 21 إلى 23 ماي 2001 .

الدلالة الرمزية للموقع الجغرافي للزاوية العلاوية

إن تسمية الزاوية تدل على أنها بقعة من الأرض ، جاءت من انزوائها بعيدا عن بقية المناطق المتقاربة من بعضها إلى هذه البقعة . و هذا من سمات العبادة و مزايا الزهد و التهجد . و الابتعاد عن ملذات الحياة . فالإنسان ينزوي بعيدا لتصفو نفسه و ذهنه و أفكاره معانقة السماء مقتربة من ملكوت الخالق العظيم ([1]) .

لكن الموقع الذي تقع فيه الزاوية العلاوية ، و هو حي تجديت العتيق بمستغانم الذي كان يسمى بالحي الإسلامي Quartier Musulman ، و هو حي شعبي عتيق و له رمزية تاريخية حيث كان يمثل في الفترة الاستعمارية المنطقة التي سكنها الجزائريون من الطبقات الشعبية و كان يقابله ما يسمى "بالحي الأوربي" Quartier Européen و هو وسط المدينة حاليا ، و يفصل بين الحيين أخدود أو واد يسمى بوادي عين الصفراء ، و لا زال موجودا لحد الآن و يقسم المدينة إلى قسمين . فالمفارقة تتمثل في أن وسط المدينة مبني ببنايات ذات الطراز الأوربي ، و أما حي تجديت فمساكنه ذات طابع تقليدي و هذا الجانب قد ذكره الدكتور Marcel Carret ، و هو طبيب فرنسي ، كان قد تعرف على الشيخ العلاوي و قابله عام 1920 ، ثم أصبح يعالجه خلال فترة زمنية طويلة . فقد وصف ذلك في كتابه "مستغانم أحد الأماكن القليلة في الجزائر التي يعيش فيها الأوروبيون و العرب في حيين منفصلين أحدهما عن الآخر . و قد كانت طبيعة أرضها هي التي جعلتها على ما هي عليه الآن . فهنا يفصل بين الحيين الأوربي و العربي أخدود عميق مما جعل كلا منهما يحتفظ بخصائصه ، و يعيش في الحي الإسلامي وحده

---

[1] د. قدور إبراهيم عمار – زاوية سيدي محمد بن عمر – تاريخها و نشأتها – ديوان المطبوعات الجامعية – المطبعة الجهوية بوهران 1997 ص 32 .

نحو أثنى عشر ألف أو خمسة عشر ألف نسمة و يطلق عليه اسم "تجديت" . و فيه عاش الشيخ العلاوي ، و هنا بنيت الزاوية مطلة على البحر ، تلك الزاوية التي بفضله اشتهرت و التي تحتوي على مقامه الذي دفن فيه" ([1]) .

و هذا المحيط الثقافي و الاجتماعي الذي نشأت فيه الزاوية العلاوية له أبعاد دلالية ، حيث مكن شيوخ الزاوية من الاحتكاك مباشرة بالفئات الشعبية التي تحتوي على الكثير من الشرائح الاجتماعية ، حيث ظهرت فيها الكثير من المهن و الحرف التقليدية ، كما وجدت فيها نسبة من الشباب المنحرف . و التي لا زالت لحد الآن موجودة في الذاكرة الشعبية لسكان هذه المدينة ، على أن ذلك الحي الشعبي يعتبر رمزا للمخاطر و الإنحرافات .

فقد وجدت الزاوية العلاوية في الوسط الملائم ، من أجل انتشارها داخل الحقل الاجتماعي و القيام بدورها الاجتماعي و الثقافي و التربوي .

إنشاء و بناء الزاوية العلاوية

أما فيما يخص تشييد الزاوية العلاوية ، فقد قامت مجموعة من الفقراء (*) شراء قطعة من الأرض و قدمتها هدية للشيخ ، إلا أن ما صاحب عام 1914 من قلاقل و اضطرابات أوقف العمل بالمشروع إلى أن استأنف مرة أخرى عام 1920 .

و الطريقة التي بنيت بها الزاوية المذكورة طريقة بليغة و ذات دلالة . فلم يكن هناك مهندس معماري بالمعنى العادي للكلمة أو رئيس بنائين . و جميع العمال من المتطوعين . و الشيخ نفسه هو المهندس المشرف على

---

[1] د. مارسيل كاري – ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي–المطبعة العلاوية بمستغانم 1987 ص 9 .

• فقراء جمع فقير : و هو المحتاج أو المعدم ، و في المفهوم الصوفي هو الفقير إلى الله و يرمز إلى المريد في الطريقة الصوفية (من كتاب التصوف قلب الإسلام) للشيخ خالد بن تونس ص 333 .

2) جمعية الشيخ العلاوي للثقافة و التراث الصوفي

تأسست هذه الجمعية سنة 1990 و مقرها بمدينة مستغانم و هي تنشط على المستوى الوطني . و عملها يكمن في إقامة نشاطات ثقافية و علمية و اجتماعية ، حيث تشرف سنويا على إقامة الملتقيات الثقافية و العلمية في مختلف المواضيع انطلاقا من الميراث الصوفي . و أبرز حدث هو تنظيم الاحتفال السنوى الذي ينظم عادة في شهر أكتوبر من كل سنة حول الاحتفال بذكرى وفاة الشيخ العلاوي أو أحد خلفائه من الشيوخ ، و تلقى فيه عدة محاضرات من طرف باحثين و أساتذة جامعيين و تقام معارض للكتب و الصور و الأشرطة ، و كلها تحت إشراف الشيخ الحالي الشيخ خالد .

إلى جانب هذا ، تقوم الجمعية بأنشطة أخرى متمثلة فيما يلي :

- فرقة مسرحية و فرقة للأناشيد الدينية للأطفال
- ورشة للخياطة
- مجموعة صوتية للأناشيد الدينية
- ختان الأطفال
- قفة رمضان

3) جمعية " أرض أوربا " Terre d'Europe

تأسست سنة 1999 بباريس من طرف الشيخ خالد بن تونس و نشاطها مثل جمعية أحباب الإسلام ، ينحصر في إقامة نشاطات علمية خاصة بفرنسا و السعي وراء إقامة حوار و تواصل بين مختلف الأديان .

و في الثمانينات قامت الجمعية بتنظيم مؤتمر عالمي حول المرأة و آخر حول التربية كما تم لأول مرة إدخال القرآن الكريم في الإعلام الآلي([1])

---

[1] مجلة Terre d'Europe العدد 4 جانفي 2002 ص 2 .

كانت عند الشيخ العلوي نفسه ، حيث قام بإنشاء جمعيات في المجال الثقافي و المسرحي و الرياضي ، و تم تطوير هذه العملية عند شيوخ الزاوية الذين خلفوه في المشيخة . أما الجمعيات التي لا زالت متواجدة و تنشط لحد اليوم فهي كالتالي :

1) جمعية أحباب الإسلام "Association "Les amis de l'Islam

تأسست هذه الجمعية من طرف الشيخ عدة بن تونس الخليفة الأول للشيخ العلاوي ، سنة 1948 . و كان دورها منحصرا خاصة في نشر الدين الإسلامي في أوساط المجتمعات الأوربية .

ثم أصبح ينشطها الشيخ خالد بن تونس (الشيخ الحالي للطريقة) سنة 1981 بباريس و لها مكتب ببلجيكا . و هي تنشط على مستوى المجتمعات الأوربية و نشاطها ينحصر خاصة في التواصل و الحوار بين الحضارات ، و كذلك الاتصال بالشباب و توعيته من الناحية الدينية و الأخلاقية عن طريق نشر الثقافة و التربية الروحية ، و إقامة نشاطات علمية و ثقافية مختلفة منها : الدروس ، و المحاضرات و الملتقيات و الرحلات الثقافية و الندوات و المؤتمرات و المنشورات و تشجيع اللقاءات و الحوارات المثمرة بين المؤمنين من مختلف الديانات و بين غير المؤمنين .

كما تشجع كل مبادرة لتكوين و تحقيق التقنيات في مجال الري و الفلاحة و الحرف التقليدية و التقنيات الطبية البسيطة و ذلك من أجل مساعدة الشعوب المحتاجة . و لها مجلة تحمل نفس الاسم ، و تنشر كل ثلاثة أشهر و تصدر بأوربا

الصحافة و الإعلام :

جريدة (لسان الدين) :

و هي جريدة دينية إسلامية نصف شهرية ، تأسست سنة 1936 . و كان هدفها نشر المبادئ الدينية و التعاليم الإسلامية بين أبناء الجزائر ، و الدفاع عن القيم الروحية للطريقة العلاوية ، و الدعوة إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية المتردية في أوساط الشباب الجزائري المسلم .

مجلة المرشد :

تأسست هذه المجلة سنة 1946 م و كانت تصدر باللغتين العربية و الفرنسية ، و كانت أهداف هذه المجلة تتمحور فيما يلي :

- التصدي بصرامة و الوقوف ببسالة أمام التحديات التي يفرضها المستعمر على الدين الإسلامي .
- الدفاع عن التصوف المبني على الكتاب و السنة .
- إيقاظ الوعي الإسلامي و الدعوة إلى التمسك بالمبادئ و القيم الإسلامية.
- تطهير القلوب و النفوس من البدع و الخرافات ([1])

الحركة الجمعوية داخل الزاوية العلاوية

بكون الزاوية العلاوية تعتبر قطبا روحيا و ثقافيا متفتحا و مندمجا داخل الحقل الاجتماعي ، من أجل نشر المبادئ الإسلامية و الإنسانية عبر منهجها الصوفي داخل و خارج الوطن ، فقد وضعت آليات من أجل نشر هذه الرسالة ، و من بينها إنشاء جمعيات تابعة للزاوية العلاوية . و هذه الفكرة

[1] نفس المرجع السابق ص 97 .

- **مدرسة للتربية و التعليم :**

و قد تم إنشاؤها في سنة 1945 ، في حي بوسط البلاد كان يسمى بالحي الأوربي بعد أن تم إدماجها بأساتذتها و تلاميذها و تجهيزاتها ضمن (مدرسة الحركة الوطنية) لتصبح مدرسة واحدة .

- **بناء مسجد و معهد :**

لقد تم الموافقة على بناء هذا المشروع بعد موافقة كل الفقراء و المقدمين ، و كان ذلك بمناسبة نهاية الاحتفال السنوي لسنة 1947 . و كانت هذه المؤسسة مقابلة لمقر الزاوية و قد أنشئ فيها مسجد للصلاة و معهد لتعليم القرآن الكريم و الفقه الإسلامي . لكن المشروع لم يكتمل بناؤه بسبب انشغال الشيخ بأمور أخرى و نتيجة لأسباب صحية فأجل المشروع إلى فترة خليفته الشيخ الحاج المهدي ، الذي أنجز نصف المشروع و بدأت الدراسة فيه سنة 1968 ، كما أصبح المسجد جاهزا لإقامة صلاة الجمعة .

إنشاء الجمعيات

- **جمعية الشبان العلاويين :**

تأسست هذه الجمعية سنة 1936 ، و كان هدفها تربية الشبان العلاويين تربية أخلاقية تهذيبية استنادا لتعاليم الشريعة الإسلامية ، و ذلك من أجل مواجهة سياسة التغريب التي كانت تنتهجها السلطات الاستعمارية .

- **إحياء جمعية التنوير :**

لقد قام الشيخ عدة بإعادة إحياء نشاطات جمعية التنوير التي أسسها الشيخ العلاوي و تتلخص هذه النشاطات في تنوير مساجد أهل الله و إصلاح الزوايا ، و القيام بما تحتاجه من عمارة و إصلاح و ترميم .

المخلوقات تسبح بحمد الله ، بما فيها الذرة و هي أصغر جسم في العالم يحمل اسم الله . فإذا تعلم الطفل كل هذه المبادئ تصبح كل أعماله متوجهة لإنقاذ الإنسانية و ليس إهلاكها ([1]) .

انطلاقا من هذه المبادئ كلها ، لا زالت الزاوية العلاوية تسعى من أجل غرس هذه التربية الروحية في نفوس الشباب من خلال إنشائها للجمعيات في مجالات متعددة منها المسرح و الصحافة و الرياضة و المخيمات الصيفية و المجموعات الصوتية و ورشات الخياطة ، إنشاء حضانة للأطفال ، و ختان و الأطفال تنظيم مائدة رمضان ، و إقامة الملتقيات ... .

و مما يجدر الإشارة إليه أن الشيخ عدة بن تونس الخليفة الأول للشيخ العلاوي كانت له مواقف كثيرة في نشر العلم و تأسيس الجمعيات المختلفة ، حيث كان يرى أن العلم هو الوسيلة الأولى للنهوض بالبلاد ، و إخراجها من دائرة التخلف التي فرضها الاستعمار ، و يقول الشيخ في الحث على طلب العلم :

قوموا بنا نحي الدروس فبالعلم تحيا النفوس

فنجتني ثمر الغروس و نحتفظ بعزنا ([2])

و تجسيدا لهذه الفكرة المتعلقة بإبراز الدور التربوي و التعليمي للزاوية فقد تم إنشاء المؤسسات التالية في عهد الشيخ عدة :

---

[1] هذه العبارات قالها الشيخ خالد بن تونس (الشيخ الحالي للطريقة العلاوية) خلال لقائي معه بتاريخ 2002/06/09 بمقر الزاوية العلاوية .

[2] عوض الله بن حسن مصطفى البحيصي – من أعلام الاصلاح الديني – الشيخ العلامة عدة بن تونس – المطبعة العلاوية مستغانم ص 60

بغض النظر عن الوظيفة الروحية التي لعبتها و لازالت تلعبها الزاوية العلاوية ، و المتمثلة خاصة في نشر (التربية الروحية و الثقافية الصوفية) سواء داخل الوطن أم في الدول الأجنبية خاصة الأوربية منها ، و من خلال الدور الذي يقوم به الشيخ الحالي للطريقة ، و ذلك عن طريق مواصلته للنهج الذي اتبعه الشيخ العلاوي و المتمثل في أسلوب التواصل الثقافي كوسيلة للغوص في أعماق المجتمعات الأوربية ، و هذا يتمثل في الطابع الخصوصي للزاوية العلاوية من خلال الاستراتيجية التي رسمتها في توجهها الصوفي .

فبغض النظر عن هذا الجانب و الدور المهم ، هناك أدوار أخرى مكملة و المتمثلة في الجوانب الثقافية و الاجتماعية المتعددة التي قامت و لازالت تقوم بها الزاوية العلاوية عبر مراحلها التاريخية بداية من الشيخ العلاوي إلى خلافائه في الطريقة.

فالطريقة العلاوية ، و من أجل الاندماج في الحقل الثقافي و الاجتماعي، قامت مند تأسيسها بعدة نشاطات في المجال التربوي و الثقافي و الاجتماعي. و كانت كل هذه الأنشطة من شأنها تربية الأطفال خاصة الموجودين في الأحياء الشعبية بمدينة مستغانم و تعميمها على كل المناطق الأخرى. لأن حسب الشيخ خالد أنه من أجل نشر السلام و الإخاء في المجتمع و حتى في العالم، و من أجل محاربة العنف و الإجرام بكل أنواعهما يجب البدء بالدرجة الأولى بالتنشئة الاجتماعية Socialisation و التربية الروحية مند الصغر ، حيث تكون بمثابة تربية الأطفال مند صغرهم بإحترام كل المخلوقات الموجودة في هذا العالم سواء البشرية أم الحيوانية و حتى الطبيعية أي قدسية الحياة La Sacralité de la vie فإذا تعلم الطفل كيف يحترم الطبيعة بعدم إفساد النباتات أو عدم حرق الأشجار ، كون هذه

و كانوا قد رحلوا عن ديارهم يحدوهم حماس شبيه بحماس تلك الطلائع الأولى للباحثين عن الذهب ، إلا أنهم لم يهاجروا مثلهم بحثا عن غنائم زائلة بل كان مطلبهم روحانيا ، و كانوا على ثقة من أنهم غير مخدوعين و أن مسعاهم لم يخيب و لقد راقبتهم في سلوكهم و صمتهم يتنفسون عبير الجو المحيط بهم ، و كأنهم غارقون في بحر من الألوهية لمجرد وجودهم في هذا المكان الذي تحتويهم قدسيته بعد أن تحقق لهم مرادهم . وقفوا في حضرة الله و هم مستبشرون راضون عن أنفسهم ([1]).

و تقع هذه الزاوية الأم بحي تجديث بمستغانم ، و هي تطل على ساحل البحر ، و تشتمل على بيوت و محلات ، محل لقراءة الصبيان و محلات للمجردين للذكر في الخلوات ، و مسجد عظيم لإجتماع الفقراء فيه للذكر و الصلوات و إنشاد القصائد ، و فيه محلات للضيوف و محل كبير فيه مطبعة كبرى مستوفية لجميع المواد المطبعية ، و هي خاصة لطبع (البلاغ) و (لسان الدين) و كل مؤلفات الزاوية . و هناك أيضا فرن كبير لطبخ الخبز بآلات عصرية ، و ترك وصية حبس فيها كل ما يملكه على من يؤم الزاوية من الفقراء و الطلبة ([2]) ، و الدروس العلمية التي اشترط المحبس لزومها في الزاوية .

كما بني ، فيما بعد ، في كل مدينة أو قرية عدد من فروع الزاوية ، و التي يشرف على كل منها "مقدم" أولاه الشيخ ثقته و خصه بنفوذه .

---

[1] نفس المرجع ص 22

[2] نيل المغانم من تاريخ و تقاليد مستغانم ص 106

المشروع و لا يعني هذا أنه وضع تصميما أو عالج مثلثا للرسم الهندسي . و كان يكفي أن يعبر ببساطة عما يريد ليعي البناؤون مراده ([1]) .

و لم يكن جميع هؤلاء من أبناء المنطقة . فقد وفد الكثيرون من مراكش و من منطقة الريف بالذات بينما أتى البعض الآخر من تونس . و جميعهم وفدوا بمحض اختيارهم . فقد كان يكفي أن تتطاير الأنباء عن قرب استئناف العمل في الزاوية ليبدأ تلاميذ الشيخ و مريدوه من منطقة المغرب العربي زحفهم على دفعات ، بعضها من البنائين و البعض الآخر من النجارين ، و غيرهم من قاطعي الأحجار و عمال التراحيل هؤلاء جميعا من اليدويين ، و قد طوى كل منهم بعض الزاد في منديله و سلك طريقه إلى تلك البلدة البعيدة حيث يعيش شيخه ليضع تحت تصرفه عمل يديه . و لم يكن هؤلاء ليقبلوا أجرا على عملهم . كل ما في الأمر أنهم كانوا يطعمون و يقيمون في خيام أعدت لهم . ثم إن الشيخ كان يجمعهم مع حلول المساء و لمدة ساعة قبل الصلاة ليلقنهم تعاليمه الروحية . و كان لهم في ذلك جزاء على عملهم .

و كانوا يعملون على هذا المنوال لشهرين و في بعض الأحوال لثلاثة أشهر ثم يرحلون إلى ديارهم فرحين لما أسهموا به من جهد في هذا المشروع راضين بما عمرت به أرواحهم من سكينة و إيمان . ثم إن آخرين كانوا يأخذون أماكنهم ليرحلوا بدورهم ، و لم ينقطع سيل المتطوعين و استمر الحال على هذا لمدة عامين تم بنهايتها ذلك البنيان الشامخ ([2])

و إذ انتهى العمل بالزاوية ، أبدى الفقراء رغبتهم في إقامة حفل كبير بمناسبة افتتاحها ، فوافق الشيخ على ذلك .

---

[1] نفس المرجع السابق ص 17

[2] نفس المرجع ص 18

4) جمعية " لقاءات " Rencontres

تأسست هذه الجمعية سنة 1988 ، و مقرها الحالي بالجزائر و هي تنشط فقط على مستوى الجزائر العاصمة ، عن طريق الحوار و التواصل بين الأديان و الجمعيات عن طريق مخاطبة الجالية الأوربية المتواجدة بالجزائر العاصمة فقط

5) الكشافة الإسلامية بفرنسا Scout Musulman de France

تأسست سنة 1988 من طرف الشيخ خالد بن تونس ، و هي تنشط فقط بأوربا و خاصة بفرنسا و هولندا و بلجيكا ، و هدفها تأسيس فرق للكشافة الإسلامية ذات مبادئ مأخوذة من الميراث الصوفي للطريقة العلاوية

6) جمعية التراث الروحي للشيخ العلاوي بالمغرب

تأسست سنة 1997 من طرف الشيخ خالد ، و هي تنشط على مستوى المغرب الأقصى و نشاطها ينحصر في إقامة نشاطات ثقافية و علمية و اجتماعية و يقوم بتسييرها فقراء تابعين للطريقة العلاوية بالمغرب .

الفصل الثالث

الفصل الثالث : الطقوس الدينية و نظام التفاعل داخل الزاوية العلاوية

المبحث الأول : الطقوس الدينية ، وظيفتها و ديناميكيتها

إن الطقوس الدينية لدى الصوفية كلها عبارة عن رمزيات ، لأنها تعبر عن عالم باطني غير مرئي ، و هذا نتيجة لإنفرادهم بأسلوب خاص تميزهم عن بقية أفراد المجتمع .

لذلك ، سيخصص هذا الجزء لدراسة الطقوس الدينية من حيث مفهومها و أصنافها و وظائفها و ديناميكيتها .

الطقوس : مفهومها :

إن كلمة طقس Rite كلمة مشتقة من اللاتينية Ritus ، و هي تعني عادات و تقاليد مجتمع معين ، كما تعني كل أنواع الاحتفالات و المعتقدات الدينية مثل مراسيم دفن الموتى و الأعراس أو الأعياد الدينية ... .

و الطقس يمثل أساسا ، من خلال تكرار و استدامة القواعد التي تثبته إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده . فهو استنادا إلى ذلك ، إعادة بعث أو استعادة لماض غامض غالبا ... . فالطقس ليس قبل كل شيء سوى سلوك فردي أو جماعي ، يتضمن من خلال التكرار و عبر كل زمن و جيل ، استمرارية ماض ما ، مهما تكن طبيعته ([1]) .

فكل حركة تصدر عن الإنسان ، كالتحية و طرق اللباس و الجلوس و شتى الاحتفالات ، هي طقوس ، لكن ستظل بدون معنى إذا ما لم تدخل في

[1] Toualbi Noureddine - Religions, Rites et mutations – ENAL – Alger 1984 P.35 .

إطارها و بنيتها ، و تبرز في علاقات ذات معان و دلالات تستدعي الاهتمام و الدراسة ([1]).

فالطقس أو الشعيرة هو الجانب النشط الذي يمكن ملاحظته من السلوك الديني. و هو يحتوي على أنواع معينة من السلوك مثل ارتداء ملابس معينة، التضحية ، تراتيل معينة ، الصمت و الخلود إلى العزلة ، الصلاة ، التسابيح، الصيام ، الرقص، التلاوة... .

و طبيعة الطقس الديني لا تعتمد على الأشياء المقدسة نفسها و لكن على الحالة العقلية و الإنفعالية التي يكونها أفراد الجماعة نحو هذا الطقس .

و فيما يخص مكان و زمان و كيفية أداء العبادة ، فإنه قد خصصت لها أماكن للعبادة (الزاوية ، غرفة خاصة بممارسة الخلوة...) .

و بالنسبة للوقت الذي تمارس فيه فقد تم تحديد أوقات و أيام و شهور و مواسم مقدسة التي يعتقد أنها أفضل من غيرها لممارسة أفعال العبادة .

و طريقة تأديتها تكون في عدة أشكال إما بواسطة التركيز و الصمت (الخلوة) أو بواسطة التعبير عن ذلك في صوت و كلمات مسموعة (حلقات الذكر و السماع) أو عن طريق استخدام حركات جسدية مثل الوقوف و الركوع و الرقص (الحضرة) .

تحليل الطقوس الدينية :

من أجل دراسة الطقوس الدينية عند الصوفية ، فإنه يجدر بنا القيام بتحليل بنيوي-وظيفي للطقوس التي تمارس داخل الزاوية و تقسيمها إلى العناصر التالية :

---

[1] مريم بوزيد مذكرة ماجستير : "المقامات و إشكالات تملك الفضاء و الخطاب" دراسة إناسية لمنطقة بحارة (بومرداس)- جامعة الجزائر 1993 ص 28

1- تصنيف الطقوس الدينية

2- بنيتها

3- وظائفها

① تصنيف الطقوس الدينية :

إن هذا التصنيف يعطينا فكرة عن أشكالها المتعددة ، من خلال ممارستها في مختلف المجتمعات الإنسانية و حتى الحيوانية .

فمارسال موس M.Mauss يقوم بالتفريق بين شكلين من الطقوس ([1]).

- الطقوس الإيجابية Rites positifs : و هي تكون عن طريق المشاركة في الفعل الذي يكون جماعيا (الصلاة – الأضحية – القرابين ...)

و هذا ما نجده عند الصوفية في مختلف الطقوس الجماعية . ففي الحضرة يقوم الفقراء بحركات جماعية شاقة ، هناك القليل الذي يستطيع تحملها و من هنا تكون التضحية بالجانب المحسوس و هو الجسد ، من أجل الارتقاء إلى العالم الروحي .

- الطقوس السلبية Rites négatifs : و هي تتمثل في الطابوهات أو المحرمات الجنسية و الغذائية (عن طريق الصوم و التقشف...) . و هذا يمكن تطبيقه على طقس الخلوة ، حيث يقوم الشخص بالاختلاء بمفرده للقيام بمجاهدة النفس عن طريق ترك ملذات الحياة فهو يصوم لعدة أيام ، و لا ينام كثيرا ، و ينقطع كلية عن العالم الخارجي.

و هذه الطقوس تكون فردية ، أي أن الفرد هو الذي يتحملها لوحده .

---

[1] Claude Rivière Socio-anthropologie des religions - Armand Colin - Paris 1997 page 81

أما تورنر Turner ، فيميز بين الطقوس الخاصة بالكوارث (الجفاف ، الحرب ، المرض...) و الطقوس الخاصة بالسعادة التي تأتي من جراء نزول المطر و الخصوبة و الولادة و الزراعة ... .

أما A.Van Gennep ، فقد درس طقوس الانتقال Rites de Passage ، و هي تتمثل في إقامة طقوس و احتفالات معينة تختلف من مجتمع لآخر لإبراز مختلف مراحل الحياة التي يمر بها الفرد .

ففي بعض القبائل تقام طقوس خاصة بالولادة ، ثم عندما يصبح الفرد محاربا ، و عند بلوغه سن الكهولة ، ثم الزواج ثم الموت . و كل مرحلة تسجل الانفصال عن المرحلة السابقة .

أما هيكسلي J.Huxley المختص في دراسة سلوك الحيوانات Ethologie فقد أوضح أن هناك طقوس تؤدي من طرف الحيوانات ، مثل التخويف (الصراخ ، نفخ الجسد أو تحريكه...) ، أو الخضوع (الانحناء ، أو الفرار) ، أو السكون (عدم الحركة) أو الإغراء (الرقص الإيقاعي ، الغناء...) أو عن طريق تحديد منطقة النفوذ (بترك البقايا...) ([1])

② بنية الطقوس الدينية :

للطقس الديني بنيته الخاصة به تتكون من عدة عناصر داخلية متناسقة و متكاملة فيما بينها ، من أجل الحفاظ على الطقس نفسه و استمرارية حركيته ، و هذه العناصر هي :

2-1 : مجموعة من الأدوار :

إن كل عضو في المجموعة يقوم بدوره دون الإخلال بها ، من أجل إحداث انسجام في أداء الأدوار ، و المحافظة على وضعية كل واحد .

[1] Socio-anthropologies des religions page 82

ففي الحضرة ، يقف القطب في وسط الدائرة ، مثل قائد الفرقة الموسيقية ، لكي يشرف على ممارستها و حسن تنظيمها ، فيقوم من حين لآخر بالتصفيق باليدين ، إذا لاحظ عدم انتظام في الصفوف ، و بإمكانه إيقاف الحضرة إذا لاحظ أن هناك إرهاقا شديدا لدى الفقراء . و نفس النظام موجود في الطقوس الأخرى ، و هذا كله من شأنه المحافظة على شكل و بنية أية ممارسة دينية.

2-2 : تكوين مجموعة من القيم الأخلاقية :

من خلال اللغة الرمزية تعبر المجموعة عن طموحاتها الأساسية ، و يظهر ذلك من خلال القيم الأخلاقية المعبر عنها في السلوكات الخارجية ، المتمثلة في الأعمال الخيرة المنصوص عليها في ديننا الحنيف .

2-3 : ظروف ممارسة الطقوس :

- توفر مكان العبادة : الزاوية .
- تحديد الزمان : غالبا ما يكون زمان القيام بالطقس بموافقة الشيخ أو المقدم و تحت رقابته
- توفر لون اللباس المناسب : عموما ، يفضل الفقراء العلاويون إرتداء الملابس البيضاء عند تأدية الطقوس الدينية ، لأن اللون الأبيض يساعد على التركيز ، و يمنع تشويش النفس و اضطرابها .
- القيام بحركات جسدية و شفوية (قراءة الأذكار ، السماع ، حركات الرأس و الرجلين في الحضرة...) و هي متعارف عليها في كل طريقة صوفية .

2-4 : نظام للإتصال :

إن بنية الطقس تستدعي كذلك وجود لغة خاصة مختلفة عن اللغة العادية ، يتفاهم بها الفقراء فيما بينهم ، و هي التي تمكنهم من توطيد الروابط فيما بينهم من جهة ، و تبليغ رسالتهم للآخرين من جهة أخرى .

③ وظائف الطقوس الدينية :

يقوم علماء الانتروبولوجيا الدينية و الاجتماع عند دراستهم لظاهرة دينية في ثقافة معينة بطرح السؤال : ما فائدة الطقوس الدينية و ما هي وظيفتها ؟ .

و يمكن ذكر الوظائف التالية :

3-1 : وظيفة وسطية تربوية :

عندما يقوم الطقس الديني بإعادة تجديد و إحياء المعتقدات الدينية ، فهو يقوم و يساهم في تكوين شخصية الجماعة و ذاكرتهم الجماعية . و التي تكون بمثابة تربية روحية يتم نشرها لأفراد المجتمع عبر المحيط الثقافي و الاجتماعي .

3-2 : وظيفة إدماجية :

من خلال العلاقات الوطيدة بين أفراد الجماعة ، يقوم الطقس بوظيفة إدماج كل فرد داخل هذه الجماعة ، من خلال :

- انسجام و ترسيخ القيم الأخلاقية .
- خلق آلية للتحفيز و التجنيد القوي لتحقيق الأهداف المشتركة .
- توحيد كل الأعضاء من خلال قيامهم بالممارسات الجماعية (حلقات الذكر و السماع و الاحتفالات...) .

3-3 : وظيفة ملزمة :

إن ممارسة أي طقس ديني تقتضي وجود سلطة أو مرشد ديني لتحديد الأدوار الخاصة بكل الأعضاء حسب مراتبهم المختلفة .

و من هذا فإختيار المكان و الزمان للقيام بالطقس يكون حسب تعليمات و إرشادات الشيخ أو المقدم بطريقة ملزمة . فهي تكون بمثابة الضمير الجمعي Conscience collective ([1]) حسب دوركايم "هي مجموعة المعتقدات و الأحاسيس المشتركة بين أفراد مجتمع أو جماعة معينة" ، الذي قامت الجماعة بتكوينه ، ثم يصبح منعزلا عنهم ، لكنه يتحكم في سلوكاتهم و لا يمكنهم الخروج عنه ، لأن ذلك يعتبر الخروج عن الضوابط و القواعد المتعارف عليها .

3-4 : وظيفة إشباعية :

من خلال مشاركة الفرد في تأدية الممارسات الدينية الجماعية ، فإن الوسط الاجتماعي الملائم قد تهيأ له ليبرز فيه تأثيره و دوره الإيجابي . كما يتمكن من خلال ذلك إشباع حاجاته الروحية التي كان يسعى إليها .

3-5 : وظيفة تحقيق الأمان :

إن الممارسة الدينية تكون بمثابة الملجأ الذي يحتمي فيه الشخص ، و هذا نتيجة للقلق و التوتر الذي يعاني منه من جراء مواجهته لمواقف غير ثابتة و تعاقب الأحداث و الاضطرابات الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي يعاني منها المجتمع

و قد يكون القلق راجعا لسبب آخر ، حسب فرويد ، لذنب أو خطأ ارتكبه الشخص ، فيلجأ للممارسة الدينية كنوع من التكفير عن الذنب .

---

[1] Jacques Dumont – les dictionnaires marabout – Université (la sociologie) – Editions Gerard et C°, Paris 1972 P.60

الطقوس الدينية داخل الزاوية العلاوية :

من خلال دراستي الميدانية و اتصالاتي العديدة بالزاوية العلاوية و الكثير من المنتسبين إليها، تعرفت على كل الممارسات الدينية و الطقوس على مستوى هذه المؤسسة الدينية، و هذه الطقوس تعتبر بمثابة العمود الفقري للمحافظة على هذه البنية، لأن عملية التواصل و نقل الميراث الصوفي عبر الأجيال لا يتم إلا عن طريق هذه الطقوس، بكونها مستمدة كلها من الكتاب و السنة و تراث الشيخ العلاوي و المشايخ الذين سبقوه كالشيخ الشاذلي و الشيخ الدرقاوي و الشيخ البوزيدي الذين نقل عنهم الشيخ العلاوي مبادئ الطريقة و من هنا فإن الشرط الأساسي و الضروري لكل مريد تم قبوله للدخول في الطريقة من طرف الشيخ، فإنه ملزم لممارسة كل هذه الطقوس و التعود عليها و حفظ كل الأناشيد الدينية و الأوراد .

و هذه الطقوس تتمثل فيما يلي :

- حلقات الذكر و السماع
- الحضرة (العمارة)
- الخلوة
- الاحتفالات السنوية (المولد النبوي ، عيد الفطر و عيد الأضحى ، و موسم الشيخ العلاوي)

حلقات الذكر و السماع

حلقة الذكر : يعتبر الذكر هو محور العبادات الجماعية لدى المتصوفة . فهو يبعد عن التشويش و يجذب الذاكر إلى أن يقوم بحركة و عمل جماعي أو فردي سرا أو جهرا .

فإذا كان الذكر فرديا ، فإن لكل فقير ورده الخاص به يقرأه . أما الذكر الجماعي و يسميه كل المنتسبين للطريقة العلاوية " بالجمع " و هي كلمة تدل على اجتماع الفقراء أو جمعهم (في جماعة) لقراءة هذه الأذكار .

و حلقة الذكر تكون عبارة عن قراءة الأوراد (جمع ورد) ، و قراءة الورد يكون إجباريا كل يوم . و يكون فرديا قبل طلوع الشمس و بعد غروبها سرا أو جهرا .

تعريف الورد :

(أو الذكر العام) و هو ذكر السلسلة ، التي انحدر منها شيوخ الصوفية. و ظل متواصلا منذ الإمام الشاذلي (المتوفي سنة 1258 هـ) ، و هو عبارة عن إنشاد مقطوعات و مدائح دينية من نظم شيوخ الطريقة ، عددا معينا من المرات ، صباحا و مساء .

و الذكر الخاص يتم تحديده من طرف الشيخ حسب خصوصية كل مريد و لزمن محدد ([1]) .

و الذكر : الصلاة لله و الدعاء إليه و الثناء عليه . و قيل الذكر قراءة القرآن و التسبيح و الدعاء و الشكر و الطاعة ([2]) .

و الذاكر قد ينفعل أثناء أدائه للذكر ، فيكون في حالة وجدانية خاصة لا يشاركه فيها أحد ، و يشترط عليه في مثل هذه الحال أن لا يصدر منه أو عنه ألفاظ أو حركات . فيجب أن يكون الذكر مقترنا بالتفكر و تمالك النفس ليكون فيه اعتبار للإنسان من تفكره في قدرة الله تعالى .

---

[1] الشيخ خالد بن تونس – معجم خاص بالمصطلحات الصوفية ، من كتاب Le soufisme, cœur de l'Islam ، منشورات العالمين سطيف 1997 ص 171 .

[2] د. أسعد السحمراني – التصوف – منشؤه و مصطلحاته – دار النفائس – بيروت لبنان 1987 ص 118

و هذه الأذكار تفتح القلب في بداية اليوم لإعطاء الثقة بالنفس ، أما في المساء فهي عبارة عن عرفان لله سبحانه و تعالى عن نهاية العمل و استتباب الأمن و السلام .

و قراءة هذه الأوراد تكون على النحو التالي :

- قراءة سورة الواقعة (مرة واحدة) .

و في الأخير يقول الجميع : " آمين ، آمين ، آمين " و يمرون أيديهم على وجوههم

ثلاث مرات :

اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربان ، أتقرب إليك بكل صلاة صليت عليه من أول النشأة إلى ما لا نهاية للكمالات ، (ثلاثا) .

" سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَ سَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ ، وَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ "([1]) .

مرة واحدة :

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

ثلاث مرات :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

مرة واحدة :

" وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَ أَعْظَمَ أَجْرًا وَ اسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ([2]) .

مائة مرة :

استغفر الله

و في المرة المائة نقول :

---

[1] سورة الصفات ، آية 182

[2] سورة المزمل ، آية 20

استغفر الله العظيم

مرة واحدة :

" إِنَّ اللهَ وَ مَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا " ([1]) .

مائة مرة :

" اللهم صل على سيدنا محمد عبدك و رسولك النبي الأمي و على آله و صحبه و سلم " .

مائة مرة :

" شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَ المَلاَئِكَةُ وَ أُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ . لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ " ([2]) .

مائة مرة :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير .

مرة واحدة :

" الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ " ([3])

مائة مرة :

الحمد لله و الشكر لله

ثلاث مرات :

سورة الإخلاص :

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[1] سورة الأحزاب ، آية 56

[2] سورة آل عمران ، آية 18

[3] سورة الأعراف ، آية 43

"قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" ([1])

ثم ترفع الأيادي و يدعون :

" سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ " ([2]) .

و في الختام يقولون :

الصلاة و السلام عليك يا سيدي يا حبيب الله ، الصلاة و السلام عليك يا سيدي يا نبي الله ، الصلاة و السلام عليك يا سيدي يا رسول الله ، ألف صلاة و ألف سلام عليك و على آلك و أصحابك يا خير خلق الله أجمعين ، و الحمد لله رب العالمين ([3]) .

و في الأخير يقول الجميع : " آمين ، آمين ، آمين " و يمررون أيديهم على وجوههم .

أفضل الذكر : لا إله إلا الله

انه من المتعارف عليه أن كافة المسلمين متفقون على أن لا يفضل أحدهم ذكرا على ذكر (لا إله إلا الله) ، كما ورد عنه صلى الله عليه و سلم في حديثه الشريف " أفضل ما قلته أنا و النبيئون من قبلي لا إله إلا الله "([4])، و الأذكار بجميع أنواعها فهي مفيدة و نافعة، و لا فرق بينها من جهة اتصالها بالحضرة الإلهية لقوله تعالى:"وَ لِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا "([5]). إلا أن أفضلها ذكرا و أكملها أجرا " لا إله إلا الله " .

---

[1] سورة الإخلاص

[2] سورة الصافات ، آية 182

[3] Le dogme de l'Islam P90

[4] – [5] الشيخ عدة بن تونس – مجالس الذكر في تهذيب الروح و تربية الضمير – المطبعة العلاوية بمستغانم 1995 ص 61

و الفرق الذي يلاحظ تقريبا فيما بين أنواع الأذكار و لا إله إلا الله مثله تمثل الأدوية المعدة للعلاج ، فكلها مفيدة لجسم الإنسان ، إلا أن أفضل هذه الأدوية هو العسل نظرا لما له من فوائد صحية كثيرة ، و قد ذكر في القرآن الكريم و استعمل في الطب النبوي ([1]) .

و من يتمعن بإنصاف يدرك حقيقة أن " لا إله إلا الله " مذكورة على لسان كل موجود في هذا الكون ، من إنسان و حيوان و نبات و جماد ، لكن هذا مجهول لدينا نتيجة لأننا لا نراه و لا نسمعه عند المخلوقات الأخرى .

و قد خصص الشيخ العلاوي فصلا كاملا في فضل الذكر و مجالسة الذاكرين حيث يقول " من جالس الذاكرين كان من جلساء الله ، و كيف لا ينتبه من غفلته ، ففي الغالب تعود بركة الحضور عليه ، و هو الانتباه من الغفلة حتى يصير ذاكرا و لهذا يقال الذاكر مع الغافلين غافل ، و الغافل مع الذاكرين ذاكر " و في هذا المعنى ، يقول في هذه الأبيات الشعرية :

و الله ما طلعت شمس و لا غربت إلا و ذكرك مقرون بأنفاسي
و لا جلست إلى قوم أحدثهم إلا و كنت حديثي بين جلاسي
و لا شربت زلال الماء من ظمإ إلا شهدت خيالا منك في الكأس ([2])

و كنت من خلال حضوري لحلقات الذكر و السماع ([3]) ، التي كانت تنظم عادة كل يوم جمعة بعد صلاة العصر و تسمى " بالجمع " ، قد لاحظت أن هناك انسجاما و تجانسا كبيرين بين الفقراء عند قراءة الأوراد و القصائد الدينية ، و كان مقدم الزاوية الذي ينوب على الشيخ في ترأس هذه الحلقات ، هو الذي يعطي إشارة البدء و الانتهاء . و كانت كل حلقة تتخللها فترة

---

[1] نفس المرجع السابق ص 90

[2] الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي – المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية – الجزء الأول – المطبعة العلاوية بمستغانم 1999 ص 149

[3] حلقات الذكر التي حضرتها بتاريخ 2002/03/22 و 2002/04/19 و 2002/06/06 (الاحتفال بالمولد النبوي الشريف) و 2002/07/27 و 2002/08/27 أثناء ملتقى حول (المرأة و الثقافة الروحية و الأخلاقية)

تكون لها دلالة رمزية ، لأن الشيخ العلاوي كان في نظامه الغدائي يتناول الشاي يوميا ، ثم يقدم لضيوفه دائما كؤوسا من الشاي بالنعناع مع قطع من الحلوى . كما يذكر ذلك الكثير من الكتاب و خاصة الأوربيين منهم د. مارسال كاري ([1]) ، الطبيب الفرنسي الذي كان يعالج الشيخ العلاوي ، و كذلك الكاتب الفرنسي المسلم عبد الكريم جوسو ([2]) .

حلقة السماع :

معنى السماع و اشتقاقه :

من سمع شيئا ، أي استعمال الأذن كحاسة لسمع الأصوات كالموسيقى مثلا و ما لهذه الأصوات من أثر على نفسية المستمع . كما يعتبر أداة مهمة في عملية الاتصال ، حيث أن المتلقي أو المرسل إليه هو الذي يتلقى الرسالة و يتم فك رموزها Décodage ، في منطقة معينة من الدماغ ، و لما تصل الرسالة و يتم فهمها ، يكون الرد عليها مباشرة للمرسل .

السماع عند الصوفية :

السماع هو جزء أساسي في الذكر عند الصوفية. و هناك طرق صوفية لا تمارس السماع مثل التيجانية .

منذ البداية الأولى لظهور التصوف ، فقد تم اهتمام خاص لهذا الطقس الديني المتمثل في السماع، و كان مرفوقا خاصة بالموسيقى و الرقص. و منذ القرنين الثالث و الرابع الهجريين، كان كبار المتصوفة أمثال الجنيد و البغدادي و إبراهيم بن أدهم، قد أكدوا على أهمية السماع و ما له من أثر في تهذيب و تليين القلب .

---

[1] في كتابه "ذكريات الشيخ العلاوي..." المطبعة العلاوية بمستغانم 1987 ص 13

[2] في كتابه " Le sentier d'Allah " المطبعة العلاوية بمستغانم 1990 ص 41

كما بدأت الطرق الصوفية منذ القرن التاسع، باستعمال الموسيقى كوسيلة للتعبد و كوسيلة للوصول إلى "تغذية الروح". و من هنا فقد كان السماع يفهم على أنه السماع الروحي للموسيقى و الأناشيد، بكل أشكاله المختلفة و بمختلف الطقوس التي تؤدي به. فعملية السماع هي التي لها الطابع الروحي، بدون أن تكون الموسيقى أو الأشعار بالضرورة لها طابع مقدس .

و الصوفي عندما يؤدي طقس السماع فهو يدخل في تجانس و تناغم مع حركة الكون ، و بذلك فهو يوطد العلاقة مع الله .

و كان أشهر سماع في تاريخ الحركة الصوفية هو الذي تؤديه الطريقة المولاوية التركية، التي أسسها جلال الدين الرومي، و التي يطلق على المنتسبين لها بالدراويش الدوارين Les derwiches tourneurs ، و الذين يستعملون آلتي الدف و الناي و هم يرتدون عباءة دائرية الشكل و يضعون على رؤوسهم قباعة كبيرة مخروطية الشكل، و يقومون بحركات دائرية حول شيخهم. و كل واحد يدور حول نفسه، و هم يمثلون بذلك دوران المجموعة الشمسية، و لهم اليد اليمنى ممدودة نحو الأعلى و كأن لها علاقة بالسماء و بالعالم الكلي Macrocosme ، و اليد اليسرى ممدودة نحو الأسفل، و يرمزون بذلك إلى الأرض التي تمثل العالم المصغر Microcosme ([1]) .

مراحل تطور السماع :

إذا كان السماع قد اتخذ أشكالا طقوسية خصوصية قد تطورت عبر الزمان و المكان ، سواء في المشرق أو في أماكن أخرى ، فإن الموسيقى كانت لها مكانة خاصة كذلك لدى الصوفية .

[1] Rochdy Alili Qu'est-ce que l'Islam ?- Edition La découverte Paris 1996 page 204

و حسب الدراسات التي أجريت في هذا المجال ، فإن ممارسة طقس السماع يرجع إلى عهود قديمة (ربما إلى عهد الديانات الشامانية Chamanisme (*)). و حسب هذه الدراسات ، يكون الصوفية قد أعادوا اكتشافه عن طريق اتصالهم بالموسيقى الفنية، و التي عرفت تطورا عجيبا ابتداء من القرن التاسع. مما دفعهم إلى تغيير هذا الفن المدنس Art profane إلى فن مقدس Art sacré له مميزاته الخاصة به. مما نتج عن استبدال الغناء و الموسيقى بممارسة السماع ذي الطابع الروحي .

و خلال هذه الفترة أي من القرن العاشر إلى الرابع عشر ، فقد ظهر تيار من الفقهاء المسلمين و الصوفية الذين هاجموا الموسيقى و استخدامها في ممارسة السماع ، و بالمقابل دافعوا عن السماع و استشهدوا بأحاديث نبوية عن ذلك ، و يمكن تصنيفهم إلى ثلاث مراحل :

- في القرن العاشر : عبد الرحمن السلامي (المتوفي سنة 941هـ) و المكي (المتوفي سنة 996) .
- في القرن الحادي عشر : البخاري ، أبو القاسم القشيري (المتوفي سنة 1074هـ) ، الغزالي (المتوفي سنة 111هـ) .
- في القرنين الثالث و الرابع عشر : نجم الدين كبرع ، نجم الدين البغدادي ، عبد الرزاق القشاني ، أحمد الطوسي .

و بعد هذه الفترة ، دخلت ممارسة السماع في التقاليد الصوفية ، و لم تحتاج إلى أي مبرر ديني أو قانوني . و أصبحت كل المؤلفات التي كتبت عنها تظهر مزاياها و دلالاتها الرمزية .

---

* Chamanisme الشامانية : Chamane : و هو شخصية مقدسة في المجتمعات البدائية مثل الساحر ، و له علاقة بقوى غيبية

و قد مرت ممارسة السماع عند بداية ظهوره بمرحلة من المد و الجزر حيث أصبح موضوع خلاف بين مؤيد و معارض سواء من طرف السلطات الدينية ، أم في أوساط الصوفية أنفسهم . ففريق منهم يمارسونه و يعتبرونه من بين الأحوال الروحية ، بينما فريق آخر كعادة سيئة و هو وسيلة للحصول على الغبطة الحسية فقط . و الذين كانوا ينتقدون ممارسة السماع ، كانوا ينطلقون من فكرة تحريم الدين الإسلامي للموسيقى ، نتيجة للمتعة النفسية التي تحدثها في النفوس .

و في الحقيقة ، فإن السماع تم اعتباره حالة روحية تلقائية أي تأتي تلقائيا و بطريقة لا إرادية عندما ينفتح القلب لها نتيجة لتوفر شروط خاصة نفسية و روحية لها ، إما إذا كانت مصطنعة أو مفتعلة فإن الوجد أو الغبطة التي تأتي إثرها تكون شريرة أو بمثابة مخدر .

آداب السماع :

من أجل ممارسة هذا الطقس ، يجب توفر آداب و شروط و هي كالتالي :

1- مراعاة الزمان و المكان و الإخوان

الزمان : أي وقت ممارسة السماع يجب تحديده من طرف الشيخ

المكان : اختيار المكان كذلك يتم من طرف الشيخ ، حيث يعم الصمت و الطمأنينة .

الإخوان : يجب أن يكون صوت المريدين المشاركين في ممارسة السماع مرتفعا حيث لا يمكن ممارسته بصفة فردية .

2- على الشيخ أن ينظر إذا كان من بين الحاضرين من يضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم .

3- أن يكون مصغيا إلى ما يقول المسمع حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب .

4- أن لا يقوم و لا يرفع صوته بالبكاء و هو يقدر على ضبط نفسه و لكن دون رقص أو تباكي .

5- مرافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء و تكليف ([1]) .

حلقة السماع داخل الزاوية العلاوية :

من أهم الطقوس الدينية لدى الصوفية عامة و الزاوية العلاوية خاصة هناك حلقات الذكر و السماع الجماعية و التي تنظم كل يوم جمعة بعد صلاة العصر ، و أثناء الاحتفالات السنوية خاصة بالمولد النبوي الشريف يقوم فيه المنشد (أو المسمع) و يكون من الفقراء المنتمين للطريقة العلاوية له صوت عذب ، بإنشاد مقطوعات أغلبها من نظم شيوخ الطريقة تدور موضوعاتها حول الحضرة الإلهية و الحضرة المحمدية ، و ذكر مناقب و أوصاف أهل الله ، بتوقيعات موسيقية تثير الوجد (الشعور بالغبطة و السعادة الروحية) لدى المتلقي أو السامع .

و أثناء السماع يردد المريدون خلف كل مقطع كلمة الجلالة (لا إله إلا الله) أو (الصلاة على رسول الله (ص)) أو ذكر الاسم الأعظم (الله) بنفس الصيغة التي يختارها المنشد (نوع من التنغيم) .

و ألفت لهذه الغاية دواوين معروفة لدى المتصوفة ، فيختار منها المنشد ما يراه مناسبا للمريدين مثل ديوان أبي مدين الغوث ، أبن عربي ،

---

[1] محمد قطاط "أبو حامد محمد الغزالي – مسألة السماع" مجلة " الحياة الثقافية " وزارة الشؤون الثقافية تونس 1986 ص 145

الشيخ العلاوي ، عبد القادر الجيلاني ، الحلاج ، أبي الحسن الشاذلي ، السهروردي (المقتول) ، أبي الحسن الششتري ... .

و فيما يخص ممارسة طقس السماع في الزاوية العلاوية ، فقد كان في البداية مرفوقا بآلات موسيقية مثل الدف و الناي ، ثم امتنع عنها الشيخ العلاوي كلية .

و يعتبر السماع طقسا مقدسا في الطريقة العلاوية ، حتى أن الشيخ خالد بن تونس الشيخ الحالي للطريقة ، لما كان شابا ، تلقى تربية روحية و دينية و أدبية فتعلم الشعر و السماع كوسيلة لإرتقاء النفس ([1]) .

طقس الحضرة (العمارة) و ممارستها داخل الزاوية العلاوية :

تعتبر الحضرة شكلا من أشكال الذكر ، و تسمى كذلك بالشطح الروحي Danse Spirituelle و هي تعتبر من أهم الطقوس الدينية ، و التي لا زالت تمارسها الطريقة الشاذلية و فروعها مثل الطريقة العلاوية منذ القدم. و هي تمارس بالذكر الجماعي وقوفا في شكل حلقة متصلة أو حلقات دائرية و التي تمثل الدائرة الكونية و يرمز لها بحرف الهاء (ه)، التي يمارسها الذاكر المسمى باسم (الصدر) لأنها تخرج من الصدر و الحلق، بحيث لا يسيطر هذا الحرف الصدري على كل ما كان في الحلق مما يؤدي بالبعض إلى الشعور بالإغماء، أو يسقط على الأرض من تأثير هذا الحرف الذي يسيطر على كيان الذاكرة و يؤدي إلى النشوة الروحية و قد تستمر مدتها ساعة أو أكثر، مما يؤدي ببعض المريدين إلى حالة من الجذب (اللاوعي) Extase (الوجد) فيرقى بروحه إلى أعلى مستويات الذوق و كشف المعرفة، حيث تتكشف بعض الحقائق الغيبية قد تعجز اللغة العادية عن الإفصاح عنها.

[1] Cheikh Khaled Bentounes Le soufisme , cœur de l'Islam – El Alamein Sétif 1997 page 27

مما يؤدي إلى انعدام العالم الحسي و سيطرة العالم المطلق (الخارج عن المادة) و قد وصف الدكتور مارسيل كاري (*) ذلك قائلا :

"... و بعد ساعات من السكون و الصمت ، قام مجموعة من المريدين بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات دائرية الشكل ، و يبدؤون في التمايل للأمام و الخلف في بطء و إيقاعية ، و هم يرددون مع كل حركة اسم "الله" .

شروط القيام بالحضرة :

يجب أن تتوفر الشروط التالية ، ليتمكن المريدون من أداء هذا الطقس الديني :

المكان : يجب اختيار المكان المناسب لتجنب عامة الناس . و حسب الصوفية فهذا لا يعتبر سرا ، و إنما حتى يبتعدوا و يتجنبوا عامة الناس خاصة أولئك الذين ينكرون هذه الطقوس و هذا من شأنه أن يحدث تشويشا للممارسين و قد يمنعهم من إقامة هذا الطقس

الزمان : إن المتصوفين ليسوا أحرارا في اختيار الوقت لإقامة الحضرة ، و إنما يجب على شيخ الطريقة أو المرشد أن يختار الزمان المناسب و هذا راجع لظروف قد تكون نفسية هو الوحيد الذي يعرفها و التي تمكنه من اختيار وقت معين دون غيره .

الإخوان : و هو توفر عدد مقبول من المريدين ، قد يكون أكثر من 15 مريدا فالعدد مهم جدا ، فكلما كان العدد كبيرا ، كلما تهيأت الظروف بسرعة لإقامة الحضرة . فالجميع يتحد و تجتمع الحركات و الأصوات في تناغم واحد ، حتى يصبحوا بمثابة فرد واحد ، طبقا لمبدأ ديناميكية الجماعات ، و وجود ضمير جمعي يحركهم ، حسب دوركايم .

---

* و هو طبيب فرنسي كان يعالج الشيخ العلاوي ، في كتابه " ذكريات الشيخ العلاوي " ص 21

و قد وصفها الكاتب الإنجليزي (درمنجيم) Dermenghem بكل دقة في كتابه "تقديس الأولياء"([1]) كما يلي : "يقف الإخوان و هم متزاحمون بعضهم مع البعض ، و أعينهم مغمضة ، و أصابع اليد اليمنى لكل واحد منهم متشابكة مع أصابع اليد اليسرى لمن هو بجانبه – و الحالة هاته– فإنهم يكونون جميعا دائرة مقفلة ، و في وسطها (قطب) واقف يحافظ على الإيقاع ، و يقوم بالتصفيق و الإستدارة (يدور حول نفسه) مع مراقبته لكل فرد على حدة كما يراقب الجميع ، و في نفس الوقت يغير مكان هذا أو ذاك لكي تبقى الحضرة متوازنة ، و عندما يختل النظام ، أو يرى أثر الإعياء الشديد على الجماعة فإنه يوقفها . و في مركز الدائرة يقف بعض المسمعين الذين ينشدون أشعار صوفية في تعظيم الله عز وجل و في مديح الرسول (صلى الله عليه و سلم) . و بسبب الارتفاع التدريجي يحده الإيقاع ، فإن اسم (الله) يصير (لاه) ثم (هــ) ، و هذا الحرف لا يبقى صادرا عن الشفتين و لكن عن الصدر ، إنه نفس يصعد من القلب بالذات ، بينما الأجساد تهتز من الأعلى إلى الأسفل دون أن ترتفع الأقدام . و تشبه تلك الحشرجة الجماعية صوت منشار ضخم . و تبقى الأعين مغمضة دائما ، و الوجوه متوترة ، و هي تعبر عن الألم الممتزج بالفرح .

و في نهاية المطاف ، فإن الأمر يتعلق بتقديم صفحة بيضاء ، و يعيش حالة من الانغماس في (الاسم الأعظم) ، و يتطلب من المريد أن يتحلى بخصال خلقية ، بخلاف الخصال الجسمانية لأنها ليست ضرورية . لأن

---

[1] Emil Dermenghem – culte des saints dans l'Islam Maghrébin 1954 Gallimard Paris Réimpression 1981

لم أوفق في الحصول على هذا الكتاب لكن اكتفيت بما جاء في كتاب الشيخ خالد بن تونس : Le soufisme ,cœur de l'Islam ص 86 –

– زيادة على حضوري لهذا الطقس بمناسبة الاحتفال بأسبوع المولد النبوي الذي أقيم بتاريخ 21 جوان 2001 ، بعد صلاة العشاء بمقر الزاوية .

الكثير كانوا يغادرون ممارسة العمارة ، و هم لم يجرؤا أبدا على تجريبها لأن ذلك كان يبدو لهم في غاية الصعوبة ، و لذا كانوا يخشونها ([1]) .

و على العكس من ذلك ، فإنك ترى بعض الشيوخ الذين يبلغ عمرهم نحو السبعين سنة و هم يتكئون على عصي ، فعند مباشرتهم لهذه العمارة يتحولون فجأة إلى شباب ذوي العشرين عاما ، إنها وسيلة فريدة للسمو ، و هي تحدث إحساسا بالخفة و الانتفاخ ، لأن قدراتنا الحسية تترقى ، و بعدها فإن الشمس تسطع بشكل مختلف كما أن الهواء الذي نستنشقه ، و الكائنات التي نراها ، و الكلمات التي نسمعها ، تأخذ معنى و بعدا جديدين .

و بمجرد انتهاء العمارة ، فإن الشيخ يختار هذه اللحظة لإلقاء كلمة عن طريق الأمثال (المذاكرة) التي تنبثق من قلبه إلى قلب المريد . قال الشيخ المهدي([*]) "المذاكرة هي روح الجمع" ([2]) .

الدائرة و دلالتها الرمزية في الحضرة

إن الحضرة (أو العمارة) عندما تقام تكون على شكل دائرة ، و عندما يكثر العدد تكثر الدوائر ، و يكون في وسطها قطب أي على الشكل التالي :

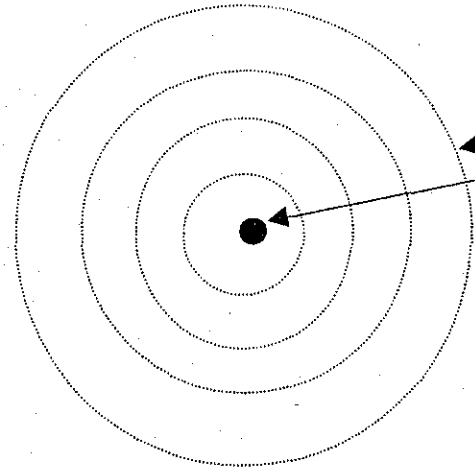

تشبه الطواف حول الكعبة التي تعتبر القطب أو مركز العالم

[1] Le soufisme cœur de l'Islam P.150

[*] هو الشيخ المهدي بن تونس هو الشيخ الثالث للطريقة العلاوية

[2] نفس المرجع السابق ص 150

و هذه الدائرة تنظم بطريقة معينة حيث يذوب الفرد في إطار الجماعة فكل تلك الأعداد الهائلة عندما تلتحم و تتكاتف فيما بينها تصبح و كأنها فرد واحد أي تصبح بمثابة الضمير الجمعي الذي يقود الجماعة الاجتماعية حسب دوركايم .

و قد خلق الله كل شيء في الكون ، بما فيه الأرض و السماء و ما بينهما من كائنات كلها تدور في حركة دائرية مستمرة ، و لولا هذا الدوران بنظام محكم دقيق من صنع الخالق ما كان للحياة وجود ([1]).

كما نجد أن الشكل الدائري له رمزيات متعددة في الكثير من مجالات الحياة الخاصة بكل المجتمعات . و لا شك أن أرقى صورة للدوران حول المقدس هي الطواف حول بيت الله الحرام (الكعبة) التي تعتبر مركز العالم أو القطب ، و نفس الشكل نجده في الحضرة .

و هذا الطواف الدائري دائم لا يتوقف إلا في الصلاة التي تؤدي هي كذلك في صفوف دائرية متداخلة حول الكعبة و الحكمة في ذلك أن يتمتع المسلم بالأنوار و الاشراقات الإلهية التي يضفيها عليه المكان المقدس بقربه روحيا و جسديا من بيت الله .

و الدائرة في أهميتها شكلا و مضمونا في سكونها و ديناميكيتها ، مما جعلها مجالا خصبا للرمزية في مختلف جوانب الحياة ، فهي رمز للكون و الخلود و الزمن و الكمال و التجانس و التآلف و الترابط .

الخلوة : La retraite spirituelle

اشتقاقها : الكلمة مشتقة من اختلى أي اعتزل الناس في مكان فيه السكينة و الهدوء تحت شروط و ظروف معينة .

---

[1] د. منال عبد المنعم جاد الله – الإتصال الثقافي – دراسة انتروبولوجية – في مصر و المغرب منشأة المعارف الإسكندرية 1997 ص 209

و الخلوة هي العزلة عند بعضهم و غير العزلة عند البعض الآخر و قيل الخلوة ترك اختلاط الناس و إن كان بينهم ([1]) .

و هي من الطقوس الدينية لدى الصوفية ، و تعتبر كرياضة روحية تمارس تحت رقابة شيخ الطريقة ، من أجل تصفية النفس و الانقطاع عن العالم الخارجي و المحسوس بكل ما فيه من اضطرابات .

شروط ممارسة الخلوة :

بكونها تحدث اضطرابات نفسية خطيرة لدى المريد ، فهي لا تمارس إلا بشروط معينة :

- **مراقبة الشيخ** : يجب على المريد أن يمارس الخلوة ، بأمر من الشيخ و تحت مراقبته و مسؤوليته ، مثله مثل الطبيب المعالج ، حتى يستطيع ملاحظة المضاعفات النفسية التي قد تحدث للمختلي .

- **مدتها** : حسب المتصوفين من المستحسن على كل مريد أن يقوم بها مرة كل سنة و مدتها ، تقليديا ، تكون من ثلاثة أيام إلى أربعين يوما ، و قد تكون طيلة الحياة

- **هدفها** : عموما ، يكون هدف ممارسة الخلوة ، من أجل محاسبة النفس مما ارتكبت من أخطاء ، و الابتعاد عن اضطرابات الحياة اليومية ، حيث يعيش المختلي هذه المدة مقابلا نفسه ، أي مع عالمه الباطني ، و إحداث حركية داخل نفسه . و كل ذلك من أجل الترقي بالمريد إلى مقام أعلى ، أي إحداث نقلة نوعية في ميدان الذوق ة العرفان و التحكم في الحركة الباطنية .

- **ظروفها** : يجب الابتعاد عن كل ضوضاء ، و كل ضغوط الحياة اليومية أي كل ما من شأنه أن يحدث تشويشا و خللا داخل النفس . لذلك يجب الاختلاء في مكان منعزل لعدة أيام ، و غالبا ما يكون داخل المغارات و

---

[1] عبد المنعم الحفني – معجم المصطلحات الصوفية – دار المسيرة – بيروت ص 92

الكهوف و كان المختالون يسهرون الليالي ، و يقللون من أكل الأطعمة ، و لا يأكلون إلا الشيء القليل و الضروري ، فيتجنبون ما يثير الشهوات و الغرائز (بما فيها اللحوم بأنواعها و المواد الدسمة و المشروبات الغازية و المنبهات كالقهوة و الشاي ، و لا يشربون إلا الماء الطبيعي و بذلك فهم يبتعدون عن كل ما تشتهيه النفس من ملذات .

و هذه ما هي إلا مرحلة من مراحل تزكية النفس ، و محاولة التغلب على العالم المحسوس ، حتى تتعطل وظيفة كل الحواس البشرية و تصبح شبه مشلولة ، أي عملية تفريغ كل الأفكار ، مهما كانت إيجابية أو سلبية ، و هو تفريغ ما يوجد في اللاوعي و جعله يطفو على السطح ، و تصبح بذلك الروح هي المسيطرة على الجسم الإنساني كله ، و بذلك تتكشف كل المعلومات الغيبية التي لا تدرك بالحواس و لا بالعقل و لا بالخيال . و ما كان مجهولا عند الذاكر (العارف) يصبح معلوما و من هنا يحدث تغير كبير في الحالة النفسية للمختلي ، الذي يصبح شبه معدوم الإرادة التي كانت عنده مسبقا ، و لا يستطيع السيطرة على تصرفاته . و هي ما تسمى بحالة الجذب.

و تستمر هذه الحالة لفترة معينة قد تطول و قد تقصر . و بعد أن ينتهي المريد من أداء هذا الطقس ، يعود إليه نوع من الاعتدال حتى يكون مقبولا من قبل محيطه الاجتماعي ، لكنه يبقى دائما يعيش ذلك الاضطراب أو تلك الآثار التي أحدثتها له ممارسة الخلوة .

و يوجد من بين المختلين من يبقى في حالة الجذب ، طيلة حياته حتى يموت على هذه الحالة ، لأن ممارسة هذا الطقس يمكنه من الاتصال بالعالم الروحي ، بصفة مؤقتة ، و بدون التخلي عن وضعيته كإنسان ، لأنه إذا

تجاوز ذلك ، ستؤدي به هذه الحالة إلى الجذب النهائي ([1]) و هو ما يسمى عند الصوفية بالمجذوب و هو شخصية عادية عندهم ، و عند عامة الناس يسمى " بالدرويش " .

تطور ظروف ممارسة الخلوة :

بعدما كانت الخلوة تمارس قديما في الكهوف و المغارات ، و نتيجة لتطور ظروف الحياة ، و ذلك بانتقال التصوف الشعبي الذي كان سائدا في القرى و الأرياف إلى مجتمع المدينة . أصبحت الخلوة تمارس في مراكز متخصصة .

فداخل كل زاوية ، تخصص قاعة بكل مواصفاتها و شروطها أي الهدوء و الانعزال التام عن العالم الخارجي .

و طالما أن الزاوية العلاوية تقع في حي شعبي و هو حي تجديت بمستغانم و مع ازدياد حركة السكان كثرت الضوضاء و الاضطرابات في الشوارع . و هذا مما دفع شيخ الطريقة في بداية التسعينات ، إلى بناء مركز روحي بضواحي مدينة مستغانم . و هو يقع في منطقة شاسعة تكثر فيها الأشجار المثمرة و المساحات الخضراء ، و يسودها الهدوء و الاطمئنان . و فيها كل مستلزمات الحياة من مطبخ و حمام و غرف نوم و قاعة للمحاضرات و قاعة للصلاة و مكتب استقبال حيث تنظم فيه ملتقيات حول مواضيع مختلفة متعلقة بالتصوف و الحياة الروحية .

و هو مركز مخصص في باقي الأوقات لأداء الخلوة ، حيث ينقطع المختلي عن العالم الخارجي و لأيام معدودة ، طالما أن كل الظروف مهيأة لذلك .

---

[1] Mihel Meslin - L'expérience humain du divin - Les Editions du CERF - Paris 1988 page 139

و للشيخ العلاوي وصف دقيق للخلوة في أبيات شعرية من قصيدة مطولة ، يقول فيها :

و شرط الخلوة للمريد الدخول

بعد النية و التوكل المقبول

طهارة البدن ثوب و مكان

و حسن الصبر في الدوام بالإمكان

تضيق مجرى النفس بقطع الطعام

و المألوفات هكذا نعت الكرام

تغميض العينين و جمع الحواس

و ذكره للاسم بقطع الأنفاس ([1])

و الشيخ العلاوي يبين في هذه الأبيات، أن ممارسة طقس الخلوة التي هي عبارة عن رياضة روحية لا تتم إل بتوفر شروط فيزيولوجية و نفسية و روحية. فيجب توفر النية و العزم و الصبر و طهارة الجسم و الثياب و المكان المخصص للخلوة. و التقليل في أكل الطعام، و التحكم في حركات الجسم كالتنفس و تغميض العينين و عدم تحريك أعضاء الجسم، و القيام بذكر الاسم الأعظم و هو الله .

و كل هذا من شأنه التركيز و مجاهدة النفس و القضاء على نزواتها .

الاحتفالات و المواسم الخاصة بالزاوية العلاوية

من بين الطقوس التي تمارس بطريقة جماعية في كل الزوايا التابعة للطريقة، الاحتفالات السنوية و هي عبارة عن طقوس و مراسيم متوارثة شيخا عن شيخ .

---

[1] الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي – منهاج التصوف – المطبعة العلاوية بمستغانم – ص 12 (تاريخ الطبع غير موجود)

و الاحتفالات العلاوية كانت و لا تزال دعوة للإسلام و احتفالا للمسلمين و مع أنها كانت تحت شعار الجماعة العلاوية ، فإن ما يجري فيها من نصائح قيمة و إرشادات مفيدة تهم المسلمين أينما كانوا ، فإن عودة المسلمين إلى إحياء شعائر دينهم ، إحياء للدين ، و من أحيا الدين فقد أحيا الأنفس ، فأما غير ذلك فإفلاس الضمير و تعاسة المصير([1]) .

و كانت الاحتفالات التي تقوم بها الطرق الصوفية عامة ، تكون مساء يوم الخميس و يوم الجمعة ، بكونهما يومين مقدسين في الإسلام ، و كذلك في الأعياد الدينية و كانت عبارة عن زيارات سنوية للأضرحة و أولياء الله الصالحين ، تخليدا لوفاتهم و هي ما تسمى " بالمواسم " .

و هذه الأعياد و الزيارات، بعضها تشرف على تنظيمها الحكومات، مثل ما نجده في مصر أو المغرب، حيث تأخذ طابع حفلات فلكلورية وطنية ذات طابع سياحي و فيها تقام الشعائر الدينية كالحضرة و التضحيات و الولائم و الحفلات و حتى الأنشطة التجارية .

و قد أسس الشيخ العلاوي احتفالات سنوية، كانت تقام في بداية الأمر بالجزائر العاصمة ، حيث جلب إليها العلماء و الخطباء و المجودين للقرآن الكريم لمدة ثلاثة أيام و كانت النشاطات الدينية التي تقام فيها متمثلة في المذاكرة بين العلماء و البحث في المسائل المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، و إلقاء الخطب و إنشاد القصائد الدينية و غير ذلك و بعد ذلك تم تحويل المكان و انعقدت هذه الاحتفالات بمدينة مستغانم، في الخريف (في شهر أكتوبر) من كل سنة، لمدة ثلاثة أيام، و بقيت تنظم في نفس الفترة إلى وقتنا الحالي .

---

[1] عوض الله حسن مصطفى البحيصي من أعلام الإصلاح الديني – الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي – المطبعة العلاوية بمستغانم 1995 ص 114

و يأتي لهذا الحفل السنوي كل المريدين المنتسبين للطريقة العلاوية و حتى غير المنتسبين إليها، من كل مناطق القطر الجزائري، و حتى من الدول الأجنبية.

أصبحت الزاوية العلاوية تحتفل في كل سنة و في نفس الموعد بموسم الشيخ العلاوي بطريقة متطورة نوعا ما، فإلى جانب الطقوس الدينية التي تقام على مستوى الزاوية الأم من حلقات ذكر و سماع و حضرة و مواعظ يلقيها الشيخ. فبالموازاة مع ذلك تنظم أنشطة ثقافية و علمية تلقى فيها محاضرات من طرف أساتذة جامعيين و باحثين و شخصيات ثقافية حول شخصية الشيخ العلاوي كمتصوف و عالم. و تقام فيها معارض للكتب و الصور و الوثائق المتعلقة بالزاوية العلاوية .

كما يتم الاحتفال كذلك بالأعياد الدينية الأخرى، منها ما هو وطني مثل موسم الشيخ العلاوي، و كذلك الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الذي يقام بالزاوية الأم بمستغانم. فمع حلول شهر ربيع الأول، يتم الاحتفال بالمولد النبوي لمدة أثني عشر يوما .

فبعد صلاة المغرب يخرج أهل الأحياء برفقة أتباع الطريقة و المحبين و خاصة حي تجديت العتيق الذي توجد فيه الزاوية، مع الأطفال الذين يحملون مصابيح بأيديهم و هم يرددون أنغاما شجية (البشير، النذير، السراج المنير، سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم)، و هذا ما يسمى بـــ (التبوشير) لمدة أثنى عشر ليلة. أما في ليلة المولد، فبعد صلاة العشاء تنطلق المسيرة من الزاوية العلاوية، حيث يردد الجميع المدائح الدينية و الصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم. فينطلق الموكب عبر المدينة متوجها إلى ضريح الولي الصالح (سيدي سعيد) في وسط المدينة. و هو أحد رموز المنطقة ، ثم يرجع الموكب إلى الزاوية حيث يستأنف الاحتفال حتى طلوع الفجر. و طريقة

الاحتفال وقع فيها تغيير طفيف في السنوات الأخيرة. خاصة منذ التسعينات حيث أن الموكب لما ينطلق من الزاوية يذهب إلى زاوية سيدي حمو الشيخ و هي موجودة على مسافة قريبة من الزاوية العلاوية، و هذا نظرا لأسباب أمنية .

إلى جانب احتفالات دينية أخرى و هي عيد الأضحى و عيد الفطر و نصف من شعبان، و هي تقام كذلك على المستوى المحلي في كل زاوية تابعة للطريقة العلاوية .

و يعد المغرب الأقصى من أهم البلدان الذي تقام فيه هذه الاحتفالات و هي خاصة بالطريقة العلاوية و يحضرها سنويا الشيخ خالد ، و هي :

- موسم مولاي إدريس الأصغر بفاس
- موسم مولاي إدريس الأكبر بجبل زرهون
- موسم مولاي عبد السلام بن مشيش بتطوان([1]) .

خلاصة هذا الجزء :

ما يمكن استخلاصه حول هذا الجزء الخاص بالطقوس الدينية هو أنها تنقسم إلى قسمين : طقوس دينية جماعية و أخرى فردية .

إن الخلوة التي تمارس بمعزل عن العالم الخارجي ، فرديا ، تكون بمثابة المناجاة مع الله أو نوع من التكفير عن الذنوب ، لأن المختلي ، عندما يمارس تلك الرياضة الروحية بشروطها كالسهر و الحرمان من الكثير من المأكولات و قراءة الأذكار ، فهو في اتصال عمودي ، اتصال روحي مع المطلق و هو الله . و عند تأديته لهذه الممارسة فإنه في راحة نفسية كبيرة .

[1] Le Soufisme , cœur de l'Islam P.160

أما الحضرة (أو العمارة) فهي تمارس جماعيا ، و عندها يحس كل فقير بروح التكاتف و التكامل مع الفقراء الآخرين فهي تمارس عن طريق حركات جسدية فيها إرهاق و مشقة لا يستطيع أن يتحملها كل الممارسين لها.

و هدفها هو الانتقال إلى عالم غيبي أو روحي ، و بعد ذلك الإحساس بالنشوة الروحية ، مما يؤدي بالممارسين إلى تفريغ تلك الطاقة المخزونة ، التي هي عبارة عن القلق الذي يحسه الإنسان من جراء الإضطرابات التي يحدثها المحيط الثقافي الذي يعيش في وسطه .

و الممارسة الطقسية للحضرة ، و من منطلق تحليل علم النفس الاجتماعي للدافعية Motivation ، تمر عبر ثلاث مراحل :

- الإلحاح : الدافع – أو الحاجة الملحة للقيام بهذا السلوك .
- الإشباع : يكون عن طريق الوجد أو الغبطة الروحية Extase .
- الإتزان : يكون بعد إشباع الحاجة الروحية و العودة إلى الوعي من جديد .

أما حلقات الذكر و السماع ، فهي تلعب كذلك دورا في المحافظة على التماسك و التآزر وسط المجموعة ، مما يخلق في وسطهم حياة جماعية تبعث في نفسية كل فقير تغذية روحية و اطمئنانا نفسيا .

المبحث الثاني : نظام التفاعل داخل الزاوية العلاوية

إن الزاوية كبنية دينية توجد بداخلها الأعضاء تؤدي مجموعة من الوظائف المتكاملة و المترابطة ، تربط فيما بينها كذلك مجموعة من الممارسات و الطقوس الدينية .

و حتى تحافظ هذه البنية على حركيتها و نظامها ، هناك شبكة من العلاقات التي تبرز من خلال المحاور التالية :

1)- ديناميكية الجماعات داخل الزاوية

2)- نسق القرابة داخل الزاوية

3)- السلطة الدينية داخل الزاوية

4)- نظام الاتصال داخل الزاوية

5)- علاقة الشيخ بالمريد

و من خلال هذا النظام و التوازن المحكم في أداء الأدوار في داخلها ، انعكس ذلك على جانبها الخارجي حيث استطاعت أن تحتك مباشرة بالمحيط الاجتماعي داخل و خارج الوطن ، و تجلب إليها النخبة المثقفة في المجتمع ، كما استطاعت أن تنتهج أسلوب الحوار مع الحضارات في المجتمعات الأوربية .

1) ديناميكية الجماعة داخل الزاوية العلاوية

إن الجماعة وسيلة هامة لمساعدة الأعضاء على النمو و تعديل سلوكهم و اتجاهاتهم عن طريق العلاقات الاجتماعية و التفاعل مع الأعضاء الآخرين في الجماعة

و بكون الجماعات ظاهرة طبيعية في حياة كل شخص ، فهي تستمل على عدة أشكال منها الأسرة ، و الأحزاب السياسية ، الجمعيات ، الجماعات المهنية ، و الجماعات الدينية ... .

تعريف الجماعة الصغيرة :

لقد تنوعت التعريفات التي تتناول الجماعات الصغيرة ، فهناك من يرى أن مفهوم الجماعة يشير إلى تواجد رابطة أو علاقة ودية بين شخصين أو أكثر مع تواجد تأثير متبادل و نشاط انفعالي مباشر طويل الأمد بين هؤلاء الأشخاص مما يترتب عليه تعديل شخصية كل عضو فيها([1]) .

و يعتبر موضوع الجماعات الاجتماعية من أهم الموضوعات التي تنال الإهتمام الشديد في مختلف مجالات العلوم الإنسانية ، و يدل على ذلك العدد الضخم من البحوث و الدراسات التي تناولت الجماعات الاجتماعية .

من الخصائص التي تميز كل جماعة أنها تضم مجموعة من الأعضاء الذين تجمعهم احتياجات واحدة ، و صفات مشتركة و يسعون إلى تحقيق أهداف محددة.

و أهم هذه الخصائص هي :

1- **صغر الحجم** : الجماعة يجب أن تكون صغيرة الحجم و ذلك حتى يتمكن الأعضاء معرفة بعضهم معرفة قوية .

لكن الحجم الأمثل للجماعة يتوقف على طبيعة و نوع تلك الجماعة ، و الصفات و الخصائص التي تميز أعضاءها ، و احتياجات و رغبات هؤلاء الأعضاء و أنواع النشاط التي يرغبون في ممارستها .

---

[1] – د/ ضياء الدين إبراهيم نجم – الجماعات الاجتماعية – مداخل نظره و مواقف تطبيقية– المكتبة الجامعية الإسكندرية 2000 ص 11

2- **التماسك** : يجب أن تكون الجماعة على درجة من التماسك ، و لها هدف واضح يربط أعضاءها بعضهم بالبعض الآخر ، كالرغبة في ممارسة نوع النشاط ، أو تعلم شيء جديد ، أو حل مشكلة اجتماعية أو الإسهام في عمل من الأعمال ([1]) .

3- **التفاعل** : الأفراد الذين لا يتفاعلون في لقائهم لا يكونون جماعة ، و لن يستقيم هذا التفاعل إلا إذا كان النشاط الداخلي للأفراد أكثر من نشاطهم الخارجي .

4- **التنظيم** : يجب على الجماعة أن تكون على درجة من التنظيم الذي يحدد مسؤوليات و واجبات كل عنصر ، كما يحدد كيفية اتخاذ القرارات داخل الجماعة ، فعند تكوين الجماعات فإن الأعضاء تكون لديهم الرغبة في معرفة بعضهم البعض و السعي لتحمل المسؤولية و إجراءات العمل و يسعون إلى تطوير علاقاتهم الاجتماعية و تنظيم بناء الجماعة .

5- **طريقة و شروط العضوية** : يجب الاتفاق على الطريقة و الشروط التي تضعها الجماعة لإختيار و قبول الأعضاء ، و ذلك حتى يستطيع كل عضو أن يختار الجماعة التي ينظم إليها و أن يلتزم أثناء سلوكه و علاقاته بتلك الشروط .

6- **الإدراك الجماعي و الشعور بالانتماء** : إن شعور الفرد بالجماعة و مدى انتمائه لها يحدد علاقته بها و مكانته فيها ، و عندما يزداد هذا الشعور تزداد العلاقات التي تربط الأفراد بعضهم ببعض ، و عندما يقل هذا الشعور تتناقص قوة جاذبية الجماعة لأفراد و قد تصل بها إلى حد الانحلال و الزوال .

---

[1] نفس المرجع ص 23

مقومات الجماعة :

إن أية جماعة لابد و أن تكون لها عدة مقومات أساسية حتى يمكن أن تتعامل معها كجماعة ، و من أهم هذه المقومات ما يلي :

1- أن تضع أية جماعة شروطا رسمية أو غير رسمية للعضوية .

2- يشعر الأعضاء المكونون للجماعة بالانتماء إلى وحدة واحدة هي الجماعة

3- يشعر الأعضاء بقدرتهم على اعتماد بعضهم على بعض بسهولة و حرية عند اتصالهم بأفراد خارج الجماعة .

4- تتكون فكرة العضو عن ذاته نتيجة لتفاعله مع الجماعة .

5- تكسب الجماعة الفرد نمطا سلوكيا معينا بناء على معاييرها مما يمكن الفرد من أن يدرك استجاباته للمواقف المختلفة ([1]) .

2) نسق القرابة :

يعتبر النسق القرابي بمثابة تلك العلاقات الاجتماعية التي تقوم على ارتباط معين محدد ثقافيا . فلا يوجد مجتمع إنساني بدون نظام يحدد العلاقات بين أفراده . و تعرف الجماعات الإنسانية التي تقوم على أساس الصلات القرابية باصطلاح " الجماعات القرابية "([2]) .

و هناك عدة أشكال من القرابة نذكر فيها :

القرابة الأسرية : أي العلاقات التي تجمع بين أفراد الأسرة في مسكن واحد .

القرابة الدموية : أي العلاقات الموجودة بين أفراد لا تتميز بالمسكن المشترك أي التي تقوم على روابط الدم كعلاقات النسب و المصاهرة .

---

[1] د/ ضياء الدين إبراهيم نجم – الجماعات الاجتماعية – مداخل نظرية و مواقف تطبيقية –المكتبة الجامعية الإسكندرية 2000 ص 32

[2] د/ عاطف وصفي – الانتروبولوجيا الاجتماعية– دار النهضة العربية – بيروت 1981 ص 117

القرابة السياسية : أي الانتماء إلى حزب سياسي يخضع أعضاؤه إلى أطر قانونية داخلية يحددها القانون الأساسي و النظام الداخلي لكل حزب .

القرابة الدينية : و هي تتم عن طريق انتساب المريد إلى الطريقة بمساعدة الشيخ ، بواسطة اتفاق بينهما يسمى العهد أو الحرقة ، و يكون ذلك تحت سلطة روحية و اتباع ممارسات طقسية ، يتم تحديدها و الاتفاق عليها داخل الجماعة الدينية (مثل الزاوية) و هي بمثابة مجموعة من العلاقات تجمع بين شيخ الطريقة و المقدمين الذين يشرفون على فروع الزاوية من جهة و مجموع الفقراء المنتسبين للطريقة من جهة أخرى ، و الانتساب لطريقة صوفية معينة تمكن الشخص من الحصول على مكانة أو هوية اجتماعية . كما تؤدي إلى إلتزام معنوي من أجل المشاركة في نفس النظام للعلاقات و الروابط التي تنشأ مع ذوي المراتب العليا (الشيخ – المقدمين) من جهة و مع الإخوة الروحيين (المريدين) من جهة أخرى .

و نظام القرابة هذا ، يحمل معه مجموعة من القيم تنتج عن مثل هذه العلاقات مثل الحب و الإخاء و الاحترام المتبادل ، و التي تحتل مركزا مهما([1]) . و الطريقة العلاوية تخضع لنفس النظام . حيث يوجد دائما على رأس الهرم شيخ كون رمزا للترابط و التماسك داخل الطريقة ، و الذي يقوم دائما بمد يد المساعدة لكل شخص يطلب ذلك ، و إذا لم يوجد الشيخ فهناك المقدم الذي ينوب عنه في ذلك .

و عملية التقرب من الشيخ ، لا تكون بصفة مستمرة ، حيث أن لقاءه يكون مرة أو مرتين في السنة ، أي أثناء حضوره للإشراف على الاحتفالات السنوية

[1] Les voies d'Allah T2 page 51

كما يوجد بعض المريدين الذين يقومون بإرشاد الآخرين ، لكن بحدود معينة ، لأن الشيخ و بدون هذه المساعدة لا يستطيع إرشاد كل هذا الجمع من المريدين الذين يتوافدون عليه . و لهذا فعندما يكون حاضرا أثناء الاحتفالات فإنه يقوم بتنظيم لقاءات مع المريدين أو المحبين و قد تكون كل ثلاثة أيام([1]).

خلافة الشيخ :

في الكثير من الأحيان يقوم شيخ الطريقة بتعيين خليفته قبل مماته، و قد يعهد الأمر إلى أحد أبنائه أو أقاربه، مثلما وقع ذلك في الطريقة الدرقاوية و الهبرية و السنوسية، و ليس من النادر أن يعهد به إلى غيرهم .

و في الطريقة العلاوية، فقد اختار الشيخ العلاوي أحد المنتسبين للطريقة و هو الشيخ عدة بن تونس (1898-1952م)، و الذي أصبح من أكثر المقربين له، بكونه كان يعيش معه في وسط عائلته لدرجة أن أصبح عضوا من أفرادها، و قد لاحظ فيه الشيخ عدة صفات تؤهله لذلك كالمروءة و صدق العزيمة و رجاحة العقل و سرعة البديهة و بعد النظر مع الشجاعة و الإقدام، مما جعله المؤهل الوحيد لخلافة الشيخ .

و قد أثبتت الوصية الخاصة بالعدالة([2]) و المؤرخة في 1931 بالمحكمة الشرعية بمستغانم أن الشيخ عدة بن تونس هو الخليفة و الوارث الشرعي و الروحي للشيخ العلاوي([3]). (أنظر الشكلين 15 و 16 من الملاحق)

---

[1] Cheikh Khaled Bentounes - Le Soufisme cœur de l'Islam - Page 159

[2] (نسخة من هذه الوصية مترجمة إلى اللغة الفرنسية موجودة في ملاحق هذه المذكرة ، مستخرجة من كتاب:

Johan Cartigny - Cheikh El Alawi - Documents et témoignages - Editions les amis de l'Islam Paris 1984 P.115

[3] عوض الله حسن مصطفى البوحيصي – من أعلام الاصلاح الديني – الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي – المطبعة العلاوية بمستغانم 1995 ص 27 .

3) السلطة الدينية داخل الزاوية

إن الجماعة الدينية كبقية الجماعات أو الأنساق الأخرى، تتخذ نظاما ترتيبيا في الوظائف في شكل هرمي Système Hiérarchique. لكن هذا النظام ليس نظاما بيروقراطيا مثلما هو معروف في المؤسسات الإدارية أي نظام رسمي يعتمد على القرارات و التعليمات الإدراية .

و إنما الزاوية العلاوية تعتمد على سلطة روحية، لكن شكل السلطة يبقى قائما. و هذا مما يحافظ على تلاحم و ترابط الأعضاء داخل البنية، إلا جانب وجود نظام اتصال قوي سواء أفقيا أو عموديا .

و الهيكل التنظيمي الخاص بترتيب الوظائف يكون على الشكل التالي :

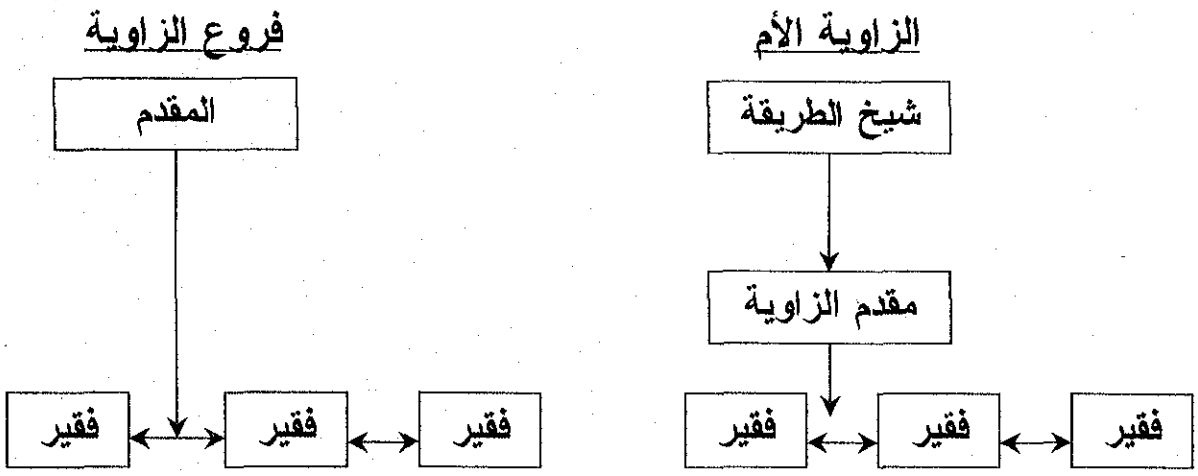

ففي مثل ما هو الحال على مستوى الزاوية العلاوية، فإن شيخ الطريقة بكونه مقيم بالخارج (فرنسا)، ينوب عنه في تسيير الزاوية الأم بمستغانم نائبه (المقدم) الذي يهتم بأمور الزاوية. أما الشيخ فإنه يحضر دائما في مختلف الاحتفالات و المراسيم مثل الاحتفال السنوي بالشيخ العلاوي (الموسم)، و الاحتفال بذكرى المولد النبوي، و عيد الأضحى و عيد الفطر فهو يترأسها شخصيا، لما لها من دلالة رمزية و أهمية في حياة الجماعة المتكونة من مجموع الفقراء، و كل هذه الاحتفالات تتم على مستوى الزاوية الأم حيث

يحضرها كل الفقراء التابعين للطريقة العلاوية على المستوى الوطني و أحيانا من الأقطار العربية و الأوربية

4) نظام الاتصال داخل الزاوية

يوجد داخل كل جماعة اجتماعية أو دينية نظام معقد من العلاقات ، و رغم تعقده فهو يساهم في المحافظة على ديناميكية هذه الجماعة و بقائها و استمراريتها

و هذا التعقد في شبكة العلاقات ، فن شأنه كذلك أن يخلق نظاما للاتصال ، تحترم فيه كل الوظائف التي يشغلها أعضاء هذه البنية . فهناك نوعان من الاتصال :

الاتصال العمودي : و من مميزاته أنه يعتمد على القيادة ، أي من الأعلى إلى الأسفل و العكس . حيث يكون شيخ الطريقة من الناحية السلمية في أعلى الهرم ، كما يكون قدوة لكل الفقراء التابعين للطريقة ، فمن خلال لقاءاته السنوية في مختلف الطقوس و الاحتفالات ، فهو يعزز تلك العلاقات و السلطة الروحية التي تربطه مع الأعضاء الآخرين .

و من جهة أخرى نجد كل الفقراء و المريدين و من خلال أدائهم للطقوس الدينية بإنتظام سواء الطقوس اليومية أم الأسبوعية أم السنوية ، فهم يعبرون عن ولائهم لشيخ الطريقة حتى و إن كان بعيدا عنهم .

الاتصال الأفقي : و هو يعتمد على التعاون و التكامل فيما بين الفقراء فلا توجد أية سلطة أو قيادة فيما بينهم . فهم يكونون جماعة ذات أهداف مشتركة يحكمهم الضمير الجمعي حسب دوركايم ، و هو عبارة عن قيم و معايير قد اشتركوا في تأسيسها، و هي بدورها تجبرهم على احترامها و تطبيقها، حيث أن هناك نوعا من الإكراه و الضغط، فيعبرون عنها عن طريق الطقوس

الدينية و الرمزيات التي يمارسونها سواء كانت تعابير أو حركات أو إشارات. و كلها من شأنها أن تخلق نوعا من النظام و التوحيد فيما بينهم. و كل يوم تتعزز أكثر فأكثر و تنتقل من جيل إلى جيل عبر شيوخ الطريقة يتناقلونها فيما بينهم . و لا يمكن التمييز أو الفصل بين هاذين الشكلين من الاتصال بكونهما متكاملين و متداخلين .

5) علاقة الشيخ بالمريد :

إن نظام التفاعل داخل أية طريقة صوفية، بما فيها الزاوية العلاوية كبنية يحتوي على مجموعة من الوظائف متكاملة و متناسقة فيما بينها من أجل العمل على استمرارها و تطوير وظائفها لتندمج داخل المحيط الثقافي و الاجتماعي، و تساهم عن طريق التربية الروحية في معالجة الكثير من الآفات و الأمراض الاجتماعية خاصة مع انتشار الكوارث التي أحدثها الإنسان نفسه داخل المحيط الاجتماعي أو الطبيعي .

و أبرز علاقة داخل الزاوية هي تلك الثنائية Dualité الموجودة بين الشيخ و المريد، و هي تعتبر علاقة رمزية، ترمز لكل أنواع العلاقات سواء بين الأب و الابن أو الأستاذ و التلميذ أو الرئيس و المرؤوس ... .

و قبل البدء في تحليل هذه العلاقة، لابد أن أتعرض لمفهوم كل من مصطلحي الشيخ و المريد .

- **الشيخ** : بالمفهوم العام هو الإنسان الطاعن في السن، فيقال: هذا شيخ كبير. أو يطلق على شخص ما يعمل في صناعة أو حرفة معينة (كالنجارة ، أو الخزف...) فيقال شيخ الصنعة، أو فنان كبير خاصة في الموسيقى البدوية أو الشعبية (كالشيخ حمادة ...) كما يطلق كذلك على المعلم أو الأستاذ .

لكن في المجال الصوفي فإن كلمة شيخ تعني: شيخ الطريقة، أي مؤسس الطريقة الصوفية .

و هو الذي سلك طريق الحق و عرف المخاوف و المهالك، فيرشد المريد و يشير إليه بما ينفعه و ما يضره .

و قيل الشيخ هو الذي يكون قدسي الذات فاني الصفات، و شرطه أن يكون عالما بكتاب الله و سنة رسوله عليه السلام، و ليس كل عالم بأهل للمشيخة، بل يجب أن يكون موصوفا بصفات الكمال، و معرضا عن حب الدنيا و الجاه و ما أشبه ذلك، و يكون قد أخذ هذا الطريق النقي عن شيخ محقق، تسلسلت متابعته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ارتاض بأمره رياضة بالغة، من قلة الطعام و الكلام و المنام، و قلة الاختلاط مع الأنام، و كثرة الصوم و الصلاة و الصدقة و نحو ذلك([1]) .

- **المريد** : هو بمثابة التلميذ الذي مازال في بداية طريق التعلم .

و بالمفهوم الصوفي هو من انقطع إلى الله عن نظر و استبصار و تجرد عن إرادته، إذا علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى لا ما يريده غيره فيمحو إرادته فلا يريد إلا ما يريد الحق. و يجب على المريد أن يتأدب بالشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا ([2]).

و لما كانت القدوة أشد تأثيرا من التعليم، فإن السلوك الذي يسلكه الشيخ يكون أكثر تأثيرا على المريد من الأقوال. و حتى علماء النفس السلوكيون béhavioristes يؤكدون ذلك، حيث يقولون إن سلوك الأباء يؤثر على تربية الأطفال أكثر من الأقوال، لأن الطفل خاصة في بداية حياته يتبع أسلوب التقليد و المحاكاة أكثر من سماع الأقوال ،

---

[1] د. عبد المنعم الجفني – معجم المصطلحات الصوفية –دار المسيرة بيروت 1980 ص 141 .

[2] نفس المرجع ص 242 .

لذلك ، ففي بداية الطريق الخاصة بالمريد ، يجب على الشيخ أن يكون ذا قدوة حسنة ، و ذلك بإخلاصه في التقوى و فضائله و مجاهداته .

و في هذا الصدد يقول محي الدين ابن عربي "من لا شيخ له، فشيخه الشيطان"([1]).

و كل شيخ له تلك الصفة الروحية التي تسمى "بالبركة"، التي انحدرت إليه عبر الأجيال، من الرسول (ص)، عبر "سلسلة البركة"، و الذي هو بدوره ينقلها إلى مريديه .

و لذلك فهناك وصايا خاصة آداب المريد السالك تجاه شيخه :

- يجب أن يبحث عن الشيخ العارف .
- لا يتكلم عليه كل ما وقع له في نفسه من محمود أو مذموم .
- لا يقعد في مكانه و لا يلبس ثوبه .
- إذا أمره بفعل شيء ، يجب أن يقوم به دون أن يسأله عن السبب .
- يجب أن لا يدخل بيت خلوة الشيخ ، و لا يبيت معه في بيته أو حيث يبيت
- يجب أن لا يكثر مجالسته ، و ليكن جلوسه خلف باب بيت الشيخ ، حتى إذا أراده وجده .
- و لا يدخل عليه إلا و طرق الباب و قبل يده .
- إذا سافر الشيخ و تركه في موضعه ، يجب أن يلازم ذلك الموضع بالسلام عليه في كل يوم و في كل الأوقات .

[1] د. فاروق عبد المعطي – محي الدين ابن عربي – حياته – مذهبه – زهده –دار الكتب العلمية بيروت 1993 ص 107

- و من هنا نستنتج أن المريد ليس حرا في تصرفاته و هو بصحبة الشيخ ليكون طائعا له في كل سلوكاته ، حتى أن الصوفية يشبهون المريد السالك و هو بصحبة الشيخ بمثابة الميت بين أيدي الغسال([1]) .

و كل طريقة هي بحاجة إلى شيخ يسيرها باستمرار. و الجانب الجسماني أو المادي ما هو إلا ثانوي، أو بصفة أخرى، فإنه غير موجود، لأن الجسم لا أهمية له حيث أنه عندما تنتهي وظيفته، فإنه يغادر هذه الحياة و هذه "البركة" التي كانت فيه ستذهب لتسكن جسدا آخر أكثر نفعا. مثلما قال الشيخ البوزيدي :" أنا لست إلا مستأجرا، و عند وفاتي سوف أعيد المفتاح لصاحب البيت الذي يعطيه لمن يريد "

اللقاء مع الشيخ :

تلعب القرابة العائلية دورا مهما في التربية الروحية التي يقوم بها الشيخ تجاه المريد . لكن الطرق الصوفية لا تقصي أحدا ، و المركز أو المكانة الاجتماعية للشخص لا تعني شيئا .

و يجمع رجال التصوف ، على أن نقل التربية الروحية من الشيخ إلى المريد لا تخلو من مخاطر ، لأنه يجب توفر الشيخ المناسب للمريد المناسب، لكن المسؤولية الكاملة تقع على عاتق المرشد أو الشيخ المربي ، و لهذا يجب أن تتوفر الصفات و الشروط الآتية :

- العلم : يجب على الشيخ أن يتقن العلم بجميع فروع الدين ، و أن تكون لديه تجربة الحياة الروحية مما تجعله كفؤا للإرشاد .

[1] محي الدين ابن عربي – التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية – محي الدين ابن ربي – دار الكتب العلمية – بيروت 2000 ص 110

– الصفات الأخلاقية : و أولها الشدة في التأديب، و تجنب كل ألفة بينه و بين المريد. و في حالة ارتكابه للذنوب يسلط عليه بعض العقوبات كطرده من عنده مؤقتا أو نهائيا .

– و الطريقة غاية شريفة، و لكن ينالها من له رابطة بها و شعور بفوائدها، قال سيدي شعيب أبو مدين–دفين تلمسان– رضي الله عنه : في حكمه :"الشيخ من أدبك بإطراقه، و هذبك بأخلاقه، و أنار باطنك بإشرافه". و من لم تكن فيه هذه الخصال العالية، فلا ينبغي صحبته إلا عند الاضطرار([1]) .

أخطار الممارسة بدون الشيخ

يقول الصوفية :" من لا شيخ له، فشيخه الشيطان"، فمجاهدة النفس عند المريد المبتدئ في الطريق ، تتم عن طريق الجهاد الأكبر للنفس، و تطويعها للعبادة، و كبح جماحها، على أن يمارس ذلك معا في رفق، فالنفوس إذا كلت ملت، و إذا أجبرت نفرت، و مادامت المسايرة الفنية تحتاج إلى خبير، فقد لزم الاستعانة بالشيخ ليدرس نفسية المريد، ليكتشف داءه، و يعطيه من الدواء بقدر ما يعاينه من داء ، و من التدريب بقدر ما تحتمله بنيته ، مراعيا في ذلك حال السالك ، و سنه و مزاجه .

فنتيجة لخطورة هذه الممارسات، فهي تعطي تحت الرقابة، فالطاقة الروحية نور،و لكنها أيضا نار،قد تكون مدمرة، إذا لم يتم التحكم فيها، فمثلا: يقوم بعض الأشخاص بالذكر بدون أي استعداد سابق، و بدون أن يكون لديهم مرشد يقودهم.و أمام الشيخ يكشف المريد عن نفسه في الحال، و ذلك من خلال كلامه و تصرفه، و لا يستطيع إخفاء حالته الباطنية أمام الشيخ ([2]) .

---

[1] الشيخ عدة بن تونس – مجالس الذكر في تهذيب الروح و تربية الضمير –المطبعة العلاوية بمستغانم 1995 ص 58

[2] الشيخ خالد بن تونس – التصوف قلب الإسلام – دار النشر "العالمين" سطيف 1997 ص 192

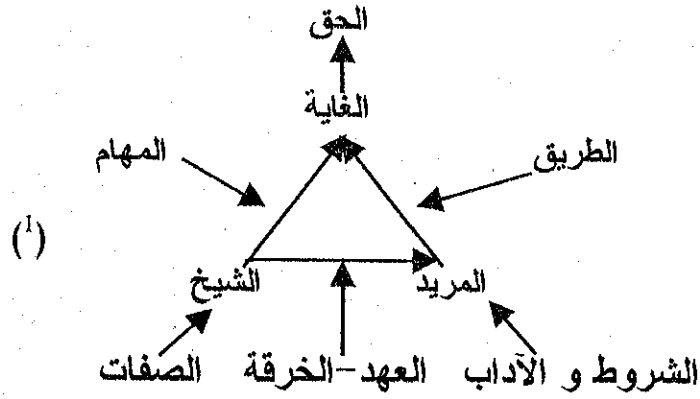

([1])

يبين لنا هذا الشكل أن هناك جوانب أساسية لدى الصوفية . فالهدف الأسمى عندهم أي الغاية هو الحصول على المعرفة (أو الحق) و هو الله سبحانه و تعالي ، أي معرفة حقيقة الوجود .

و في بداية كل طريق و من أجل الوصول إلى النهاية التي هي المعرفة ، لا بد أن تبدأ بالعلاقة المتمثلة في أول اتصال بين الشيخ و المريد عن طريق العهد أو البيعة أو الخرقة ، التي يتلقاها المريد من الشيخ أو المقدم الذي ينوب عنه . و عملية الاتصال هذه تقتضي توفر شروط و صفات للشيخ و شروط و آداب للمريد (قد تم ذكرها سابقا)

فإذا كانت الطريق هي تدبير سلوك النفس للوصول إلى المعرفة ، بتطبيق الشريعة فإن للمريد وسائل يتبعها في ذلك و هي :

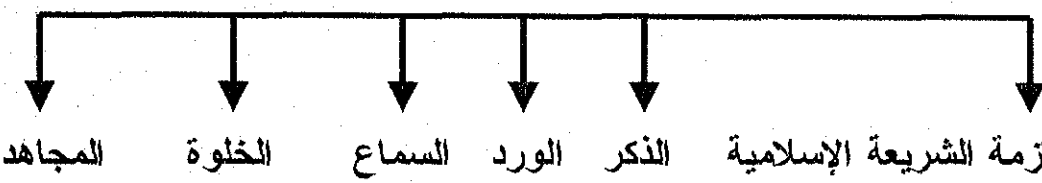

و هذه الوسائل هي بمثابة طقوس و ممارسات تفرض عليه من طرف شيخ الطريقة أي تأتي بعد تنفيذ المراسيم الرسمية و هي البيعة أو الخرقة ، التي تمثل المرحلة الأولى ، و المرحلة الثانية هي وضع المريد في الممارسة

[1] من محاضرة للأستاذ ناصر الدين موهوب (جامعة سطيف) ألقيت خلال الأيام الدراسية للتراث الروحي 21 -22-23 ماي 2001 نظمت من طرف جامعة مستغانم

(الرياضيات الروحية) ، و يجب عليه أن يؤديها كلها و لكن بأمر من الشيخ و تحت مراقبته ، حتى لا تحدث اضطرابات نفسية تكون خطرا على حياته .

مكانة الشيخ و وظائفه الروحية و الاجتماعية

لما انتشرت الطرق الصوفية خاصة بالمغرب العربي و المشرق العربي ، و اندمجت الكثير منها في الحقل الثقافي و الاجتماعي ، أصبح المعيار الخاص بالمكانة الروحية للشيخ يطغى أكثر على مكانته الاجتماعية .

و هناك عدة أصناف من هؤلاء الشيوخ نذكرها فيما يلي :

في الصنف الأول : حيث يظهر التضارب بين الوظيفة الرسمية الإدارية و الوظيفة الروحية و قد ظهر ذلك جليا في عهد المماليك في المشرق ، بين الزاوية و الخانقاه . فالزاوية كانت ملكية خاصة للشيخ و المريدين ، و في داخلها تؤدى الوظيفة الروحية حقيقة . أما الخانقاه فكانت عبارة عن مؤسسة حكومية أو عمومية للتصوف ، يتم مراقبتها من طرف الدولة . إضافة إلى الشيخ الذي يسيرها ، في الكثير من الأحيان ليس صوفيا .

فهو عادة ما يكون رجل دين معروفا له عدة وظائف (قاض ، مدرس ، خطيب في المسجد...) . و هذا المنصب يعتبر ثانويا بالنسبة له ، مثلما كان الحال لابن خلدون الذي كان شيخا لخانقاه بالقاهرة .

الصنف الثاني : و هم الصوفية الذين ينتمون إلى العلماء و الفقهاء في الشريعة الإسلامية . فيكون الهدف الأسمى للشيخ هنا هو الجمع بين الشريعة و الحقيقة الروحية من خلال طريقته الصوفية .

و أحسن مثال في هذا المجال هو الشيخ أبو حامد الغزالي (المتوفي سنة 1111م) كما يوجد الكثير من الفقهاء الذين ساروا على هذا المنهج ،

نذكر منهم الشيخ ابن تيمية و الشيخ السيوطي الذي استعمل مكانته العلمية من أجل الدفاع عن التصوف ضد مهاجميه .

و من بين هذه الفئة من وصل إلى جعل توازن و تكامل بين الشريعة و الحقيقة ، حيث لا يمكن إظهار الغلبة لأي جانب منهما ، و من بينهم الشيخ أحمد الزروق من المغرب (المتوفي سنة 1493م) ، و الذي كان فقيها كبيرا و في نفس الوقت مؤسس طريقة من أهم فروع الشاذلية و هي الطريقة الزروقية . و هذا يظهر خاصة من خلال كتابه "قواعد التصوف" حتى سمي (بجامع الشريعة و الحقيقة) كذلك في سوريا ، يوجد الشيخ على ابن مأمون الفاسي (المتوفي سنة 1511م) و في مصر الشيخ محمد ابن الحسن البكري (المتوفي سنة 1545م) ، مؤسس الطريقة البكرية التي كانت على رأس كل الطرق الصوفية بمصر لعدة قرون .

إلى جانب ابن عطاء الله الإسكندري (المتوفي سنة 1309م) ، من أكبر شيوخ الطريقة الشاذلية و كان مدرسا في جامع الأزهر الشريف للفقه الإسلامي و للتصوف معا .

و هذا النوع من "العلماء المتصوفة" يوجد حتى في العصر الحديث و على سبيل المثال الشيخ أحمد الكفتاري ، الذي يشغل حاليا وظيفة المفتي الكبير للجمهورية السورية ، و في نفس الوقت يسير طريقة صوفية و هي النقشبندية.

الصنف الثالث : و هو انتماء الشيخ إلى عالم الحرفيين و التجار . و هو يقوم بهذا العمل من أجل سد احتياجاته .

و الكثير من شيوخ الطريقة الأحمدية في مصر نسبة إلى الشيخ أحمد البدوي (المتوفي سنة 1276م) ، قد اتبعوا هذا النهج . و من بينهم شيخ كانت له شعبية كبيرة في دمشق و هو الشيخ أحمد الهارون ، الذي كان يعمل نحاتا

للحجارة و توفي سنة 1962 و في وقتنا الحالي ، لدينا الشيخ خالد الشيخ الحالي للطريقة العلاوية ، و الذي كان في بداية في السبعينات ، عندما هاجر إلى فرنسا ، يقوم بأعمال تجارية متمثلة في استيراد الصناعات التقليدية و الزرابي من أفغانستان إلى أوربا ، حيث أصبحت تجارته منتعشة ، و مكنته من سد حاجاته في مجالات متعددة .

و **الصنف الرابع**: و هم الشيوخ الذين يؤدون وظيفتهم الروحية و ليست لديهم وظائف رسمية أو إدارية، فزيادة عن مسؤوليته في الزاوية، فهو يؤدي وظائف اجتماعية و تربوية متمثلة في الإدماج الاجتماعي للشباب المنحرف خاصة مثلما كان يقوم به الشيخ عدة بن تونس، فكان خلال الفترة الاستعمارية قد اتصل بالسلطات الفرنسية بمستغانم، و طلب منهم إخراج مجموعة من الشباب القصر الذين كانوا في السجن، و أمضى معهم تعهدا و تكفل بهم، ثم وزعهم حسب العمل الذي يختاره كل سجين، سواء في المطبعة أو الفلاحة أو المخبزة ، تحت رقابة و حراسة الفقراء. و في المساء تعطى لهم دروس في الدين و الأخلاق ([1]) .

الفقير : الفقير بالمفهوم الصوفي ، ليس المقصود به الفقر المادي .

و الفقير ليس الشخص الذي لا يجد قوت يومه . و إنما تطلق كلمة فقير على كل منتسب لأية طريقة صوفية ، و هي الفقر إلى الله .

و قد قيل فيه :

النفس تأبى أن تكون فقيرة و الفقر خير من غنى يطغيها

فغني النفس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها([2])

---

[1] عوض الله البوحيصي – الشيخ العلامة عدة بن تونس – من أعلام الإصلاح الديني –المطبعة العلاوية بمستغانم 1995 ص 80

[2] الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي – المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية –الجزء الثاني– المطبعة العلاوية بمستغانم 1994 ص 17

ضرورة التواصل بين الفقراء (أو الإخوان) فيما بينهم :

إن الفقير لا يستطيع العيش بمفرده داخل طريقة صوفية ، بل يجب عليه أن يعيش في تكامل و انسجام تام مع بقية الفقراء .

فإذا كانت علاقة العبد مع ربه علاقة عمودية ، فإن العلاقة بين الفقراء تحمل بعدا أفقيا ، و هي ضرورية جدا في التربية الروحية التي تساهم كثيرا في الحفاظ على بناء الطريقة إن المصاحبة التي يعيشها الإخوة أو الفقراء مع بعضهم البعض ، تعتبر أحد الوسائل المهمة للتغلب على الأنا L'Ego . لأن المؤمن يصبح مرآة المؤمن ، فكل فقير يرى أخطاءه و يتداركها من خلال الآخر .

و هنا نجد كذلك أهمية قواعد الآداب ، التي عن طريقها يقوم الشيخ بتصفية نفوس الفقراء من جهة و تنظيم الحياة الجماعية من جهة أخرى .

المجذوب : و الكلمة مشتقة من فعل جذب ، أي ما يقابله عند عامة الناس "بالمخطوف" و بالمفهوم الصوفي هو الشخص المجذوب من طرف الحضرة الإلهية ، فهو شخص عاد عندهم . و يسمى "بالدرويش" عند عامة الناس .

ففي التصوف يوجد هؤلاء الرجال "المجاذيب" أو الفانون في الله دوما في حالة نفسية تمنعهم من الاندماج في بيئتهم الاجتماعية .

و لم يعد لهؤلاء الأشخاص أي ارتباط مع الواقع ، فهم يعيشون في عالم آخر ، و بالتالي فإن التواصل معهم مستحيل ([1]) .

و حالة الجذب تحدث كذلك لكل فقير يمارس طقس الخلوة ، و هي رياضة روحية (كما تم توضيحها في الجزء الخاص بالخلوة) ، فيقوم بها لعدة أيام ، حيث يختلي في مكان معزول عن الناس ، و لا يأكل إلا القليل و لا

[1] Le Soufisme , cœur de l'Islam – P.155

ينام إلا القليل ، من أجل كبح جماح النفس الأمارة بالسوء ، و بعد الانتهاء من هذه الرياضة الروحية يحدث للمريد تغير كبير سواء نفسيا أم فيزيولوجيا ، و يصبح شبه معدوم الإرادة التي كانت عنده سابقا ، و لا يستطيع السيطرة على تصرفاته . و تستمر هذه الحالة لفترة معينة قد تقصر أو قد تطول .

و منهم من يبقى في حالة الجذب طول حياته ، و يعيش في هذه الحالة النفسية حتى يموت .

خلاصة هذا الجزء :

يمكن القول في هذه الخلاصة أن الزاوية العلاوية ، تحتوي بداخلها على علاقات داخلية محكمة ، سواء كانت علاقات اتصال عمودية بين الشيخ و المريد ، و هي و إن كانت تعتمد على نوع من السلطة فهي مقدسة بكونها ذات طابع روحي و ذات أهمية كبرى ، و بفضلها يتم إبراز معالم الطريق للمريد المبتدئ حتى يتشبع بتربية روحية عبر مختلف المراحل التي يقطعها تحت مراقبة شيخ الطريقة أو علاقات اتصال أفقية تربط بين الفقراء فيما بينهم ، سواء من الناحية الاجتماعية و الإنسانية أم من الناحية الروحية خلال تأديتهم للممارسات الطقسية .

و ينشأ عن ذلك نظام قرابة دينية ذو طابع خاص على مستوى الزاوية العلاوية ، و بكونها مؤسسة حديثة ذات طابع عصري ، فقد جمعت فئة نخبوية سواء من عائلة بن تونس القائمة على تسيير الزاوية و ملحقاتها من مؤسسات دينية أو ثقافية ، أو إطارات ينتسبون إليها و يقومون بالسهر على تنشيط الندوات و الملتقيات التي لها صلة بالتراث الروحي أو القضايا الاجتماعية عبر قنوات و فضاءات متمثلة في الجمعيات الموجودة على مستوى الوطني أو خارجه . فمجموع هذه العلاقات المتشابكة و المنظمة من شأنها أن تحافظ على سيرورة و استمرار هذه المؤسسة .

الفصل الرابع

الفصل الرابع : انتشار الزاوية العلاوية و تواصلها الثقافي مع المحيط الثقافي الأوربي

المبحث الأول : انتشار الزاوية العلاوية في المحيط الثقافي الأوربي

يعتبر هذا الجزء الخاص بإنتشار الزاوية العلاوية و دورها التربوي و الثقافي داخل المجتمعات الأوربية ، ذو أهمية خاصة ، نظرا لأن اتجاه حركتها الصوفية و الروحية كانت بصورة خاصة نحو الغرب إلى جانب مناطق أخرى من العالم . و قد كان الاهتمام بالتراث الروحي بأبعاده الإنسانية كبيرا لدى الأوساط المثقفة من علماء و باحثين في ميادين مختلفة ، و سيتم التعرض له من خلال النقاط التالية :

1) الشخصيات الأوروبية التي كانت لها علاقة بالزاوية العلاوية و الشيخ العلاوي .
2) العوامل الموضوعية التي ساهمت في إقامة الحوار الديني و مساهمة شيوخ الطريقة في ذلك .

1) الشخصيات الثقافية و العلمية التي كانت لها علاقة بالزاوية العلاوية:

هناك الكثير من الأوروبيين الذين التقوا بالشيخ ، بدون أن يصبحوا مريدين تابعين له ، و كانت هذه العلاقات عبارة عن صداقة بينهم ، و هذا بفضل التفتح الفكري للشيخ ([1]) إلى جانب ذلك ، فقد أصبح الكثير منهم من المريدين المنتسبين للطريقة العلاوية .

[1] Johan Cartigny – Cheikh El Alawi – Documents et témoignages – Editions les amis de l'Islam – Paris 1984 P.8

1) عبد الكريم جوسو Abdelkrim Jossot (1866-1951) : صاحب كتاب : " Le sentier d'Allah " .

يعتبر من المثقفين الأوربيين الذين انتسبوا إلى الطريقة العلاوية ، و هو فنان كاريكاتوري . و قد ألف كتابا مشهورا تحت عنوان " Le sentier d'Allah " سنة 1927 ، حيث يذكر فيه ذلك التغير الروحي الجذري الذي حدث في شخصيته عندما كان مسيحيا ، فأحس بالتعب النفسي ، فسافر من فرنسا إلى تونس فارا و متعبا من ضجيج المدن الكبرى ، باحثا عن مكان فيه راحة البال ([1]) و بعد ذلك اعتنق الإسلام ، و انتقل إلى مدينة مستغانم ، حيث التقى بالشيخ العلاوي و تعرف عليه ، و أخذ منه مبادئ التربية الروحية و الصوفية .

و قد قام بوصفه وصفا دقيقا ، مما يدل على أنه كان معجبا به كثيرا . و كان ذلك سنة 1950 حيث يقول : " سي أحمد بن عليوة كان عمره 56 سنة ، لكن محياه كان مشرفا يشبه المسيح المتألم الهادئ . لحيته الطويلة لها خصوصية معينة ، سوداء في الأسفل ، و بيضاء عند الوجنتين ، و كانت له طريقة هادئة في الكلام ، و الإبتسامة لا تغادر محياه أبدا " ([2]) .

2) الدكتور Marcel Carret :

و هو طبيب فرنسي ، له شهادات عن الشيخ العلاوي ذكرها في كتابه Le Cheikh El Alawi (Souvenirs) فهو يذكر كيف التقى به و تعرف به في مدة قصيرة ، و كان ذلك بمثابة انجذاب روحي . فلما ذهب إلى مدينة مستغانم ، ليعمل بها و استقر بحي تجديت العتيق ، و لما فتح عيادة ، اتصل به الشيخ ليعالجه عندما كان مريضا . يقول هذا الطبيب : " ما هو السبب

[1] Abdelkarim Jossot :le sentier d'Allah. Imprimerie Alaouia de Mostaganem 1990 P. 3
[2] Ibid P. 41

الذي دفعه ، ليتصل بي لكي أفحصه و أعالجه ، رغم أن هناك الكثير من أمثالي ، و رغم أنني جئت منذ مدة قصيرة ؟ " ([1]) .

فطريقة التعارف بينهما ، لها دلالة رمزية ، بكونها ترمز إلى ذلك اللقاء الذي حدث بين شخصين ينتميان إلى ثقافتين و ديانتين مختلفتين .

3) **مارتن لينجز Martin Lings** : صاحب كتاب :

" Un Saint Musulman du 20è Siècle" : Le Cheikh El Alawi

و هو كاتب إنجليزي ، و محافظ المحفوظات العربية بالمتحف البريطاني .

فيما يخص هذا الكاتب ، فقد جاء في كتاب "الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء" تأليف محمد كامل عبد الصمد ، تحت عنوان "المفكر الإنجليزي مارتن لينجز و قصة انتقاله إلى النور" ما يلي : "... لقد أخذ ينقب في كتب التراث عن الديانات المنتشرة في العالم ليقرأ عنها جميعا ، فاستوقفه دين الإسلام كشريعة لها مناهج ، يتفق مع المنطق و العقل ، فشعر حينئذ أنه وجد نفسه مع هذا الدين الذي يتفق مع فطرة الإنسان حيث يعبر عن ذلك بقوله : "لقد وجدت في الإسلام ذاتي التي افتقدتها طوال حياتي ، و أحسست وقتها أني إنسان لأول مرة ، فهو دين يرجع بالإنسان إلى طبيعته و يتفق مع فطرته" .

و يذكر أنه أشهر إسلامه على يد أحد أتباع الشيخ العلاوي التقى به في سويسرا ، التي كان يعمل بها مدرسا . و قد قام بتغير اسمه من "مارتن لينجز" إلى "أبي بكر سراج الدين" ([2]).

---

[1] Le Cheikh El Alawi (Souvenirs) P.11

[2] مقال تحصلت عنه عن طريق الإنترنت بتاريخ 2002/05/06 في الموقع :
File :// A:\My Documents \S3.htm

4) الكاتب الفرنسي : André Berque (و هو والد المستشرق الفرنسي المشهور Jacques Berque المتوفي سنة 1995) .

و يعتبر من المثقفين الأوربيين الذين اتصلوا بالشيخ العلاوي و تعرفوا به ، حيث يقول : "كان الشيخ بن عليوة يبدو نحيفا في مظهره ، لكن يسطع من وجهه إشعاع عجيب ، و كانت له جاذبية نحو شخصه لا يستطيع أحد مقاومتها" ([1]) .

و بكون الشيخ كان شغوفا بالعلم و المعرفة ، فقد قام بدراسات حول الفلسفة الإسلامية و علم الفلك... انطلاقا من مبادئ الشريعة الإسلامية .

و في هذا الشأن يقول الكاتب الفرنسي :"لقد تعرفت على الشيخ العلاوي في الفترة ما بين 1921 و 1934 ، و كانت تبدو عليه علامات الكبر في السن ، و كان ذا فضول فكري يزداد كل يوم ، و كان شديد الشغف في أبحاثه خاصة الميتافيزيقية منها" ([2]) .

5) الدكتور : J.H.Probst-Biraben : صاحب مقال تحت عنوان : Une Confrérie musulmane moderne : Les Alawiya نشر في مجلة : "En terres d'Islam" سنة 1949 عدد 31 .

و قد شغل هذا الباحث منصب أستاذ بقسنطينة ، و مقدما للزاوية العلاوية في السنوات 1920 و 1930 ([3]) حيث يقول في كتابه :

---

[1] Documents et témoignages Cheikh El Alawi P.79

[2] Martin Lings-Un Saint soufi du XX° siècle –Le Cheikh Ahmed El Alawi –Editions du Seuil Paris 1990 P.89

[3] Eric Geoffroy–le rayonnement spirituel du Cheikh El Alawi en occident (célébration de la 1ère décennie de l'association du Cheikh El Alawi) Mostaganem 16-17-18/10/2001 P.366

"إن تأسيس طريقة صوفية إسلامية حديثة، في الجزائر، في وطن حديث النمو و خاصة في منطقة ساحلية، أنها ظاهرة عجيبة و تشد الإنتباه"([1]) .

نستنتج من ذلك ، أن أغلب الطرق الصوفية كانت تنشأ في أوساط ريفية ، لكن حسب رأيه أن خصوصية الطريقة العلاوية أنها تأسست و أنشأت زاويتها الأم في وسط حضري .

إلى جانب هذا ، فهو يذكر من بين خصوصيات كل من الطريقتين العلاوية و التيجانية مقارنة مع الطرق الأخرى . أنهما لا تقبلان الفقراء الذين ينتسبون إلى طرق أخرى ، عكس الآخرين الذين ينتمون إلى طريقتين في نفس الوقت . أما بالنسبة للشيخ العلاوي ، فقد ساهم في إعطاء التصوف مرونة و توسع أكثر .

إلى جانب ذلك فهو يذكر قضية مهمة و هي الحوار مع الأديان ، بكون الشيخ كان يتمتع بذكاء خارق من خلال معاملاته مع المسيحيين ، و كانت له علاقات صداقة وطيدة مع بعض القساوسة و رجال الدين الكاثوليكيين ([2]) .

6) ف. شيون Frithjof Schuon

شاعر و فنان و ميتافيزيقي ، من سويسرا ، تعرف على الشيخ العلاوي بعد أن قام بزيارة له بمستغانم . ثم أسس فرعا للزاوية العلاوية بلوزان Lauzanne (بسويسرا) بمساعدة زميل له و هو René Guenon، و سماه "المريمية" "Meryamia " نسبة إلى السيدة مريم أم السيد المسيح عليه السلام ([3]) .

---

[1] Documents et témoignages P.80
[2] Les Voies d'Allah T2 P.42
[3] Documents et témoignages P.32

و يقوم F. Schuon بوصف الشيخ العلاوي قائلا :"كان يرتدي جلبابا بنيا واضعا فوق رأسه عمامة بيضاء ، و له لحية فضية اللون ، يتكلم بصوت منخفض و هادئ ، تنزل منه الكلمات الواحدة تلو الأخرى مثل القطرات" ([1]).

و كان الإتجاه الصوفي الشاذلي – العلاوي الذي تبناه كل من Schuon و Guenon ، قد مس خاصة فئة المثقفين المهتمين بمجالي العلم و التصوف ([2]) .

و يمكن ذكر شخصيات ثقافية أوربية أخرى كانت لها علاقة مع الطريقة العلاوية أمثال :

– Eugène Taillard ، الذي إعتنق الإسلام ، و شغل منصب مترجم محلف بمحكمة تونس .

– René Guenon ، الذي كان عضوا في الحركة الماسونية Franc-maçonnerie بباريس ، ثم دخل الإسلام سنة 1912 ، و أصبح اسمه عبد الوحيد يحيا . و قد قام بدراسات حول الميتافيزيقيا ، و عمل مدرسا في مدينة سطيف ، ثم سافر إلى القاهرة حيث توفي هناك سنة 1951 ([3]) .

– Titus Burckhardt (المتوفي سنة 1984) و المعروف خاصة بأعماله في مجالي الفن و الهندسة المعمارية الإسلامية ، و قد ساهم في بناء مدينة فاس القديمة ([4]) .

---

[1] Les voies d'Allah T2 P.94

[2] Documents et témoignages P.32

[3] Eric Geoffroy – le rayonnement spirituel du Cheikh El Alawi en occident (célébration de la 1ère décennie de l'association du Cheikh El Alawi) Mostaganem 16-17-18/10/2001 P.363

[4] Ibid P.365

المبحث الثاني : الزاوية العلاوية و التواصل الثقافي مع المجتمعات الأوربية

التواصل الثقافي و الحضاري ضرورية إنسانية

إن التواصل الحضاري ضرورة حتمية تفرضها المسيرة العامة للإنسانية ، في مراحل معينة من تاريخنا ، لكل منها خصائصها و مبادئها و مظاهرها .

فدول العالم الثالث ، بما فيها الدول العربية و الإسلامية ، يجب أن تواكب تقدم الشعوب الأخرى ، لأن هذا العالم الذي نعيش فيه يوجد في حركية دائمة ، فهو يتقدم و يتطور باستمرار . لذلك يجب أن نساهم في هذا التقدم ، كما نساهم في التواصل و الحوار معه ، لأن التقوقع و الانكماش حول أنفسنا يؤدي إلى تهميشنا .

و تجسيد هذه الفكرة يكون عن طريق التكامل بين المجتمعات ، و ليس عن طريق تصادم الحضارات أو عزلها عن بعضها البعض، كما يدعو إلي ذلك بعض المفكرين أمثال س. هيدنجتون S.Hedington .أو كما يرى المفكر الألماني أ.شبنجر O.Spingler ، أن " لكل حضارة كيانها المستقل المنعزل تمام العزلة عن كيان غيرها من الحضارات، و لا سبيل إلى اتصال حضاري بحضارة أخرى. ما دامت كل حضارة بمثابة كائن عضوي و وحدة مقفلة على نفسها ..." ([1]) .

فالتثاقف أو التفاعل الثقافي Acculturation ، يستخدم للدلالة على تفاعل إيجابي عند الإحتكاك بين الثقافات. و عندما تتداخل ثقافتان، فإذا كانت

---

[1] محمد عبد الواحد حجازي – الثقافة العربية و مستقبل الحضارة .– دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع – الإسكندرية 1999 ص 94

السمات الثقافية التي يجري تبادلها تتوازن و تحافظ كل منهما على هويتها و ديناميكيتها الخاصتين بعد إدماج و استيعاب العناصر الأجنبية، يمكن الحديث عن تثاقف ناجح ([1])

و مما جاء في اللقاء الرابع الإسلامي–المسيحي حول الروحانيات Spiritualités "...فيما يخص البحث عن روحانية خاصة بعصرنا ، حسب منظري الوحدة الصوفية ، ليس ذوبان دين داخل دين آخر أو مؤسسة دينية داخل مؤسسة أخرى ، و لكن بمعنى أكثر عمقا . كما عبر عنه الدكتور كمال حسين في "الوعد المقدس" حيث فسر الآية التي تقول " إنما المؤمنون إخوة " على أن المقصود بها كل المنتمين إلى الأديان التوحيدية ، بعيدا عن كل الحواجز الدينية و العقائدية التي تفصل بينهم " ([2])

و تفاديا للصراعات التي قد تحدث بين المجموعات البشرية و للحد منها ظهرت اتجاهات جديدة تدعو إلى إقامة حوار ديني و حضاري بين مختلف الثقافات ، رغم الفروقات و الاختلافات الموجودة بينها ، لأنه إلى جانب التنوع اللامتناهي للثقافات فإنه توجد حضارة عالمية قائمة على القيم المشتركة للتسامح و الحرية و العدالة .

كما جاءفي مقال للأمين العام للأمم المتحدة :" إن التنوع هو في آن واحد أساس الحوار بين الحضارات ، كما أنه الحقيقة التي تجعل الحوار ضروريا ، و هذه هي الحضارة العالمية التي ندعي إلى الدفاع عنها و تشجيعها ، و نحن على أبواب قرن جديد " ([3]) .

---

[1] سيرج لانوش –تغريب العالم –ترجمة خليل كلفت – مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء 1999 ص 64

[2] Rencontre Islamo-Chrétienne (La Spiritualité une exigence de notre temps) Tunis (21-26 Avril 1986) CERES Tunis 1988 page 100

[3] مقال تحصلت عليه عن طريق الانترنيت (جويلية 2002) الموقع : Http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/takafarabia/htm

فالأصل في الحوار وجود طرفين ، متقابلين و مختلفين في الآراء ، و هذه هي طبيعة الحوار ([1]) .

فإذا كان الكثير يدعو إلى ضرورة التواصل و الحوار بين الحضارات فهذا لا يعني أننا لا نستطيع أن نفخر و ندافع عن تراثنا الثقافي و الروحي المتميز لكن بدون إقصاء الآخر لأن نفي الآخر و عدم التحاور معه فكرة زائفة .

الزاوية العلاوية و التواصل الثقافي

إن الزاوية العلاوية و منذ تأسيسها قد بادرت بتبني هذا النوع من الحوار مع كل الثقافات ، و عدم نبذ الآخر مهما كان لونه أو عرقه أو ديانته انطلاقا من مبادئ الكتاب و السنة . كما قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا ، إن خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم " صدق الله العظيم.

و الزاوية العلاوية باعتبارها مؤسسة دينية حديثة النشأة ، تأسست خلال الفترة الاستعمارية (1910) مقارنة مع الزوايا و الطرق الصوفية الأخرى ، فهي أكثر تفتحا نحو محيطها الثقافي الداخلي ، و كذا المحيط الثقافي الأوربي ، و هذا يظهر من خلال الوثائق و الكتابات و المؤلفات الخاصة بشيوخ الزاوية ، و الذين كانوا يدعون إلى هذه المبادئ السمحة المبنية على الأخوة و التسامح و نبذ العنف بكل أنواعه . و هذا ما يتبين لنا من خلال نظرة كل شيخ من شيوخ الزاوية و تعامله مع مختلف الثقافات و الديانات التوحيدية المختلفة .

---

[1] أ.صايم عبد الحكيم (أستاذ بجامعة وهران) – محاضرة "الحوار بين الأديان عند الشيخ عدة بن تونس" ألقيت في ملتقى الذكرى الخمسين لوفاة الشيخ عدة بن تونس يومي 30-31 أكتوبر 2002 بمستغانم

الشيخ العلاوي 1869-1934 :

اسمه الحقيقي هو أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة ، ولد بمستغانم سنة 1869 .

كان لقاؤه مع شيخه و مرشده الروحي الشيخ محمد البوزيدي سنة 1894 . و في البداية كان الشيخ العلاوي منتسبا للطريقة العيساوية ، ثم بتوجيه من شيخه تخلى عن هذه الطريقة نظرا للمظاهر التي تطبعها و التي لم تكن تليق بالشيخ . و بقي في خدمة شيخه إلى سنة وفاته سنة 1909 . فخلفه في المشيخة إلى أن أسس الطريقة التي حملت اسمه سنة 1910 ، إلى أن توفي سنة 1934 .

و في هذه الفترة كانت الطريقة تضم عشرات الآلاف من المريدين عبر دول العالم : في الجزائر ، المغرب ، تونس ، ليبيا ، اليمن ، سوريا ، و في فرنسا و إنجلترا .

و بعد موته ، بقيت كل أعماله و مؤلفاته تشهد على عظمة و ذكاء هذا الرجل المصلح و كلها تتعلق سواء بعلاقاته مع الناس و المجتمع و الكون أو علاقته مع المطلق (الله) . و كانت نظرته المتفتحة نحو العالم قد دفعته إلى انتهاج حوار صريح مع الناس مهما كان أصلهم أو لونهم أو ديانتهم .

و خلال حياته ، فإن الشيخ قد دافع عن الدين الإسلامي ، في أبعاده الثلاثة (الإسلام – الإيمان – الإحساس) أو (الشريعة – الطريقة – الحقيقة) . كما كان ينتهج الطريقة المحمدية عبر تلك السلسلة المتواصلة للشيوخ الروحيين بداية من الرسول محمد (ص) .

الشيخ العلاوي و التفتح نحو الغرب :

إن الظروف الاجتماعية و الثقافية و السياسية التي كانت سائدة أثناء الفترة الاستعمارية ، لم تمكن الشيخ العلاوي العيش مطولا في المجتمعات الأوربية مثلما هو الحال عند الشيخ خالد .

إلا أن الشيخ العلاوي ، من خلال انتهاجه لأسلوب الحوار الإسلامي – المسيحي كانت له مرجعية دينية و تاريخية ، حيث كان دائما يربط بين الديانتين الإسلامية و المسيحية ، من خلال التكامل و الاستمرارية الموجودة بين الرسول محمد (ص) و السيد المسيح .

و قد أجمعت كل الدراسات التي أجريت حول شخصيته من طرف المفكرين الغربيين ، على أنه له نموذج عيساوي Modèle Christique ، نسبة لسيدنا عيسى عليه السلام ، و هذا يتجلى من خلال ملامحه الخارجية و تكوينه الفيزيولوجي . فقد قال عنه الدكتور Marcel Carret : " إن أول ما راعني فيه هو ذلك الشبه الكبير بينه و بين التصورات المعتادة للمسيح "([1]).

كما ذكر A. Jossot في كتابه " Le sentier d'Allah " : "كان له وجه مشرق يشبه وجه المسيح المتألم الهادئ " ([2]) .

فكان الشيخ العلاوي عندما يضع الصلة المباشرة بين الرسول (ص) و السيد المسيح ، فهو يعتبرهما تتمة و امتدادا لبعضهما البعض .

حيث يقول الشيخ : " جاء محمد عقب بعثة المسيح بنحو خمسمائة سنة فقال أنا دعوة أبيكم إبراهيم و بشارة عيسى ، فآمنت به طائفة من النصارى،

---

[1] Marcel Carret – Le Cheikh El Alawi – Imprimerie Alaouia de Mostaganem 1987 P.12

[2] Abdelkarim Jossot – le sentier d'Allah - Imprimerie Alaouia de Mostaganem 1990 P.3

و كفرت به طائفة ، و سبب كفرها به أنها توهمته ، أنه ليس هو ذلك المبشر به ، و إن قلنا عاقتها عن التصديق به ما توهمته فالآن قد صدقته ، كما اتضح صدق المسيح عليه السلام ، بتصريحه للمبعوث بعده " ([1]) .

و يستند كذلك الشيخ العلاوي ، بسيرة الرسول (ص) الذي كان هو بدوره رجل حوار مع مختلف الديانات . و هذا يتجلى في قدوم بعثة من نجران (منطقة اليمن حاليا) متكونة من ستين رجلا مسيحيا على رأسهم قس مسيحي ، من أجل طلب الهدنة من المسلمين ، فلما حان وقت صلاتهم ، أذن لهم الرسول (ص) بالصلاة في مسجده .

و هناك واقعة جرت للشيخ العلاوي خلال حياته ، لها صلة وطيدة بالعلاقات التي كانت تربطه بالمسيحيين ، و يحكيها الأب Père Giaobetti (من الآباء البيض) ، حيث كان مسافرا من الجزائر إلى مرسيليا ، و كان بصحبته الشيخ العلاوي : "كنت أتحدث مع الشيخ العلاوي الذي كانت تربطني به صداقة وطيدة ، كبقية شيوخ الزوايا الآخرين"([2]).

و كان ذلك في شهر جويلية 1926 ، و كنت مدعوا لملتقى حول الطرق الصوفية الإسلامية ، فالتقيت بالشيخ العلاوي بصحبة مجموعة من "الفقراء" كانوا ذاهبين لحضور تدشين مسجد باريس . فوجدته يحضر لتأليف كتاب خاص بالحوار بين الفرنسيين الكاثوليكيين و المسلمين .

و بعد ذلك ، يقول هذا الأب " لقد طلب مني الشيخ العلاوي إذا كان بإمكان المسيحيين الاتفاق مع المسلمين لتكوين دين واحد " ([3]) .

---

[1] الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي – مظهر البينات في التمهيد بالمقدمات – المطبعة العلاوية بمستغانم 1987 ص 21

[2] - [3] Johan Cartigny – Cheikh El Alawi – Documents et témoignages – Editions les amis de l'Islam Paris 1984 P.42

و في آخر الحوار ، تبين ، أن ذلك غير ممكن ، و تبقى العلاقة عبارة عن تواصل و حوار يكون مبنيا على التعاون و التكامل فيما بين الأديان السماوية .

الشيخ عدة بن تونس : (1898-1952) :

يعتبر الخليفة الأول بعد وفاة الشيخ العلاوي سنة 1934 . ولد بمستغانم سنة 1898 ، من أسرة عريقة . كان والده الشيخ بن عدة مقدما في الطريقة القدورية في خدمة شيخه قدور بن سليمان .

و كان منذ صغره يحفظ القرآن في زاوية الشيخ حمو بوزيدي ، رفقة أخيه الأكبر الشيخ منور .

ثم التقى بعد ذلك بالشيخ العلاوي الذي أبدى له اهتماما كبيرا ، نظرا لعنايته الخاصة بفقراء الزاوية ، مما أدى بالشيخ العلاوي إلى التكفل به و تبناه كابن له ، و جعله وريثه الشرعي عن طريق عقد مكتوب في سنة 1931 ([1]) ، و أصبح الابن الروحي له و مسير ممتلكاته و حبوسه الخاصة بالزاوية .

بعد موت الشيخ العلاوي سنة 1934 ، ثم تعيينه شيخا للزاوية العلاوية. فقام بعدة سياحات (زيارات روحية) إلى المغرب و مكة المكرمة و الجزائر و القبائل . و بفضله تم تأسيس عدة فروع للزاوية العلاوية : بمستغانم ، و الجزائر و غليزان و وهران...) و في المغرب (تطوان ، طنجة العرايش ، سبتة ، الحسيمة...) و في إنجلترا (عشرات الزوايا و بالخصوص في Cardiff) .

[1] نسخة من هذا العقد موجودة ضمن ملاحق هذه المذكرة

من مؤلفاته :

قواعد الإسلام سنة 1943 ([1]) .

الدرة البهية في أوراد و سند الطريقة العلاوية ([2])

مجالس الذكر في تهذيب الروح و تربية الضمير ([3])

تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء ([4])

نشر بعض مجلات منها :

لسان الدين صدر سنة 1937 إلى غاية 1939

"المرشد" سنة 1946

و من الجمعيات التي أسسها :

جمعية الشباب العلاوي سنة 1936

جمعية أحباب الإسلام سنة 1948

كما نشر عدة مؤلفات حول الإسلام و التصوف و قصائد حول الحب الإلهي .

الشيخ عدة بن تونس و الحوار الديني :

يعتبر الشيخ عدة الخليفة الأول للشيخ العلاوي ، و قد تابع مسيرته باعتباره وريثه الشرعي ، و كان هو كذلك أكثر تفتحا في مجال الحوار و التواصل بين الأديان و الحضارات

و بذلك فقد عرفت الزاوية العلاوية انطلاقة جديدة في هذا المجال الخاص بقبول الآخر بغض النضر عن الفروقات و الاختلافات الدينية و العرقية ، لذلك فقد كان الشيخ عدة يحث المريدين على عدم نبذ الآخرين ،

---

[1] مطبعة الزاوية العلاوية بمستغانم 1985

[2] مطبعة الزاوية العلاوية بمستغانم الصيغة الرابعة 1987

[3] مطبعة الزاوية العلاوية بمستغانم 1995

[4] مطبعة الزاوية العلاوية بمستغانم 1983

و قد تم تعيينه شيخا للزاوية بعد وفاة والده سنة 1952 . و كان طيلة حياته يدافع عن الإسلام و يدعو إلى نشر الثقافة الصوفية ، عن طريق تأسيس الكثير من الزوايا عبر مناطق عديدة في الجزائر و المغرب و في الشرق الأوسط و أوربا .

و خلال الفترة الاستعمارية ، عاش ظروفا صعبة ، حيث تعرض لأخطار جسام من قبل السلطات العسكرية الفرنسية متهمة إياه بالتعامل مع الثوار ، مما جعل الزاوية العلاوية عرضة للتفتيش عدة مرات ، و المراقبة المستمرة بحثا عن المجاهدين و الأسلحة و الذخيرة الحربية ([1]) .

و بعد الاستقلال ، عاش ظروفا صعبة كذلك ، حيث وضع تحت الإقامة الجبرية .

و بعد أن قضى مدة 23 سنة على رأس هذه الزاوية ، توفي عن عمر 47 سنة ، يوم 24 أفريل 1975 .

الشيخ خالد بن تونس (1949- .....)

و هو يعتبر الخليفة الثالث في الطريقة العلاوية . ولد سنة 1949 بمستغانم و ترعرع في أحضان الزاوية العلاوية ، حيث تلقى فيها تربية دينية و روحية إلى جانب التعليم الذي تلقاه في المدرسة . فهو من جهة ، كما يقول قد تعلم تعليما مزدوجا : الأول "تقدمي" Progressiste ، بكونه كان يتلقى دروسا حول كتاب "الرأسمال" لكارل مارس ، و كتاب "الله و الشيطان" لجان

[1] رشيد محمد الهادي بن تونس – نيل المغانم من تاريخ و تقاليد مستغانم – المطبعة العلاوية بمستغانم 1998 ص 117

بول سارتر ([1]) ، و الثاني تقليدي Traditionnel يتمثل في التعليم الذي تلقاه في الزاوية .

و بعدما عرفت الزاوية ظروفا سياسية صعبة ، بوضع والده في الإقامة الجبرية في بداية 1970 ، كان الشيخ خالد مجبرا على الفرار إلى الخارج . فتوجه في البداية إلى المغرب عند أفراد من عائلته . و لما نصحوه بمغادرة البلاد توجه إلى أوربا ، حيث مكث بباريس ، و توجه إلى أوكسفورد و كامبريخ بإنجلترا ليحضر شهادة جامعية حول التاريخ الإسلامي . و رغم البيئة الثرية بالفكر و الثقافة لم يستطع التكيف مع المجتمع الإنجليزي و عاد مرة ثانية إلى فرنسا . ثم دخل عالم التجارة فبدأ بمساعدة صديق له باستيراد السلع التقليدية و الملابس و الأثاث من المغرب و أفغانستان . فأصبحت تجارتهما مزدهرة ، و بعدما استقر به الحال ، تزوج امرأة فرنسية . و كل هذه العوامل لعبت دورا مهما في توجيه مسار حياته ، فهو يقول "لقد ساعدني القدر و أنا في مقتبل العمر أن انتهج حوارا مع مختلف الثقافات"([2])، و حياته بأوربا و تنقله إلى مختلف بلدان العالم ، زيادة على حضوره لمختلف النشاطات و التظاهرات الخاصة بالزاوية العلاوية سنويا سواء بالجزائر أو بالمغرب، جعلت الزاوية العلاوية تعيش عهدا جديدا من التفتح نحو الخارج .

الشيخ خالد و التواصل الثقافي :

لقد انتقلت مباشرة للشيخ الحالي ، دون التعرض في هذا الجانب للشيخ الحاج المهدي ، لأنه في حدود معلوماتي ، و بكوني لم أعثر على مؤلفات خاصة به ، لذلك لم أستطع الحصول على معلومات خاصة بقضية الحوار

---

[1] Cheikh Khaled Bentounes – le soufisme cœur de l'Islam – Editions ElAlamein Sétif 1997 P.29

[2] نفس المرجع ص 35

بين الأديان ، باستثناء ما قرأته عنه في سيرة حياته على أنه كان ينادي من أجل تعميم السلم و المحبة للإنسانية جمعاء .

زيادة على ذلك أن الزاوية العلاوية في عهده عاشت ظروفا سياسية صعبة حيث سجن من طرف المستعمر الفرنسي سنة 1950 ، و عاش نفس الظروف بعد مرحلة الاستقلال.

بالنسبة للشيخ خالد ، فقد واصل مسيرة الحوار مع الأديان الأخرى ، مستعملا الأساليب الحديثة و ذلك حسب متطلبات العصر .

فقد أسس على مستوى الجزائر العاصمة جمعية "لقاءات" Rencontres سنة 1988 ، و تتمثل نشاطاتها في الاتصال مع الجاليات الأوربية و إقامة الحوار الديني و اللقاءات معها .

أما في الخارج ، فتوجد عدة جمعيات لها نفس الطابع ، منها "أحباب الإسلام""Les Amis de l'Islam" و "أرض أوربا"" Terre d'Europe" ، مهمتها كذلك إقامة النشاطات العلمية و الثقافية بهدف تشجيع هذا الحوار مع الديانات . و يقوم بتسيير هذه الجمعيات الكثير من المريدين التابعين للزاوية العلاوية سواء كانوا جزائريين أم من جنسيات أخرى ، زيادة على وجود فضاءات ثقافية أخرى يحضرها الشيخ الخالد و ينشط فيها محاضرات و لقاءات يتحاور من خلالها مع ممثلي الديانات الأخرى مثل قنوات التلفزة الفرنسية و مواقع الإنترنت و الندوات و الملتقيات الدولية .

فالطريقة العلاوية ، في هذا الميدان ، تنطلق من فكرة ذات أبعاد إنسانية ، تتمثل في إحترام الآخر ، مهما كان لونه أو جنسيته أو ديانته ، و الابتعاد عن الأنانية Egocentrisme من جهة . و من جهة أخرى ، محاربة كل الآفات التي تسبب فيها الإنسان نفسه .

من هنا ، نجد أن التربية الروحية تغرس في الفرد تقديس و احترام الحياة، و تضعه أمام مسؤوليته تجاه كل أنواع الكائنات (جماد، نبات، وحيوان)، حيث أن القوة الكامنة فيه يمكن أن تؤدي به إلى تدمير نفسه و تدمير سلسلة الوجود بأكملها([1]) .

أما الظروف الموضوعية و الذاتية التي دفعت الشيخ الحالي إلى انتهاج أسلوب التواصل مع الثقافات ، فنلخصها فيما يلي :

1- اتباعه لنهج الشيخ العلاوي الذي بادر به منذ البداية في إقامة هذا التواصل و الحوار خاصة بين الإسلام و المسيحية و لقاءه مع الكثير من القساوسة و المثقفين حيث ربطته بهم علاقات وطيدة .

2- نظرا للظروف السياسية التي عاشتها الزاوية في فترة ما بعد الاستقلال ، فقد لجأ الشيخ خالد إلى أوربا ، و أكمل دراسته بإنجلترا ثم استقر بفرنسا .

3- و هناك عامل ذاتي ، يتعلق بزواج الشيخ بإمرأة فرنسية ، و قد يكون هذا العامل مهما جدا في اندماجه في المجتمع الأوربي بصفة عامة . فقد قال الشيخ :" لقد تزوجت بامرأة أوربية ، و كانت تجهل الكثير عن الإسلام ، لكنها كانت مقتنعة جدا بثقافتها و تقاليدها . و كان هذا اللقاء دون أهمية كبيرة" فبغض النظر عن اختلاف أفكارنا ، فقد استطعنا التعايش مع بعضنا البعض ([2]) . ثم دخل عالم التجارة بمساعدة صديق له ، حيث كانا يقومان باستيراد المنتوجات الحرفية و الملابس من المغرب و أفغانستان إلى فرنسا .

---

[1] هذا مما جاء من خلال لقائي مع الشيخ خالد الشيخ الحالي للطريقة العلاوية ، بمقر الزاوية بمستغانم يوم 2002/06/09 .

[2] Le Soufisme , cœur de l'Islam – P. 35

و قد وصف الشيخ هذه العملية بقوله :" إن هذه العملية كانت تناسبني كثيرا خاصة مع التربية التي تلقيتها ، لأن الأمر كان يتعلق بإقامة جسر ما بين المشرق و المغرب . و قد ساعدني القدر منذ صغر سني ، على أن ادفع بالحوار مع مختلف الثقافات" ([1])

الإنسان الكوني l'Homme Universel أو البعد الإنساني للتواصل بين الثقافات

أصبحت الزاوية العلاوية تتبع أسلوبا جديدا في اتجاهها الصوفي . و يبرز ذلك من خلال الدور الذي يلعبه الشيخ الحالي للطريقة المتمثل في طرحه العميق لقضايا تخص الإنسانية جمعاء .

فحسب رأيه أن الحوار بين الثقافات يؤدي بالإنسان إلى تخطي كل الحواجز و العقبات التي تفصل بين المجتمعات ، من أجل القضاء على كل هذه النزاعات و الكوارث التي تسبب فيها الإنسان نفسه . فالتقدم العلمي و التكنولوجي قد أفرز الكثير من الآفات و لم يغير شيئا في علاقة الإنسان مع نفسه و مع الآخرين .

فهو يدعو أهل التصوف ألا يهتموا بالمجال الروحي إذا كان يشكل عائقا أمام تقدم البشرية ، فيجب أن تعطى الأولوية للإنسانية بإنقاذها من كل المخاطر التي تهددها .

و بذلك فهو يطرح مجموعة من الأسئلة : ما هي أهمية التربية الروحية ، إذا لم تساهم في القضاء على هذه الوضعية الصعبة التي تعيشها الإنسانية ؟ و إذا لم تمكننا من التفتح و التسامح و نشر المحبة في المجتمعات

[1] نفس المرجع السابق ص 35

الإنسانية الأخرى ؟ . فأمام هذه الوضعية الصعبة التي تعيشها الإنسانية ، و كل هذه الصراعات و التناقضات ، ما عسى أن تجلب لنا الحياة الروحية ؟

و انطلاقا من هذه المعطيات ، يطرح الشيخ خالد فكرة تحقيق الإنسان الكوني l'Homme Universel ، و التي تقتضي من كل إنسان أن يتقبل وضعيته بكونه جزء من هذا الكون ، و من الإنسانية بإختلافاتها و تركيباتها . فكل شخص قد تلقى ثقافة و تقاليد يختلف عن ما تلقاه الآخرون في المجتمعات الأخرى . لذلك يجب عليه أن يكون متفتحا عليها و يتقبلها ، لأنه يحملها بباطنه ([1]) .

فلما خلق الله سبحانه و تعالى هذا الكون ، خلق معه الملائكة رمز النور ، و الشيطان رمز الشر و الظلمات . و بين هذه الثنائية القطبية ، بين الشر و الخير خلق الإنسان الذي يجمع بين هذين المتناقضين ، و جعل منه خليفته في الأرض . فهو الكائن الوحيد الذي يجمع بين أحاسيس مختلفة بين الحب و الكراهية ، بين الفرح و الحزن ... . فمن طبيعة الإنسان أنه يجمع بين السلوك الإيجابي و السلوك السلبي ، لكن مهمته و رسالته هو التوفيق بينهما .

فالخصوصية الوحيدة التي تتجسد في الكائن البشري ، هي الجمع بين التوازن و الخلل . فهو الذي يستطيع أن يزرع النبات و الأشجار ، أي بزرع الحياة في الطبيعة ، كما يستطيع كذلك أن يحطم و يقضي على كل شيء في الطبيعة .

فإذا استطاع أن يفهم نفسه و يتوصل إلى معرفة حقيقته ، أي الجمع بين العاملين المتناقضين ، هنا يتوصل إلى تجسيد الإنسان الكوني الموجود بداخله .

---

[1] مأخوذ من مقال كتبه الشيخ خالد عن طريق الإنترنت تحت عنوان :
Le sens du sacré l'homme universel بتاريخ 2002/05/25

فهذه الفكرة قد تبدو فلسفية أو ميتافيزقية ، لكنها ذات أبعاد إنسانية عميقة . لأن الإنسان إذا أراد أن يعم الإسلام و العدل و المساواة و الاخوة عبر المجتمعات الإنسانية قاطبة فيجب عليه ، أن يبدأ بنبذ ذلك الجانب السلبي الموجود فيه و هو الأنانية و تضخم الأنا la mégalomanie و زرع الكراهية نحو الآخرين. و بهذا يرتقي بنفسه و تتحقق سعادة البشرية جمعاء .

الخاتمة

الخاتمة :

لقد مرت الحركة الصوفية بمراحل مختلفة ، من الزهد أو التصوف الفردي إلى التصوف الطرقي أو الاجتماعي ، و قد تخللها الكثير من المد و الجزر ، نتيجة للخصوصيات و الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي طبعت كل أمة من الأمم ، و التي نشأت في أحضانها هذه الظاهرة الدينية .

فالميراث الصوفي من أهم مقدمات شخصيتنا العربية و الإسلامية ، قد بدأ ينتشر في بقية المجتمعات الأخرى . فصور هذا النشاط الفكري و الروحي تجاوزت العالم الحسي لتشغل منزلة من أرفع المنازل في مفهوم الحضارة . فالإنسان هو محور هذه الحضارة و أساسها ، إلا أن التطور التكنولوجي و العلمي في العالم المعاصر و خاصة في أوربا ، قد أحدث أثرا عكسيا في جوهر الإنسان و بنائه من ناحية قيمه الروحية و الأخلاقية و السلوكية . فأصبح جسم الإنسان في مخيال الإنسان الغربي ينظر إليه كمادة ، مما أحدث ثنائية ، أي فصل الجسم عن طابعه الإنساني ، و أدى إلى اعتباره نوعا من " الأنا الآخر " Alterego ([1]) .

فالتصوف جاء ليضع توازنا في حياة الفرد و الجماعة ، هذا التوازن الذي حد من طغيان الجانب الحسي و الحيواني على حياة الإنسان .

فالزاوية العلاوية ، بعد أن مرت بعدة مراحل أثناء تطورها و نموها ، فقد استمرت بأكثر قوة و ديناميكية في أداء دورها من الناحية الثقافية و التربوية عن طريق مساهمتها في بث العلم و المعرفة و نشر الثقافة الروحية و المحافظة على تراثها ، و تسهيل الاتصال بين أفراد المجتمع بتحسين

---

[1] داڤيد لوبروتون – انتروبولوجيا الجسد و الحداثة – ترجمة محمد عرب صاصيلا المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت 1997 ص 7

العلاقات و الروابط الودية و التهذيبية . و هي أهداف نبيلة تنأى عن الإنطوائية و الإنعزالية التي كان يمارسها المتصوفون الأقدمون رغم الاضطرابات الخارجية ، مطبقة مبادئ الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ العلاوي انطلاقا من أحكام الكتاب و السنة .

فمن خلال دراستي للوثائق الخاصة بالزاوية العلاوية و نزولي للميدان استطعت أن اتبين مدى صحة الاشكالية و مطابقتها للواقع الثقافي الذي تعيش فيه الزاوية ثم تأكيد الفرضيات المطروحة .

فالتكامل الموجود في بنية الزاوية يتمثل من جهة في ذلك التسلسل و الامتداد الموجود بين المحافظة على محيطها و فضائها الداخلي بما فيه من ديناميكية الطقوس الدينية و صلتها بشبكة العلاقات الاجتماعية و النظام القوي و المتماسك من الاتصال ، كل هذا أدى بالضرورة إلى انفتاحها على المحيط الثقافي و الاجتماعي داخل الوطن عن طريق حركتها الجمعوية و تظاهراتها العلمية و التربوية و الثقافية المنطلقة كلها من التربية الروحية و الصوفية ، مما أدى إلى عصرنتها و جلبها للفئات و النخب المثقفة من باحثين و جامعيين و هذا من أجل إشراك كل الشرائح الاجتماعية الفعالة ، بجعلها تتمسك بالميراث الصوفي للزاوية و تسعى إلى نشره إلى بقية شرائح المجتمع الأخرى .

و قد برز كذلك ذلك الطابع العصري للزاوية من خلال شيخها الحالي الشيخ خالد و الذي تلقى تربية مزدوجة تربية دينية و روحية داخل الزاوية العلاوية في صغره ، ثم انتقاله إلى أوربا ، حيث حصل على شهادة جامعية في إنجلترا ، و استقر بفرنسا و تزوج بامرأة أوربية مما مكنه من الاندماج بسهولة في تلك المجتمعات الأوربية ، زيادة على أنه يترأس عدة جمعيات كلها تدعو إلى التواصل الثقافي و الحضاري . و بذلك استطاعت الزاوية

العلاوية المزج بين الأصالة و المعاصرة ، حيث انطلقت من ميراثها الروحي و الصوفي و كيفته مع أوضاع المجتمعات الأوربية من خلال الرسالة التي تسعى إلى نشرها في هذه الأوساط ، و هي نشر المحبة و العدالة و الحرية و نبذ العنف بكل أشكاله ، و قبول الآخر بغض النظر عن الاختلافات الدينية أو العرقية .

و من خلال هذه الدراسة ، فقد استخلصت النتائج التالية :

1)- أن الزاوية أصبحت مؤسسة نخبوية و قطبا روحيا و ثقافيا ، و استطاع شيخها الحالي أن يضع تكاملا و جسرا بين الاتجاه الصوفي للزاوية و الجانب العلمي لدراسة مختلف القضايا التي تهم الفرد و المجتمع .

2)- من خلال انتهاجها للحوار و التواصل بين الأديان ، فهي تساهم في حل النزاعات و القضاء على الآفات و الكوارث التي تسبب فيها الإنسان نفسه ، و من هنا إعطاء صورة حقيقية عن الإسلام .

3)- أن الشيخ الحالي للزاوية يذهب بعيدا في تصوره لمستقبل الإنسانية قاطبة إلى حد أنه يدعو إلى الاهتمام بالجوانب الإنسانية ، حتى و إن كان الجانب الروحي يشكل عائقا أمام ذلك ، أو يدفعنا إلى الأنانية ، فيجب التخلي عنه . لذلك فهناك دعوة لكل الباحثين لفتح مجال جديد في البحث و دراسة الحركة الصوفية التي أصبحت لها نظرة و أبعاد إنسانية جديدة .

4)- من خلال هذا التوجه الجديد ، فهناك إمكانية تأسيس هيئة أو جامعة صوفية من أجل تجسيد الوحدة الصوفية Pansoufisme ، و جمع كل الطرق الصوفية و توحيد مبادئها و توجهاتها على أسس إسلامية ، تماشيا مع متطلبات المجتمع الحديث في كل ميادين الحياة . و قد يحتاج ذلك إلى مختصين و إقامة مراكز بحث في هذا الصدد ، و كل هذا من شأنه أن يهدف

إلى تحقيق السعادة و المساواة لدى كل الشعوب ، و سيظل التصوف في المستقبل حيا في قلب الإنسان ، و هذا ما تسعى إلى تحقيقه الزاوية العلاوية .

المراجع

المراجع

I) المراجع باللغة العربية :

1) أحمد بن مصطفى العلاوي : التعرف إلى حقيقة التصوف – الطبعة الثانية – المطبعة العلاوية بمستغانم 1992 .
2) أحمد بن مصطفى العلاوي : الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية منشورات أحباب الإسلام باريس 1984 .
3) أحمد بن مصطفى العلاوي : مفتاح الشهود في مظاهر الوجود – الطبعة الثانية – المطبعة العلاوية بمستغانم 1994 .
4) أحمد بن مصطفى العلاوي : المنجاة – المطبعة العلاوية بمستغانم 1986 .
5) أحمد بن مصطفى العلاوي : القول المعتمد في مشروعية الذكر المفرد – المطبعة العلاوية بمستغانم 1992 .
6) أحمد بن مصطفى العلاوي : منهاج التصوف – المطبعة العلاوية بمستغانم (تاريخ الطبع غير واضح) .
7) أبو الوفا الغنيمي النفتازاني : مدخل إلى التصوف الإسلامي – دار الثقافة للنشر و التوزيع – القاهرة 1979 .
8) أبو بكر أحمد باقادر : علم الاجتماع و الإسلام – دراسة نقدية لفكر ماكس فبير – دار القلم بيروت 1987 .
9) أسعد السحمراني : التصوف منشؤه و مصطلحاته – دار النفائس – بيروت 1987 .
10) داقيد لوبروتون : انتروبولوجيا الجسد و الحداثة – ترجمة محمد عرب صاصيلا – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع – بيروت 1997
11) ابن عمار الصغير : التفكير العلمي عند ابن خلدون الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1971 .
12) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية – الجزء الرابع – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة 1983 .
13) حسين مروة : تراثنا كيف نفهمه – مؤسسة الأبحاث العربية – لبنان 1985

14) حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله : في الزهد و لالتصوف – دار الجيل – لبنان (بيروت) 1991 .
15) جان شوقيليي : التصوف و المتصوفة – ترجمة عبد القادر قنيني – إفريقيا للشرق – المغرب 1999 .
16) عمار هلال : الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء – المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة – الجزائر 1988 .
17) عدة بن تونس : مجالس الذكر في تهذيب الروح و تربية الضمير – المطبعة العلاوية بمستغانم 1995 .
18) عوض الله مصطفى البوحيصي : أعلام الإصلاح الديني (للشيخ عدة بن تونس المستغانمي) المطبعة العلاوية بمستغانم 1995 .
19) عصام الدين محمد علي : تاريخ الفلسفة الإسلامية – منشأة المعارف الإسكندرية 1997 .
20) عوض الله مصطفى البوحيصي : الهمة العلاوية في شرح اللامية – المطبعة العلاوية بمستغانم 1998 .
21) عبد الله حمودي : الشيخ و المريد (النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة) ترجمة : عبد الحميد حجفة – دار توبقال – المغرب 1999 .
22) عبد المنعم الحفني : معجم المصطلحات الصوفية – دار المسيرة – بيروت 1980 .
23) عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن الكريم – منشورات المكتبة المصرية – بيروت 1973 .
24) عبد القادر بن عيسى المستغانمي : مستغانم و أحوازها عبر العصور تاريخيا و ثقافيا و فنيا – المطبعة العلاوية بمستغانم 1996 .
25) عاطف وصفي : الانتروبولوجيا الاجتماعية – دار النهضة العربية – بيروت 1981 .
26) عبد الحميد الجوهري : التصوف مشكاة الحيران – إفريقيا للشرق – المغرب 1996 .
27) عبد الله رضا : حكمته – المطبعة العلاوية بمستغانم 1985 .
28) لطيفة الأخضر : الإسلام الطرقي – دراسة في موقعه من المجتمع و من القضية الوطنية – دار سراس للنشر – تونس 1993 .

29) مارسيل كاري : ذكريات الشيخ العلاوي – الطبعة الثانية – المطبعة العلاوية بمستغانم 1987 .
30) محمد علي العيني : عبد القادر الجيلاني – شيخ كبير من صلحاء الإسلام – دار الثقافة للنشر و التوزيع – الدار البيضاء 1993 .
31) محمد عبد الواحد حجازي : الثقافة العربية و مستقبل الحضارة – دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع – الإسكندرية 1999 .
32) موسى سليمان : الأدب القصصي عند العرب – دار الكتاب اللبناني – الطبعة الخامسة 1983 .
33) محمد الجوهري : علم الفولكلور – دراسة في الانتروبولوجيا الثقافية – الجزء الأول – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية 1988 .
34) محمد الجوهري : علم الفولكلور – دراسة المعتقدات الشعبية – الجزء الثاني – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية 1990 .
35) منال عبد المنعم جاد الله : الاتصال الثقافي – دراسة انتروبولوجية في مصر و المغرب – منشأة المعارف – الإسكندرية 1997 .
36) محمد أحمد محمد بيومي : علم الاجتماع الديني – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية 1999 .
37) فاروق عبد المعطي محي الدين بن عربي : حياته ، مذهبه ، زهده – دار الكتب العلمية – بيروت 1993 .
38) لويس ماسينيون – جان موربون : ترجمة من المختار – المؤسسة العربية للدراسات و النشر – 1981 .
39) رشيد محمد الهادي بن تونس : نيل المغانم من تاريخ و تقاليد مستغانم – المطبعة العلاوية بمستغانم – 1996
40) محي الدين بن عربي : التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت 2000 .
41) ضياء الدين إبراهيم نجم : الجماعات الاجتماعية – مداخل نظرية و مواقف تطبيقية – المكتبة الجامعية – الإسكندرية 2000.
42) زكي محمد إسماعيل : في الدين و المجتمع – دار المطبوعات الجديدة – الإسكندرية 1989 .
43) وقائع ندوة همبورغ – العلاقات بين الحضارتين العربية و الأوربية – (أفريل 1983) – الدار التونسية للنشر – 1985

44) فتحية محمد إبراهيم : مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان " الانتروبولوجيا " – دار المريخ للنشر – المملكة العربية السعودية – 1988

45) حجر عاصي : مقدمة العلامة ابن خلدون – دار مكتبة الهلال – بيروت 1991 .

46) أحمد بن مصطفى العلاوي : المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية – الجزء الأول – المطبعة العلاوية بمستغانم – 1989

II) المراجع باللغة الفرنسية :

1) Alxandre Popovic – Gilles Veinstein : Les voies d'Allah . Les origines mystiques dans le monde musulman des origines à aujourd'hui – Tome I – Editions Marinoor 1996 .
2) Alxandre Popovic – Gilles Veinstein : Les voies d'Allah . Les origines mystiques dans le monde musulman des origines à aujourd'hui – Tome 2 – Editions Marinoor 1996 .
3) Abdelkarim Jossot : Le sentier d'Allah – Imprimerie Alaouia de Mostaganem 2ème édition 1990 .
4) Anne Marie Schimmel : Le soufisme ou les dimensions mystiques de l'Islam – Editions du CERF. Paris 1996 .
5) Benmeziane Thaâlbi : L'identité au Maghreb – Casbah – Editions – Alger 2000 .
6) Claude Rivière : Socio-authropologie des religions Armand Colin/Masson Paris 1997 .
7) Charles Henri Favrod : Encyclopédie du Monde Actuel (l'Anthropologie) – Brochard et Taupin – Paris 1977 .
8) Djamchid Mortazavi : Soufisme et psychologie – Editions du Rocher – Paris 1989 .
9) G.C. Anawati et Louis Garder : Mystique Musulmane – Libraire philosophique – J. Vrin – Paris 1961 .
10) Hussein Amine : Le livre du Musulman désemparé – Editions la Découverte – Paris 1992 .
11) Johan Cartigny : Cheikh El Alawi – Documents et témoignages – Editions les amis de l'Islam – Paris 1984 .
12) Khaled Bentounes : Le soufisme , cœurs de l'Islam – Editions « El Alamein » Sétif 1997 .
13) Khaled Bentounes : Conférence : Le soufisme ou la voie du juste milieu – CRASC 06/10/1999 .
14) Le dogme de l'Islam – Imprimerie Alaouia de Mostaganem 1985 .
15) Leon Longlet : Le chœur des Prophètes (Ainsi a parlé le Cheikh Sidi Adda Bentounes) Editions Albin Michel Paris 1999.
16) Leïla Babes : L'Islam Intérieur – Editions El Bouraq – Beyrouth 2000 .

17) Martin Lings : Qu'est-ce que le soufisme ? Editions le Seuil – Paris 1977 .
18) Martin Lings : Un saint soufi du Xxème Siècle – Le Cheikh Ahmed El Alawi - Editions du Seuil – 1990
19) Michel Meslin : L'Expérience Humaine du divin – Les Editions du CERF. – Paris 1988 .
20) Noureddine Toualbi : Religion , Rites et mutation – ENAL – Alger 1984 .
21) Paul Balta : Islam , civilisation et sociétés – Editions du Rocher – Paris 1991 .
22) Pièrre Erny : Clés pour une authropologie ouverte . L'Absolu en l'homme – Editions L'Harmattan – Paris 1998 .
23) P.J. André : Confrérie religieuses musulmanes – Editions la maison du livre – Alger 1956 .
24) Roger Arnaldez : Réflexions chrétiennes sur la mystique musulmane – O.E.I.L – Paris 1989 .
25) IV rencontre Islamo-chrétienne – la Spiritualité : Une exigence de notre temps – Tunis : 21-26 Avril 1986 – CEDES Tunis 1988 .
26) S. Fershion : L'Islam Pluriel au Maghreb – CNRS – Paris 1996 .
27) Shaker Laïbi : Soufisme et art visuel – L'Harmattan – Paris 1998 .
28) Toufik Adohane : Le livre de l'âme – Institut Synthélabo pour le progrès de la reconnaissance – Paris 1998 .
29) Rochdy Alili : Qu'est-ce que l'Islam ? – Editions La Découverte – Paris 1996 .

الجرائد و المجلات و الملتقيات و المذكرات :

1) "الثقافة" – مجلة صادرة عن وزارة الثقافة و السياحة – الجزائر العدد 26 (أفريل 1975) .
2) "الثقافة" – مجلة صادرة عن وزارة الثقافة و السياحة – الجزائر العدد 95 (ديسمبر 1986) .
3) "المجلة" – مجلة صادرة عن دار أخبار اليوم للتوزيع القاهرة – العدد 71 (ديسمبر 1962) .
4) "إنسانيات" – مجلة صادرة عن مركز CRASC بوهران – العدد 11 (ماي – أوت 2002) .
5) "أرض أوربا" Terre d'Europe – مجلة تابعة للزاوية العلاوية بباريس – العدد 4 (جانفي 2002) .
6) "الحياة الثقافية" – مجلة صادرة عن وزارة الشؤون الثقافية – تونس 1986 .
7) المحاضرات التي ألقيت أثناء "الأيام الدراسية للتراث الروحي – نظمت من طرف جامعة مستغانم (كلية الآداب) 21-23 ماي 2001 .
8) المحاضرات التي ألقيت أثناء الملتقى المنظم من طرف جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية – بمستغانم أيام 16-17-18 أكتوبر 2001 .
9) مذكرة ماجستير "الطرق الصوفية في الجزائر، أصولها و تطورها" حتى سنة 1939 للطالب عبد الحكيم مرتاض (جامعة تلمسان) 1999/1998 .
10) مذكرة ماجستير للطالب الغالي بن لباد حول زاوية سيدي بن عمر (جامعة تلمسان) 2001/2000 .
11) مذكرة ماجستير "المقامات و إشكالات تملك الفضاء و الخطاب" دراسة أناسية لمنطقة بحارة (بومرداس) للطالبة مريم بوزيد (جامعة الجزائر) 1993 .
12) الملتقى الخامس للتربية الروحية – تحت عنوان "التصوف و النفس البشرية" من تنظيم جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية – بمستغانم بتاريخ 16-17-18 جويلية 2002 .
13) ملتقى حول "المرأة و الثقافة الروحية و الأخلاقية" من تنظيم جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية – بمستغانم بتاريخ 26-27 أوت 2002 .

14) ملتقى حول الذكرى الخمسين لوفاة الشيخ عدة بن تونس "الحكيم المصلح و المربي الروحي " من تنظيم جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية – بمستغانم يومي 30-31 أكتوبر 2002 .
15) مقالات مختلفة تحصلت عليها عن طريق الانترنيت Internet خاصة بالتصوف عامة و بالزاوية العلاوية خاصة .

المقابلات التي أجريتها :

1) مع السيد العربي مسؤول المكتبة العلاوية بمستغانم بتاريخ 16 ماي 2001.
2) مع السيد خليفة رئيس مصلحة الثقافة ببلدية مستغانم و هو من أتباع الطريقة العلاوية – بتاريخ 20 أوت 2001 .
3) مع السيد بلقاسم بن عربية باحث بمتحف زبانة – وهران بتاريخ 23 جانفي 2002
4) مع الأستاذ البوحيصي (إمام مسجد الشيخ العلاوي) بمستغانم بتاريخ 09 ماي 2002 .
5) مع السيد مولاي فقير تابع للزاوية العلاوية بمستغانم بتاريخ 15 ماي 2002 .
6) مع الشيخ خالد شيخ الطريقة ، بمستغانم بتاريخ 09 جوان 2002 (بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف) .
7) مع الأستاذ يحي برقة باحث بمركز CRASC ، فقير تابع للزاوية العلاوية بوهران بتاريخ 11 مارس 2002 .

الملاحق

الملاحق

الرقم	الصفحة	محتوى الوثائق (الأشكال)
.1	172	سند الطريقة الشاذلية – الدرقاوية العلاوية
.2	173	سلسلة الطريقة العلاوية
.3	174	صورة للشيخ العلاوي مؤسس الطريقة + رمز جمعية الشيخ العلاوي
.4	175	صورة للشيخ العلاوي
.5	176	صورتان : للشيخ العلاوي و خليفته الشيخ عدة بن تونس
.6	177	صورتان : للشيخ الحاج المهدي بن تونس و الشيخ خالد بن تونس
.7	178	الزاوية العلاوية (سنوات : 1947 ، 1948)
.8	179	الزاوية العلاوية (سنوات : 1950 ، 1967)
.9	180	صور للزاوية العلاوية
10	181	المركز الروحي التابع للزاوية العلاوية بمستغانم
11	182	صورة تذكارية لمجموعة من الفقراء ، مع الشيخ عدة بن تونس سنة 1919
12	183	صورة تذكارية لمجموعة من الفقراء ، للطريقة العلاوية بباريس سنة 1924
13	184	صورة تذكارية لأبناء و عائلات الفقراء العلاويين يوم عيد الأضحى المبارك بإنجلترا سنة 1954
14	185	صورة تذكارية للشيخ محمد المهدي بن تونس تمثل الزيارة الأولى لأوربا سنة 1954
15	186	نسخة من الوصية (أو العقد) بموجبها أصبح الشيخ عدة وريثا شرعيا للشيخ العلاوي
16	187	نسخة من الوصية (أو العقد) بموجبها أصبح الشيخ عدة وريثا شرعيا للشيخ العلاوي
17	188	صورة لجماعة من الفقراء في نزهة – و فريق رياضي أنشأه الشيخ عدة
18	189	صورة تمثل سياحة الشيخ عدة إلى البادية
19	190	صورة لبطاقة الانخراط في جمعية أحباب الإسلام
20	191	نسخة من جريدة " لسان الدين "
21	192	عناوين لبعض مؤلفات الشيخ خالد
22	193	عناوين لبعض مؤلفات الشيخ عدة
23	194	صور تمثل الاحتفالات بالزاوية العلاوية
24	195	صور تمثل جانبا من الجمهور الذي حضر الملتقى (16-17-2002/10/18) + صورة لحفل ديني بالزاوية العلاوية
25	196	صور خاصة بالأساتذة و الباحثين المشاركين في الملتقى رفقة الشيخ خالد (الشيخ الحالي للطريقة العلاوية)

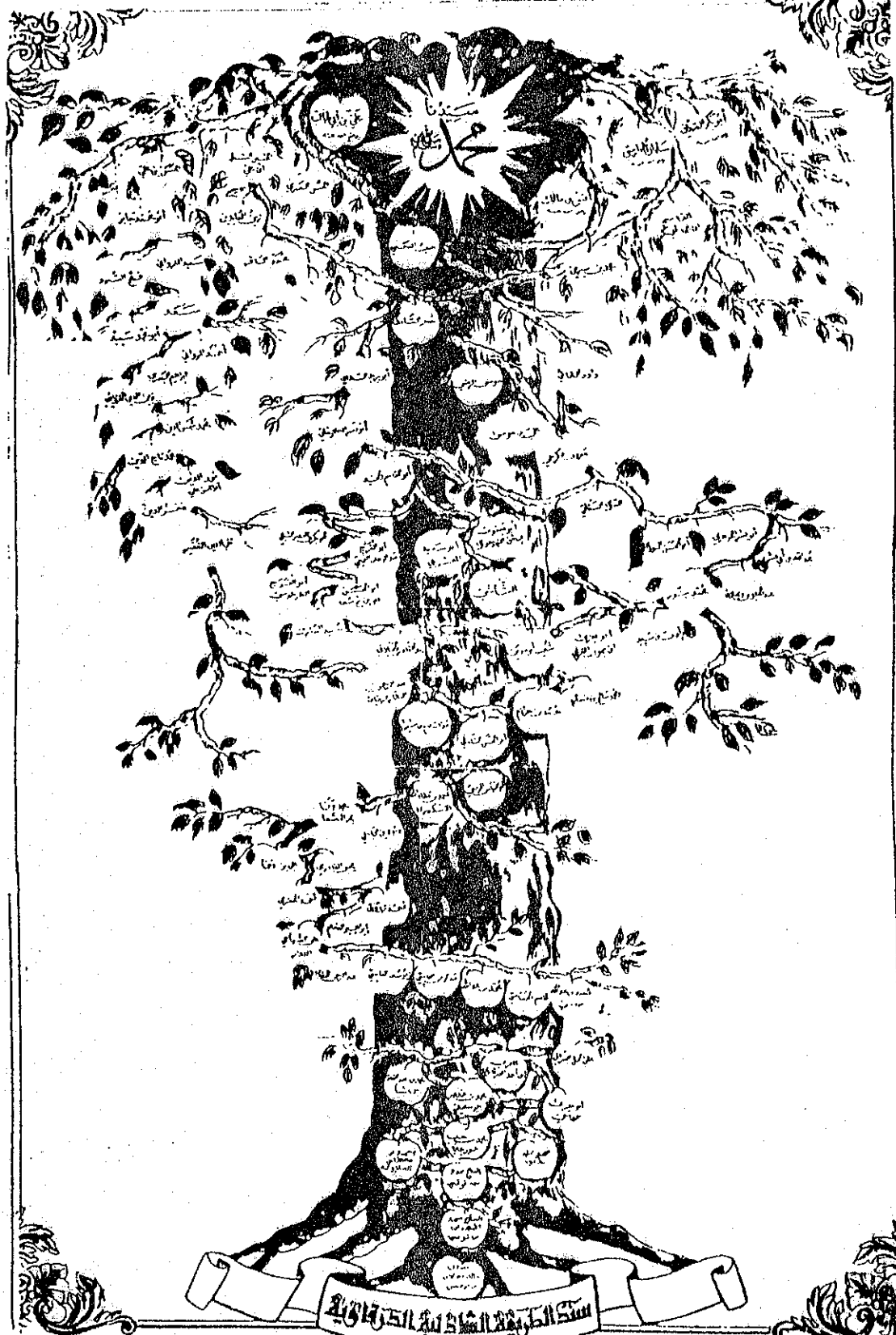

سند الطريقة الشاذلية الدرقاوية العلاوية

شكل 1

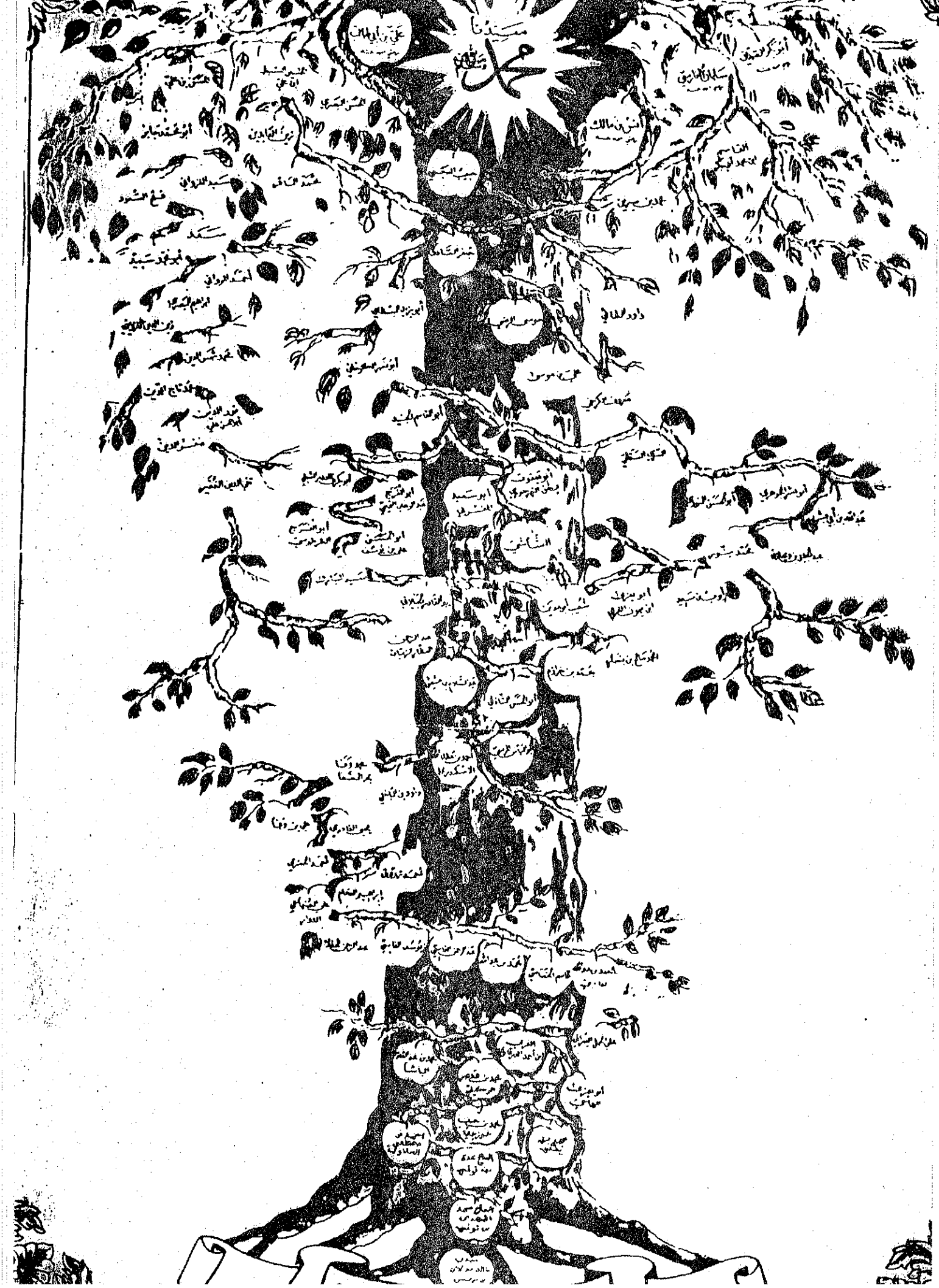

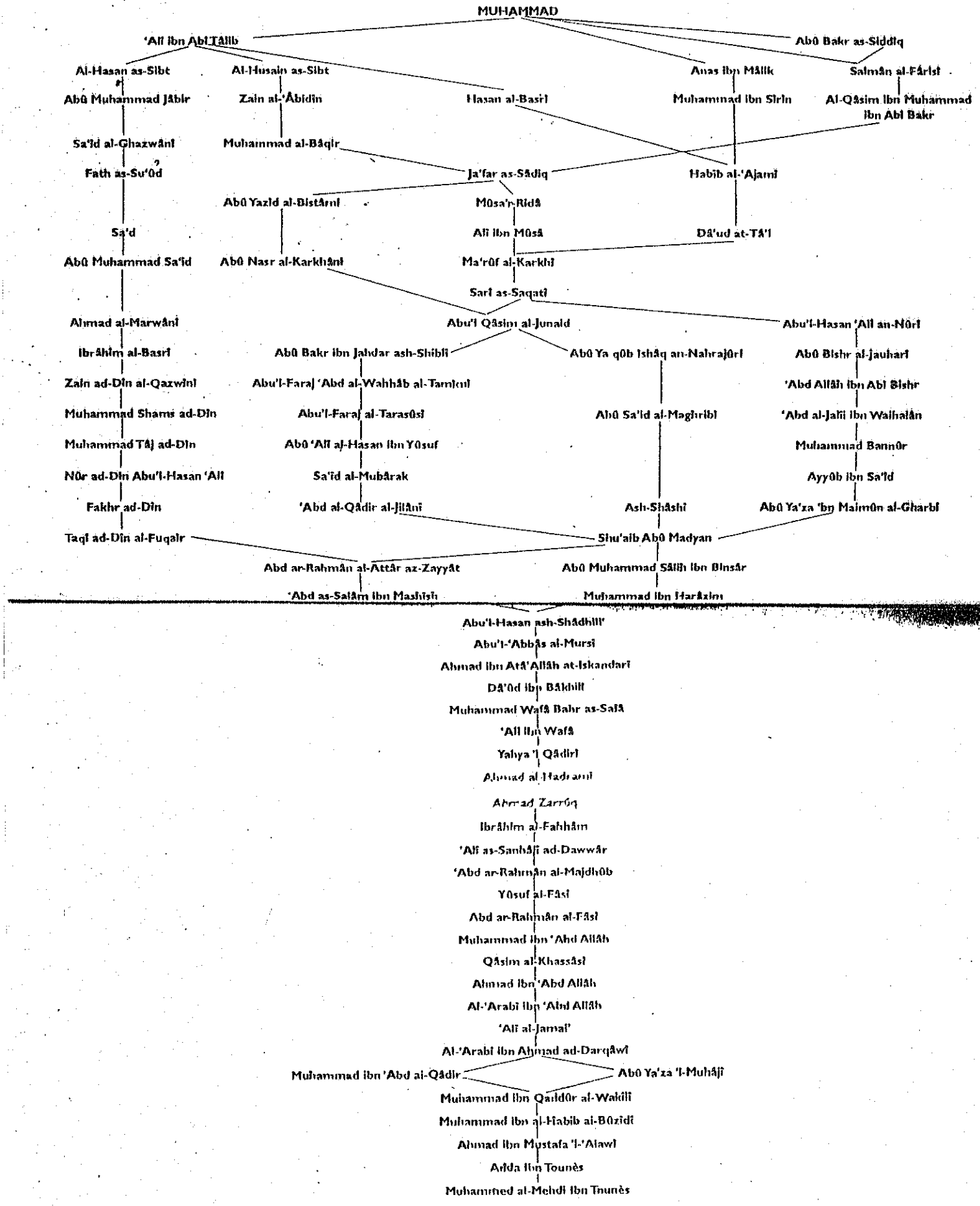
MUHAMMAD
'Alî ibn Abî Tâlib
Abû Bakr as-Siddîq
Al-Hasan as-Sibt
Al-Husain as-Sibt
Anas ibn Mâlik
Salmân al-Fârisî
Abû Muhammad Jâbir
Zain al-'Âbidîn
Hasan al-Basrî
Muhammad ibn Sîrîn
Al-Qâsim ibn Muhammad ibn Abî Bakr
Sa'îd al-Ghazwânî
Muhammad al-Bâqir
Fath as-Su'ûd
Ja'far as-Sâdiq
Habîb al-'Ajamî
Abû Yazîd al-Bistâmî
Mûsa'r-Ridâ
Sa'd
Alî ibn Mûsâ
Dâ'ud at-Tâ'î
Abû Muhammad Sa'îd
Abû Nasr al-Karkhânî
Ma'rûf al-Karkhî
Sarî as-Saqatî
Ahmad al-Marwânî
Abu'l Qâsim al-Junaid
Abu'l-Hasan 'Alî an-Nûrî
Ibrâhîm al-Basrî
Abû Bakr ibn Jahdar ash-Shiblî
Abû Ya qûb Ishâq an-Nahrajûrî
Abû Bishr al-Jauharî
Zain ad-Dîn al-Qazwînî
Abu'l-Faraj 'Abd al-Wahhâb al-Tamîmî
'Abd Allâh ibn Abî Bishr
Muhammad Shams ad-Dîn
Abu'l-Faraj al-Tarasûsî
Abû Sa'îd al-Maghribî
'Abd al-Jalîl ibn Waihalân
Muhammad Tâj ad-Dîn
Abû 'Alî aj-Hasan ibn Yûsuf
Muhammad Bannûr
Nûr ad-Dîn Abu'l-Hasan 'Alî
Sa'îd al-Mubârak
Ayyûb ibn Sa'îd
Fakhr ad-Dîn
'Abd al-Qâdir al-Jîlânî
Ash-Shâshî
Abû Ya'za 'bn Maimûn al-Gharbî
Taqî ad-Dîn al-Fuqair
Shu'aib Abû Madyan
Abd ar-Rahmân at-Attâr az-Zayyât
Abû Muhammad Sâlih ibn Binsâr
'Abd as-Salâm ibn Mashîsh
Muhammad ibn Harâzim
Abu'l-Hasan ash-Shâdhilî'
Abu'l-'Abbâs al-Mursî
Ahmad ibn Atâ'Allâh at-Iskandarî
Dâ'ûd ibn Bâkhilî
Muhammad Wafâ Bahr as-Safâ
'Alî ibn Wafâ
Yahya 'l Qâdirî
Ahmad al-Hadramî
Ahmad Zarrûq
Ibrâhîm al-Fahhâm
'Alî as-Sanhâjî ad-Dawwâr
'Abd ar-Rahmân al-Majdhûb
Yûsuf al-Fâsî
Abd ar-Rahmân al-Fâsî
Muhammad ibn 'Abd Allâh
Qâsim al-Khassâsî
Ahmad ibn 'Abd Allâh
Al-'Arabî ibn 'Abd Allâh
'Alî al-Jamal'
Al-'Arabî ibn Ahmad ad-Darqâwî
Muhammad ibn 'Abd al-Qâdir
Abû Ya'za 'l-Muhâjî
Muhammad ibn Qaiddûr al-Wakîlî
Muhammad ibn al-Habîb al-Bûzîdî
Ahmad ibn Mustafa 'l-'Alawî
Arîda ibn Tounès
Muhammed al-Mehdî ibn Tnunès

الأستاذ الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي

رمز جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية

شكل 3

© ZAOUIA DE MOSTAGANEM

Cheikh Ahmed al-Alawi, arrière-grand-père du cheikh Khaled.

4 نشكال

الأستاذ الشيخ حمدة بن محمد بن الحسن العباسي
(١٩٥٢ - ١٨٩٨م)

الوزير الأول والرئيس الأسبق لحزب الدستور الحر
أحمد بن مصطفى العلوي العباسي
(١٩٣٤ - ١٨٦٩م)

شكل 5

Le cheikh Khaled Bentounès en 1988.

(- 1949)

الشيخ الحاج المهدي بن تونس

رحمه الله

(1975 - 1928م)

شكل 6

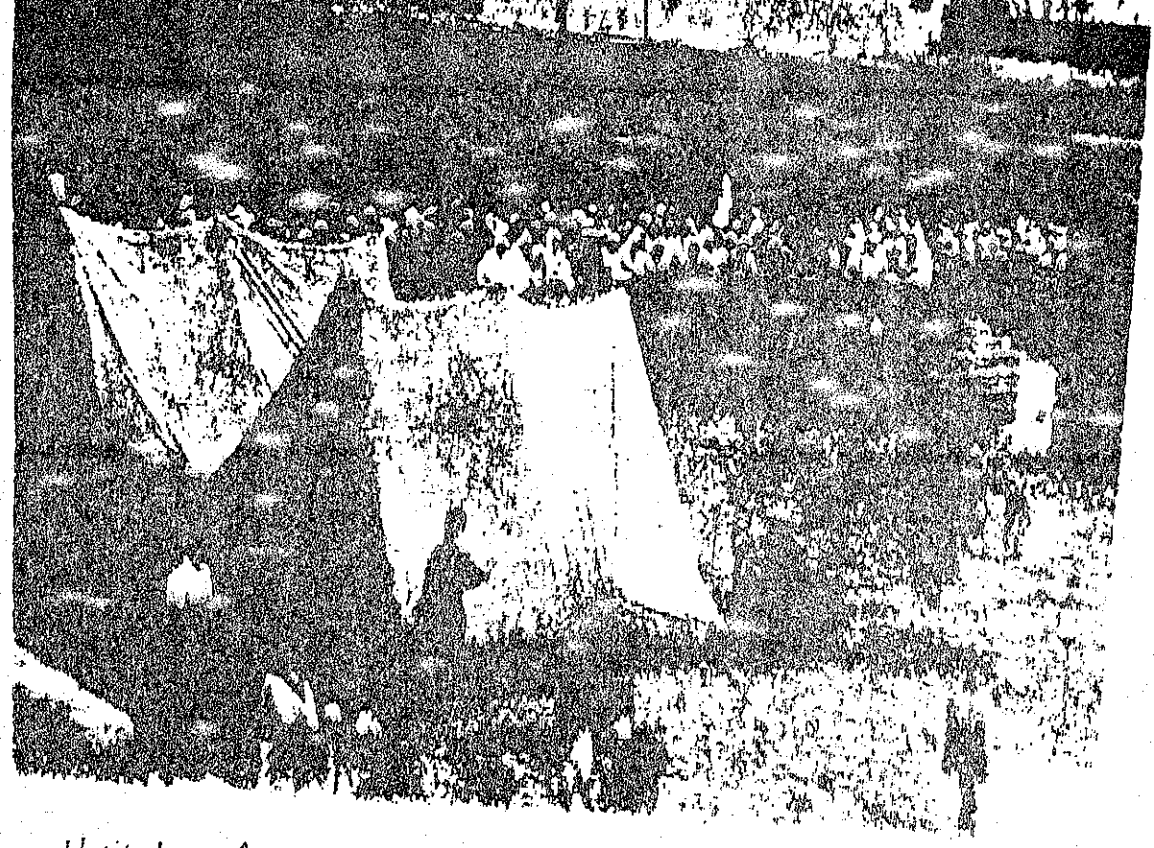

Habitat en 1947 [illegible]

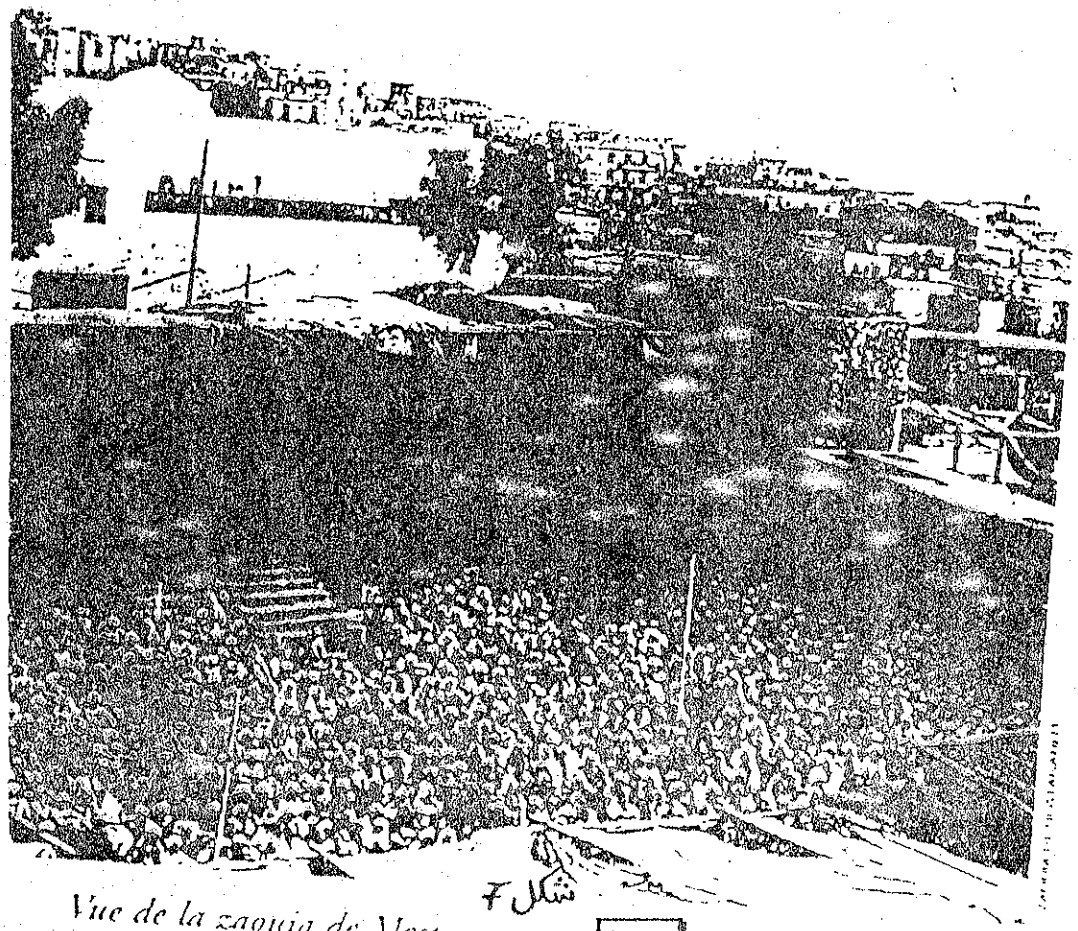

Vue de la zaouia de Mostaganem (Abdel, en 1948.

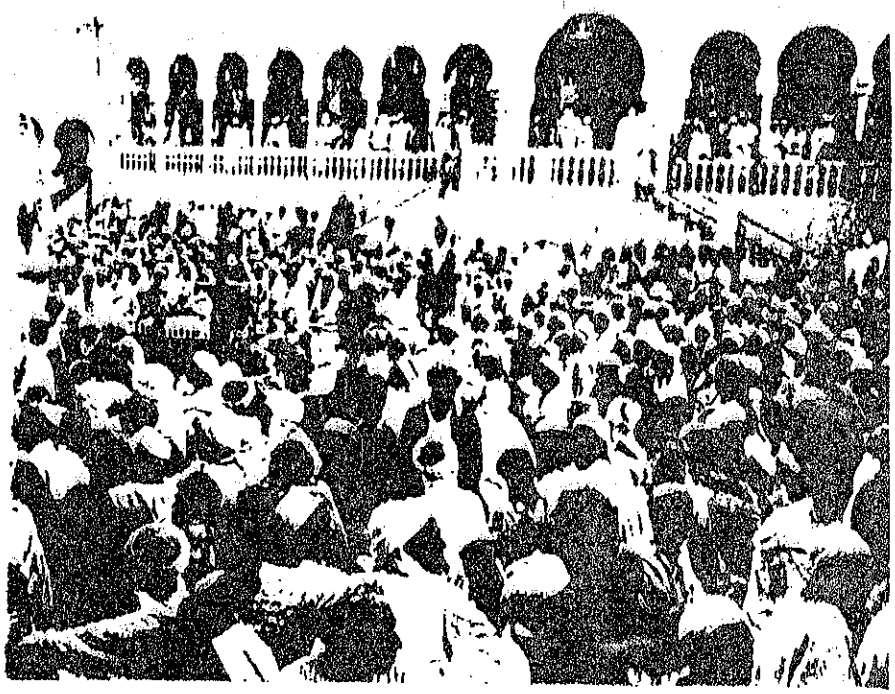

Ihtifal de 1950, zawiya de Mostaganem.

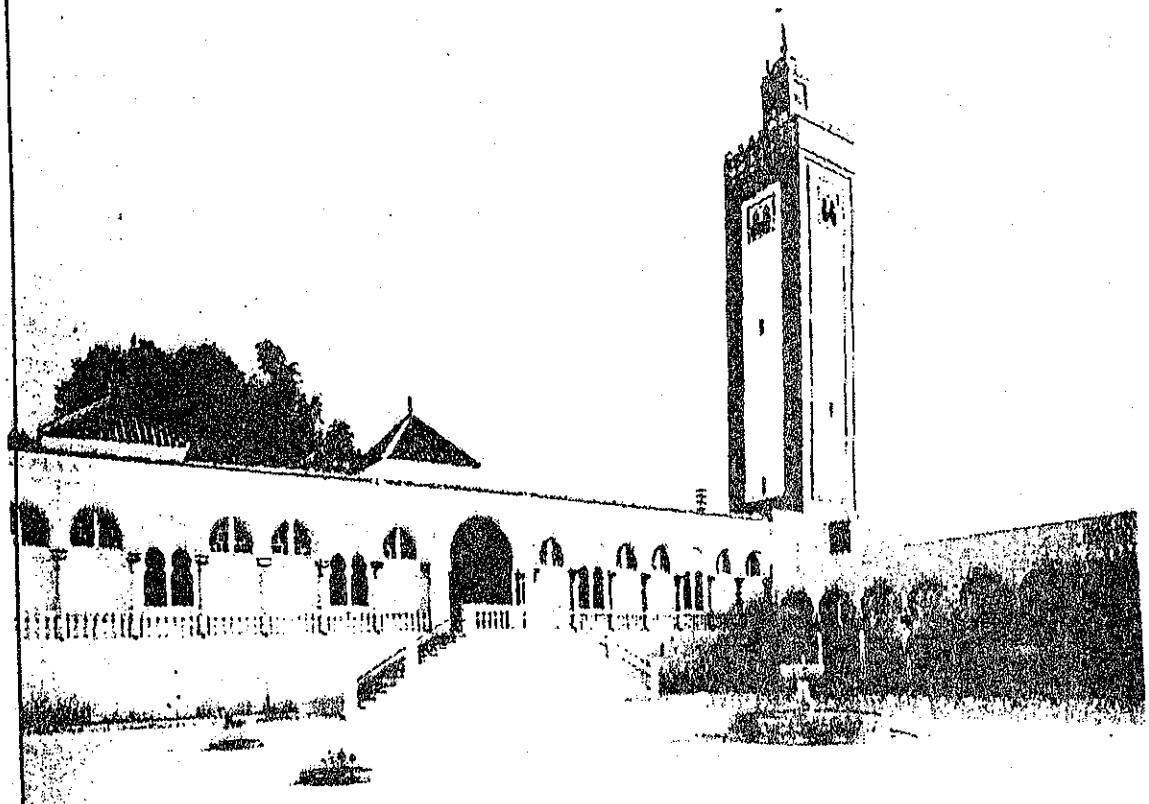

Vue de la zaouia de Mostaganem, en 1967.

شكل 8

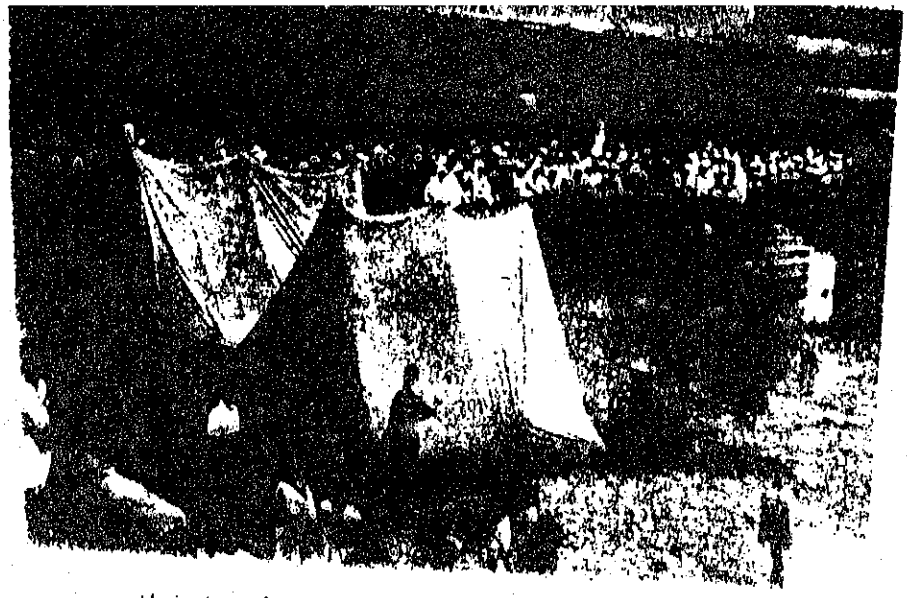

Ibidat en 1947 zaouia de Mostaganem

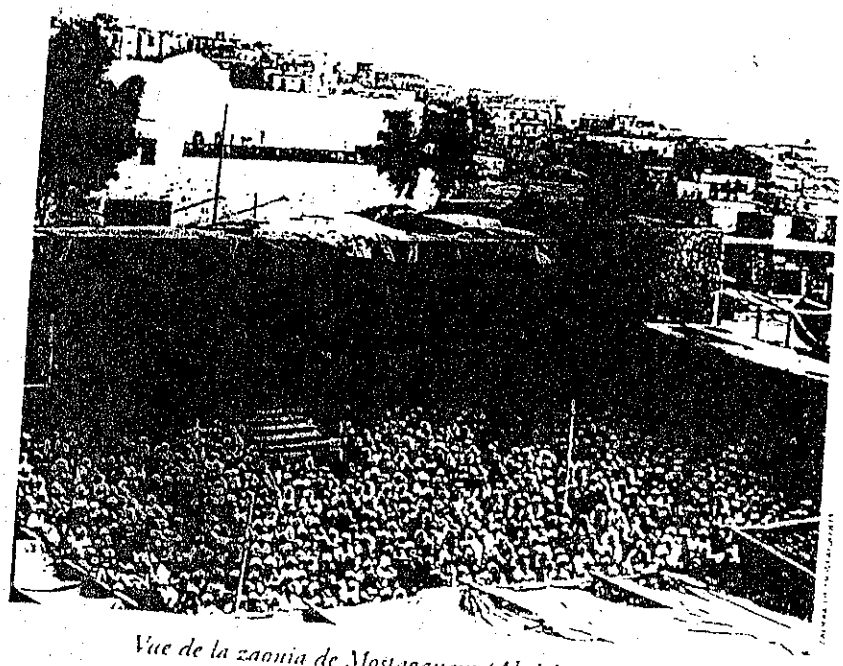

Vue de la zaouia de Mostaganem (Algérie), en 1948.

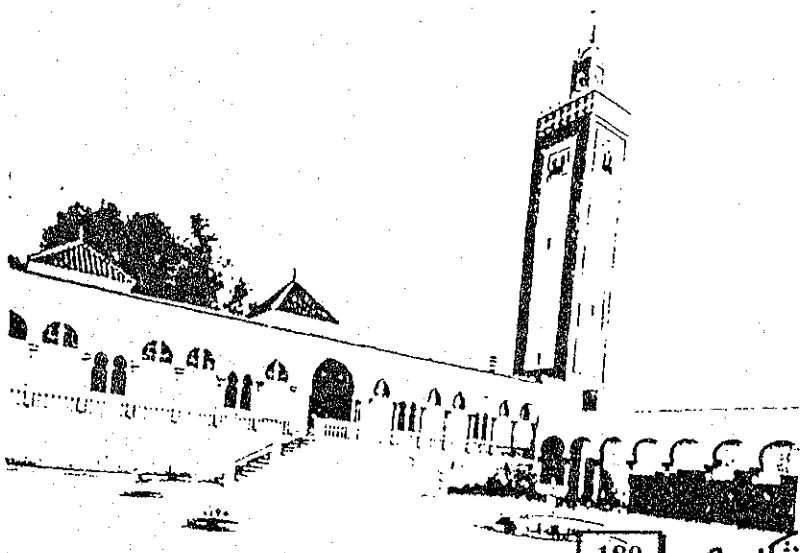

Vue de la zaouia de Mostaganem

شكل 9

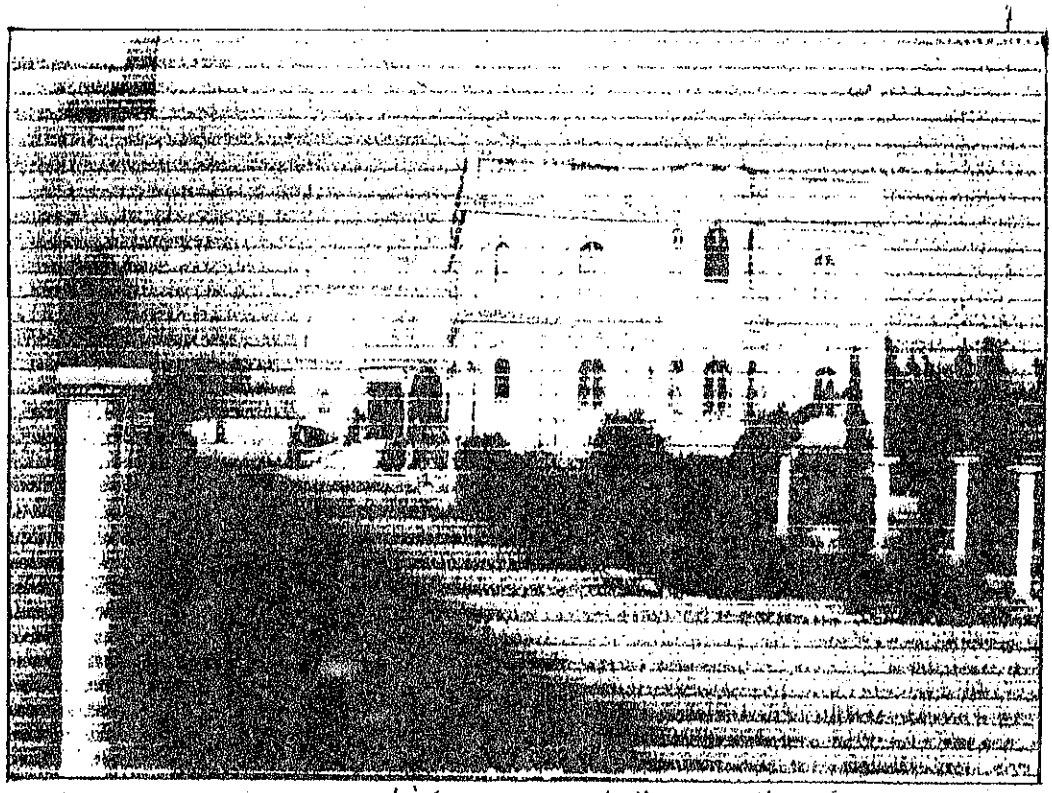

المركز الروحي العلاوي بمستغانم .

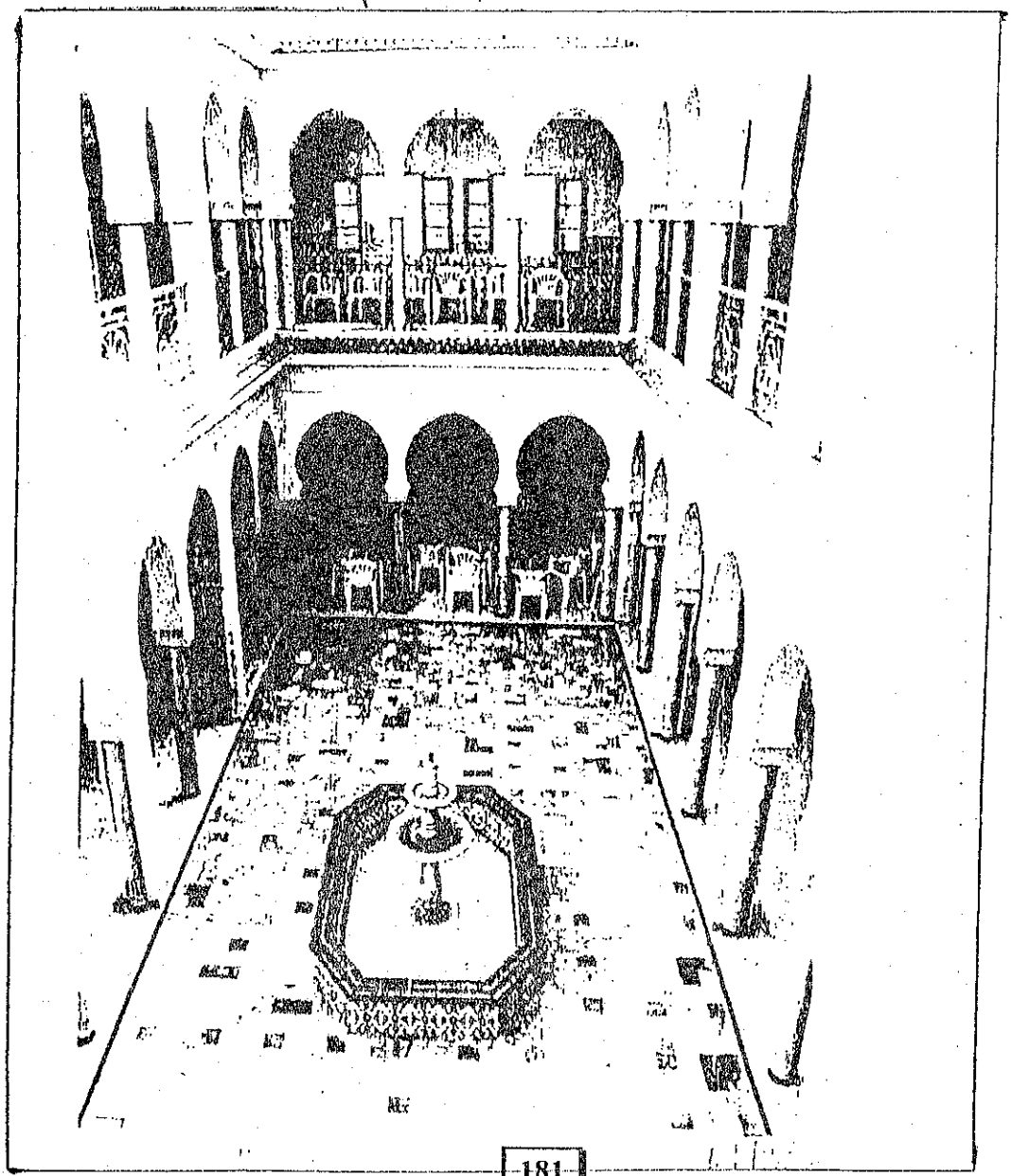

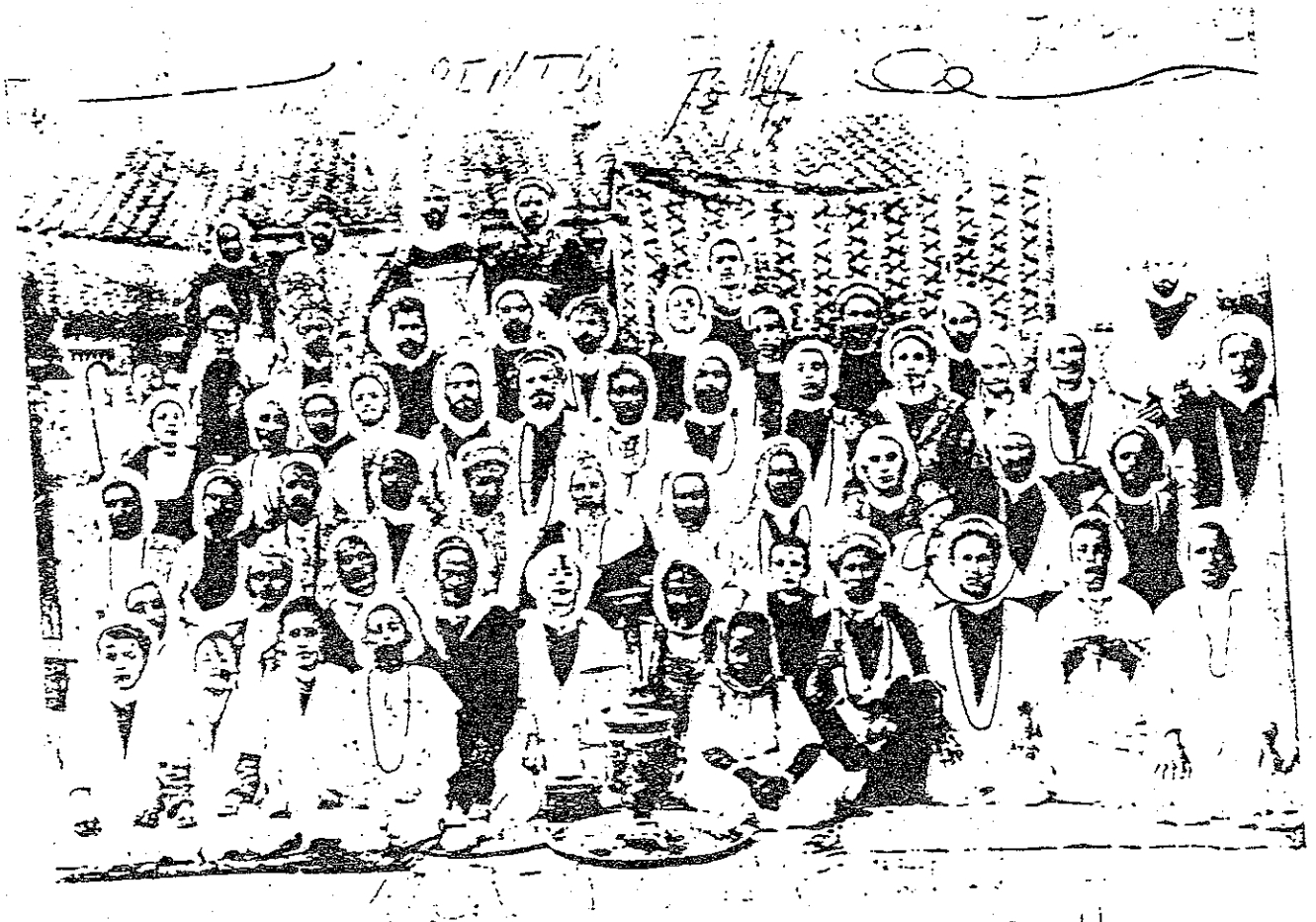

أول صورة تذكارية لجماعة من فقراء الطريقة العلوية بمستغانم تمثل الشيخ السيد الحاج
عدة بن تونس في ريعان شبابه وهو الجالس في الصف الأول الثالث عن اليمين. سنة 1919.

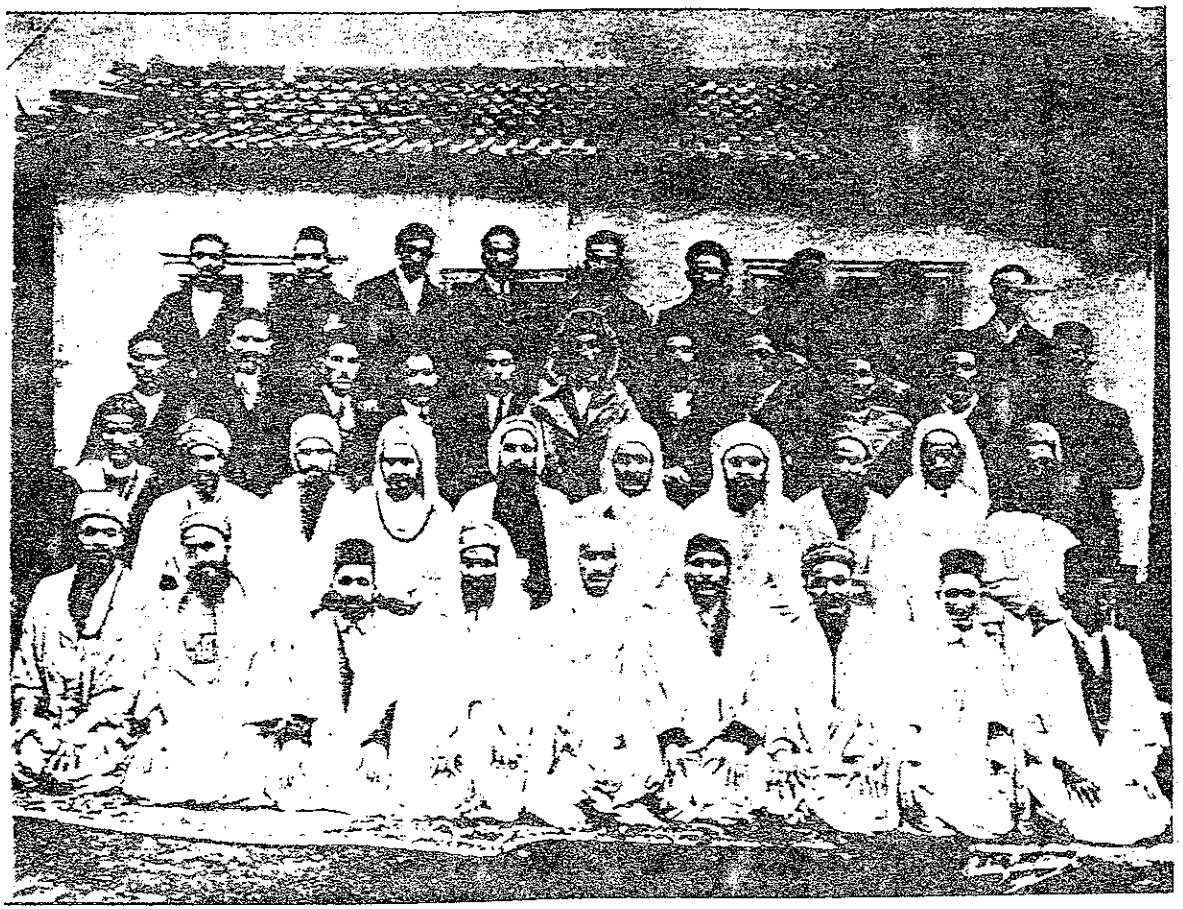

أول صورة تذكارية لفقراء الطريقة العلوية بباريس في زاوية بورت بز ساي. سنة 1924.

شكل 12

صورة تذكارية لأبناء وعائلات الفقراء العلويين يوم عيد الأضحى المبارك بانجلترا عند
سياحة الشيخ السيد الحاج محمد المهدي بن تونس إليها سنة 1954.

صورة تذكارية للشيخ السيد الطاهر محمد المكي بن تونس، تمثل الزيارة الأولى له لأوربا سنة 1954، عن يمينه السيد حسن اسماعيل ممثل الطريقة العلوية ببريطانيا.

شكل 14

D

PC Nº 151777

T R A D U C T I O N

En tête du texte arabe se trouve apposée l'empreinte du sceau de la Mahakma de Mostaganem département d'Oran.

Hobous nº 763

du 21 septembre 1931

Ceci est une septième expédition d'un acte de hobous tiré de laminute le six novembre mil neuf cent quarante neuf à la requête du sieur Tounsi Adda ci-après désigné.

La teneur de la minute de cet acte est ainsi conçue.

HOBOUS PAR BENALIOUA AHMED

Numéro sept cent soixante trois du registre des minutes.

L'an mil neuf cent trente et un et le vingt et un septembre.

Au sein du prétoire judiciaire de la Mahakma de Mostaganem département d'Oran et par devant le Cheikh Cadi Sid Farssi Abdelbaki , chevalier de la Légoin d'honneur, Assisté de ses deux témoins instrumentaires : Sid Zaghbib Lamri ben Ahmed, Bachadel et Sid Bais Mohamed ben Ahmed.

A comparu.

Sid Benalioua Ahmed ould Mostefa, Cheikh de la Zouia Alaouia, située à Mostaganem , Tidjdit

Lequel comparant , étant sain de corps et d'esprit, a reconnu avoir constitué hobous.

Tout ce qu'il possède en fait de biens immobiliers , mobiliers et non mobiliers.

D'abord au profitde lui-même durant sa vie.

Puis la dévolution s'en fera d'après les in-

Cº/

dications suivantes exprimées en dix articles dont chacun devra être fidèlement observé . telle étant la volonté formelle du fondateur, qui, en cela a agi selon la doctrine du Grand Imam Abou Hanifa Ennoamam - Daigne Dieu très Haut être satisfait de lui et de tous les Imams bien dirigés.

D

ARTICLE PREMIER

La Zouia, sise en la ville de Mostaganem , faubourg de Tidjitt, soit la mosquée et les pièces qui en dépendent, est constitué hobous au profit des gens qui y viennent prier en général et des membres de la Confrérie en particulier ; ils s'y réuniront pour dire les oraisons, réciter le Coran et enseigner la religion.

ARTICLE DEUXIEME

Tout ce qui appartient au dit comparant en fait de maisons contigües à la mosquée, celles qui sont endehors de cette mosquée ainsi que les immeubles qu'il possède : tel le verger situé à la vallée des Jardins, Banlieue de Mostaganem, la maison sise au bord de la mer, les terrains qui en dépendent les jardins se trouvant en contre-haut de la maison la maison sise à Alger, Faubourg de Saint-Eugène, enfin les terres situées auxdouars -Communes Zegaier, Guetara, Mina , Tahamda, Commune mixte de La Mina sont hobousées au profit de la Zaouia (mère) de Mostaganem et pour l'entretien des gens qui y résident, selon les dispositions de l'article ci-après.

ARTICLE TROISIEME

Les dépenses qu'il y aura lieu tout d'abord de faire sur les revenus du hobous serviront à l'entretien de l'administrateur et sa famille, l'épouse du constituant, les reclus de la Zouia qui y résident et s'y trouvent du vivant du fondateur ; enfin le reliquat sera affecté à l'entretien des personnes se consacrant au Saint de la Zaouia, à dire des oraisons (Dikrs) et à l'enseignement religieux dont l'institution est formellement exigée par le fondateur.

ARTICLE QUATRIEME

Les biens de toute nature présentement constitués hobous seront gérés par l'honorable Sid Bentounès Adda ould Benouda, demeurant à Mostaganem, institué au rang de fils du fondateur. cet administrateur exercera sa gérance selon les prescriptions édictées sans que nul puisse s'y opposer, à moins qu'il ne contrevienne excéssivement à la volonté du fondateur quand à la destination du hobous.

Il administrera ainsi tous les biens sus-indiqués, sa vie durant ; à sa mort, la gérance sera confiée au plus vertueux de ses fils et s'il n'aura pas de postérité habile à cette fonction, l'administrateur sera choisi parmi les adeptes de la Confrérie dont la conduite sera bonne et dont l'esprit de sagesse sera certain.

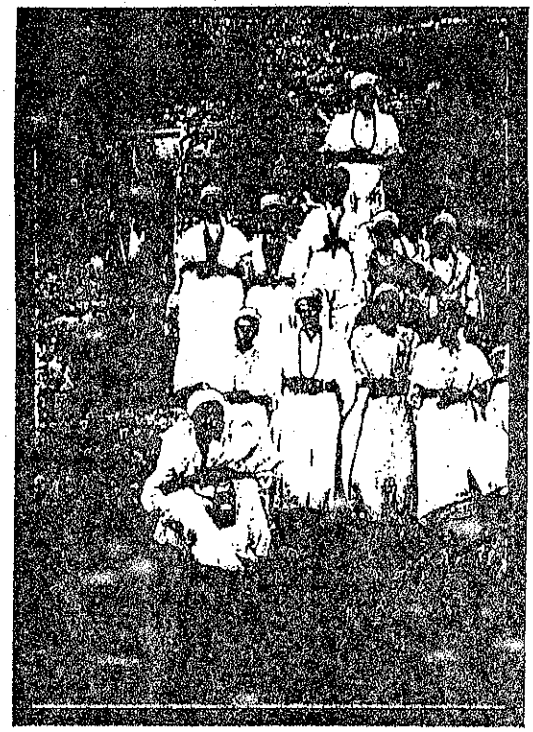

صورة لجماعة الشبان العلاويين
أثناء النزهة على شاطئ البحر

صورة لفريق الرياضة الذي أنشأه الشيخ

مجموعة صور من سياحة الشيخ سيدي عدة الى البادية

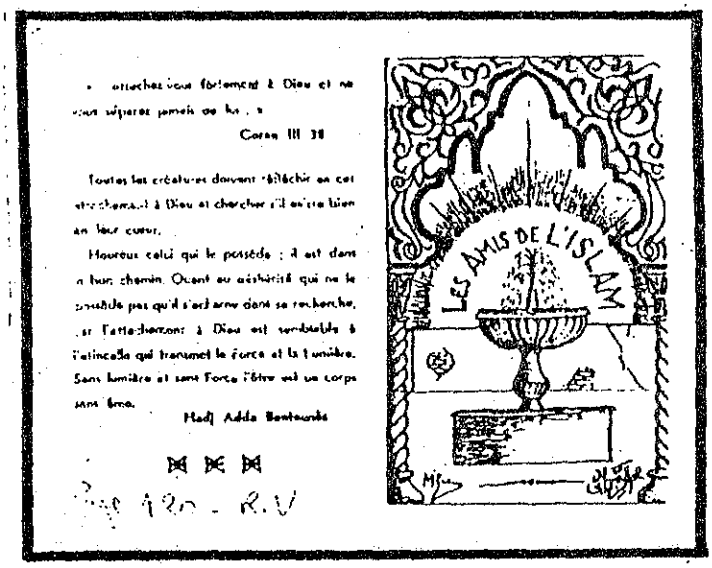

« ...attachez-vous fortement à Dieu et ne vous séparez jamais de lui. »

Coran III 98

Toutes les créatures doivent réfléchir au cet attachement à Dieu et chercher s'il existe bien en leur cœur.

Heureux celui qui le possède : il est dans le bon chemin. Quant au désespoir qui ne le possède pas qu'il s'acharne dans sa recherche, car l'attachement à Dieu est semblable à l'étincelle qui transmet la force et la lumière. Sans lumière et sans Force l'être est un corps sans âme.

Hadj Adda Bentounès

LES AMIS DE L'ISLAM

1954

ASSOCIATION SPIRITUELLE D'ETUDE ISLAMIQUE

Case Postale 32 - Mostaganem. (Oran)

SECTION DE Djâsra N° 000561

CARTE D'ADHERENT

Nom : Amara

Prénoms : Kaddour Ben Saïd

Date de naissance : le 21 Juin 1931 à Bâja

Profession : Cultivateur

Fonctions : Membre Ami de l'Islam

Adresse :

Date d'adhésion : le 2 [illegible] 1954

L'Adhérent,

Le Président,

Le Secrétaire,

Le Trésorier,

« Les Amis de l'Islam » est une association uniquement spirituelle [illegible] toutes discussions et ingérences politiques et réalisant sans distinction de race selon les principes islamiques, la fraternité et l'unité en Dieu de tous les hommes de bonne volonté.

صورة بطاقة جمعية أحباب الإسلام

19 شكل

السنة الاولى

كتاب الله وسنة رسوله

لسان الدين

جريدة دينية سياسية علمية اجتماعية

سنة ١٣٤١

لسان حالها من نتائج اقلام الكتاب

يحكى الامة بما يرتئي مشروعها بعد توضيح حاجاتهم للحكومة حتى الطرائف فيما جلعها من المقالات ، لا ترد فضلها نشرت ! أ. فنشر وتكون باسم المدير واضحة الجانب مكتبنا

المدير وصاحب الامتياز محمد محي الدين

7 RUE MONTPENSIER (ALGER

ثمن النسخة ٥٠ سانيما

نشرة دينية اسلامية نصف شهرية

قيمة الاشتراك

الجزائر للقرب تونس عن ستة

في الخارج عن سنة

الاعلانات

لا يقبل منها ما هو من قبيل الكبر

وقيمة السطر يتفق عليها مع الادارة

غيرها جاملة من فضلاء الجزائر

الجزائر يوم الجمعة ٣٠ ذي القعدة سنة

الامة الجزائريه وحالتها الاجتماعية

في القرن العشرين قرن العدالة والرقي والتهذيب

الامة الجزائرية امة عريقة كان لها في سالف الازمان فرا موطد السلطة والعظمة

لا تكاد تخلو مدينة كلية نافذة في الاوساط الاسلامية وجاء لدى امم الارض

كل مسلم غيور يود الخير لدينه ويعمل لامتداد سلطانه في سائر الممالك واعلاء شانه

فما هو لسان حالها يناجي المنصفين ذوي الانفة والعطف من رجال حكومتها وجاشدهم الممالة يعيرغير العلم ان يشفقوا من حالها

يتأخروا عنها لدى المراجع العليا لتبلغ امنيتها

تهنئة وتحريض

بقلم الاديب الفاضل صاحب الامضاء قال ما نصه :

هذه تهنئة اقدمها للدين والادب تخص (لسان الدين) الغراء راجيا من مدير

نشكل 20

191

Livres du Cheikh Khaled Bentounès

Le soufisme coeur de l'islam

En présentant avec simplicité, mais aussi avec toute sa profondeur, une partie de l'expérience de l'enseignement qu'il transmet d'habitude aux affiliés de sa confrérie, le Cheikh Khaled rend un grand service à l'Islam et à la vérité car il donne à connaître une mystique d'une richesse spirituelle exceptionnelle que beaucoup de nos contemporains ne soupçonnent pas, imprégnés que nous sommes des images de violence qui traversent malheureusement en ce temps le monde musulman. Voici un livre sur l'Islam profond, celui des soufis, fondé sur la filiation de maître à disciples, écrit par l'héritier d'une lignée de cheikhs qui remonte au Prophète Mohammed.

L'Homme intérieur à la lumière du Coran

A la lumière de son expérience de la riche tradition soufie, cheikh Khaled Bentounès, maître spirituel de la confrérie Alawiya, nous propose ici une relecture de certains versets du Coran. Décryptant le sens profond du livre fondateur de l'Islam, mais aussi la dimension universelle de son message, cette nouvelle interprétation nous présente un Coran aux antipodes de tout fanatisme et tout sectarisme. Si nous voulons sauvegarder l'humanité qui définit notre nature, explique cheikh Khaled Bentounès, nous devons, sans répit, travailler à élever notre conscience et notre et notre esprit de dialogue, condition *sine qua non* pour que l'homme ne soit pas qu'une machine pensante. Or, tous les intégrismes imposent un ordre qu'ils veulent immuable, oubliant ainsi que la religion interprétée à la lettre n'enseigne que des vérités superficielles, sources de bien des drames. La véritable spiritualité est une recherche permanente de la réalité du message pour savourer, dans le partage, la richesse de la Vie et le flux Divin qu'elle porte en elle.

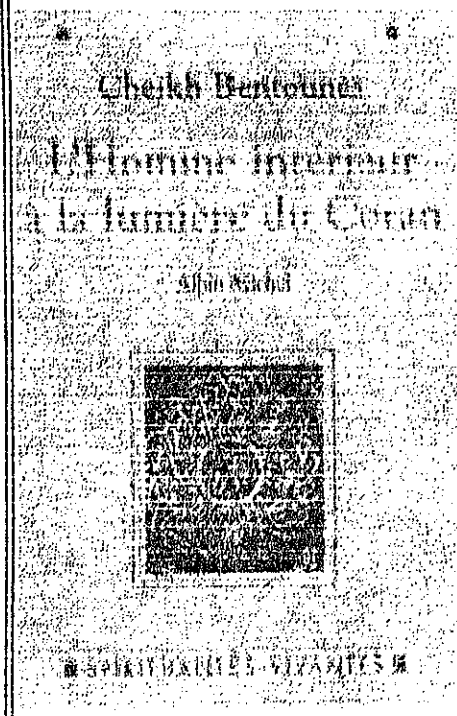

شكل 21

Le choeur des prophètes

Écrivain, poète et fondateur de journaux, le Cheikh `Adda Bentounès *(1898-1952)* fut l'élève du Cheikh El-Alawî *(1869-1934)*, grand réformateur de l'Islam. Il lui succéda à la tête de la confrérie soufie (Tariqa) de Mostaganem en Algérie et fonda, en *1948*, une des premières associations de dialogue interreligieux, *Les Amis de l'Islam*. Cet ouvrage regroupe deux recueils de paroles rassemblées par des disciples européens : le premier, Ainsi a *parlé le Cheikh Sidi 'Adda Bentounès*, *nous* initie à son enseignement émaillé de contes et d'histoires traditionnelles, y compris bouddhistes. Le second, *Jésus, âme de Dieu*, témoigne de la place essentielle qu'occupent les figures de Jésus et de Moïse dans la tradition coranique et soufie.

LE CHŒUR DES PROPHÈTES

Enseignements soufis du Cheikh 'Adda Bentounès

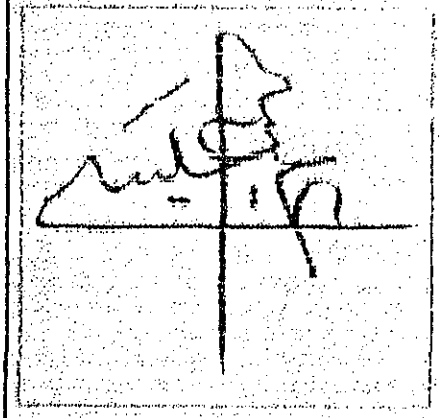

نغمة الأنبياء

تحقيق وتقديم خالد عدلان بن تونس
للكتابين باللغة الفرنسية :

1) فكلاهما حدثني لشيخ عدة بن تونس
للمؤلف ليون لوجلي .

2) عيسى روح الله للفرنسي عبد الله
رضا .
وهما كتابان
تبنا ولان جملة من التعاليم
الصوفية و بيوكيفية في طريق الله،

وحقيقة السيد المسيح عيسى
بن مريم عليه السلام.

شكل 22

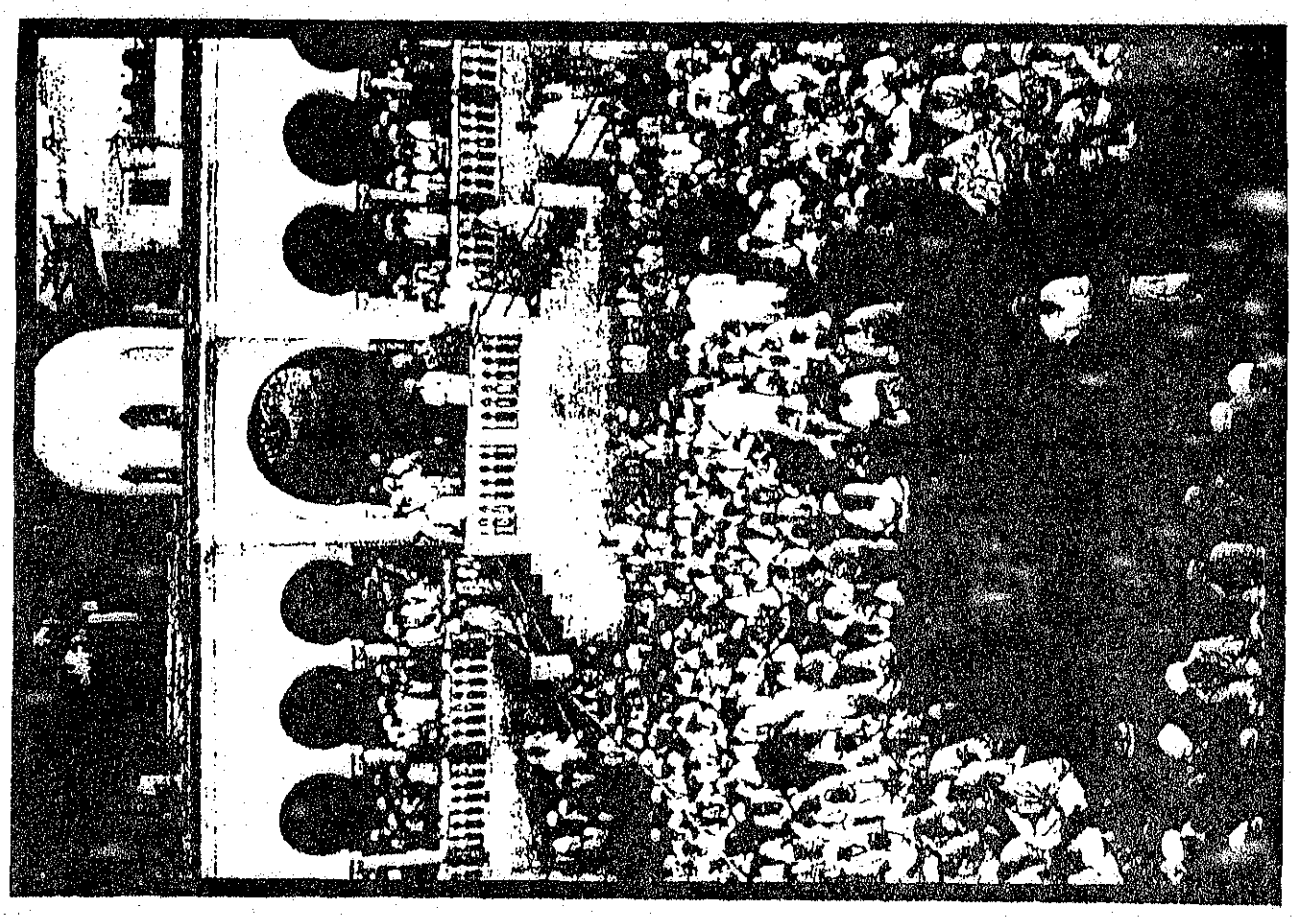

صورة لجلسة الاحتفال بـ (ساحة الزاوية)

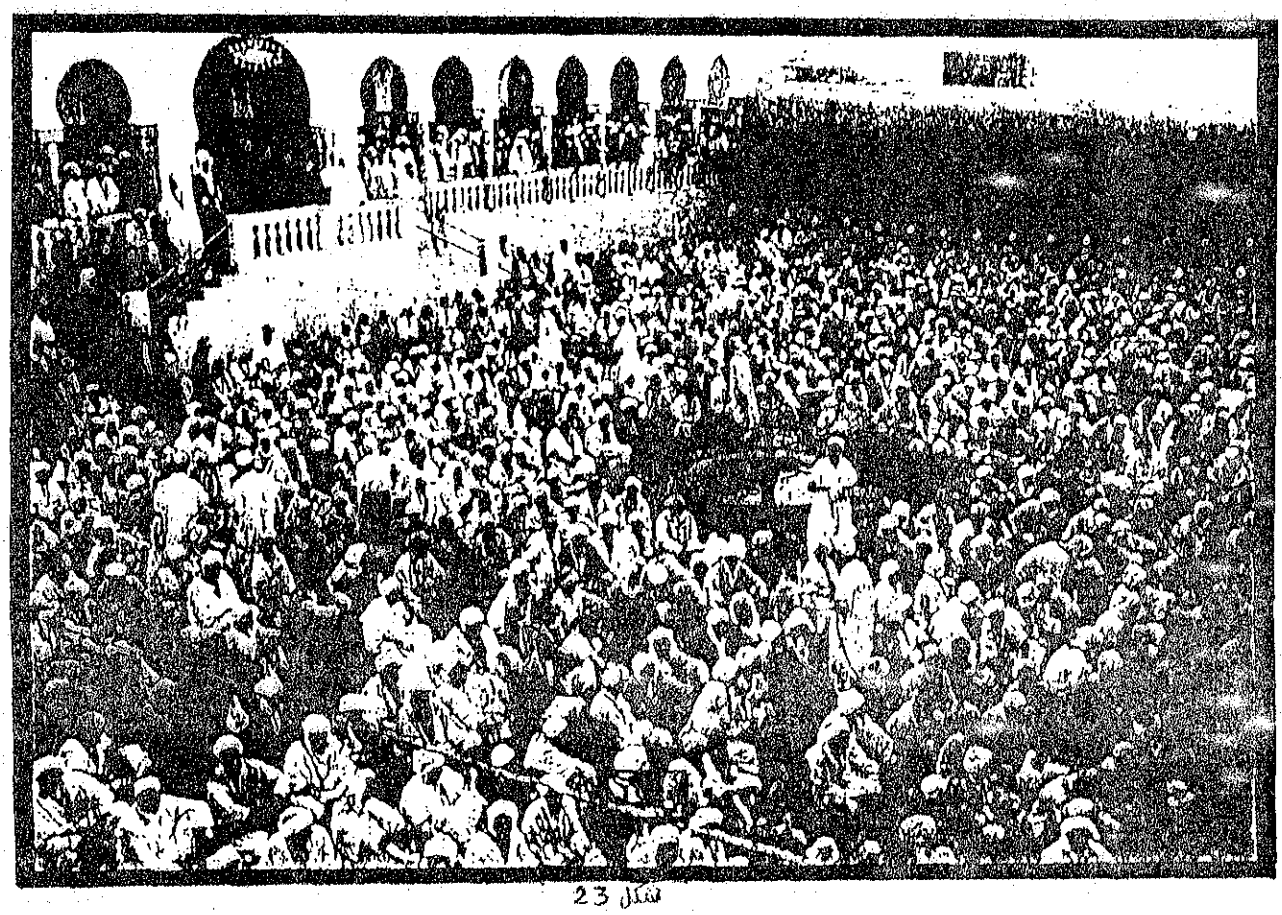

شكل 23

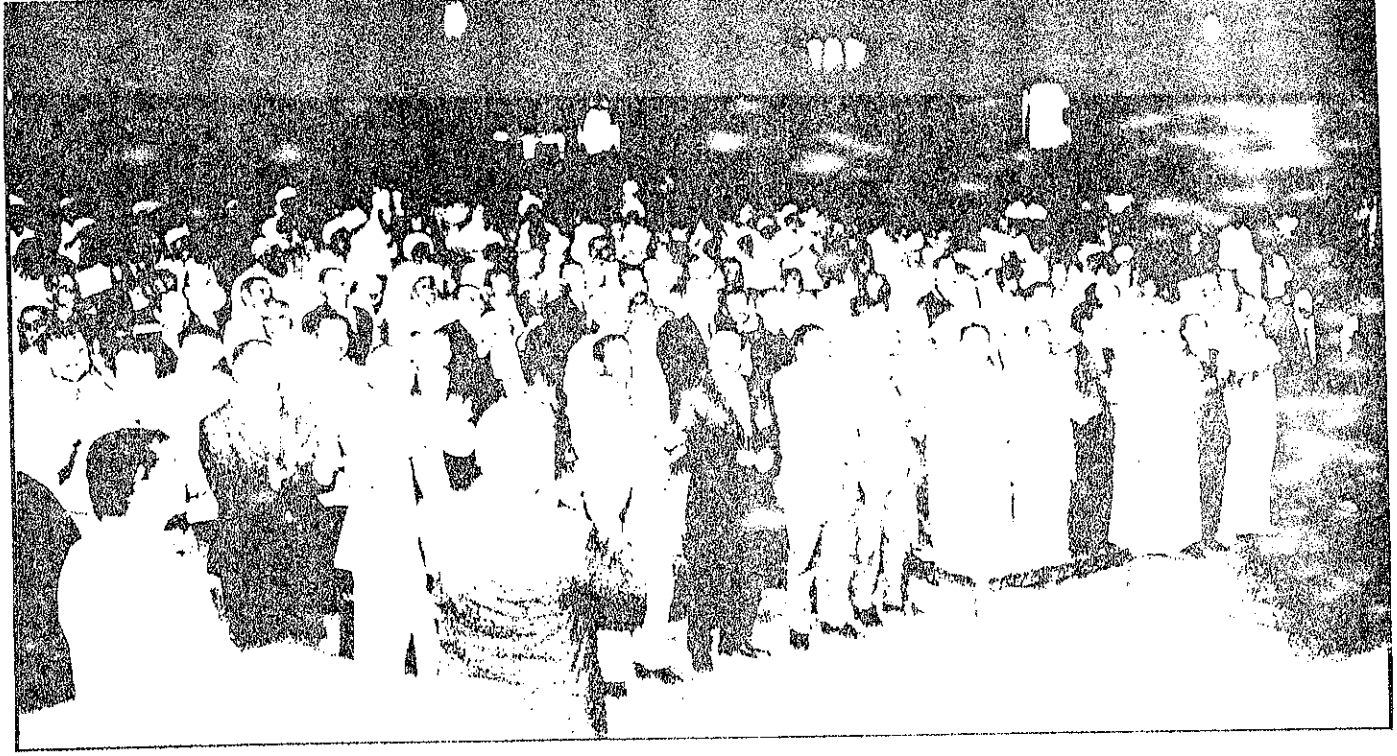

حلقة من الحضور للقاءة الرابعة لدليل الثقافة
(مع أشغال ملتقى الذكرى العاشرة لتأسيس الجمعية
المنعقد أيام 16 - 17 - 18/10/2001 بقصر
الثقافة بمستغانم)

الحفل الفني بالزاوية العلاوية بمستغانم
(بعد أشغال الملتقى الدولي)

شكل 24

الأول على اليمين الأستاذ عبد الوهاب حمودة و الثاني الأستاذ يونس إيريك جوفروا
(من أشغال ملتقى الذكرى العاشرة لتأسيس الجمعية - المنعقد
أيام 16 - 17 - 18/10/2001 بدار الثقافة بمستغانم)

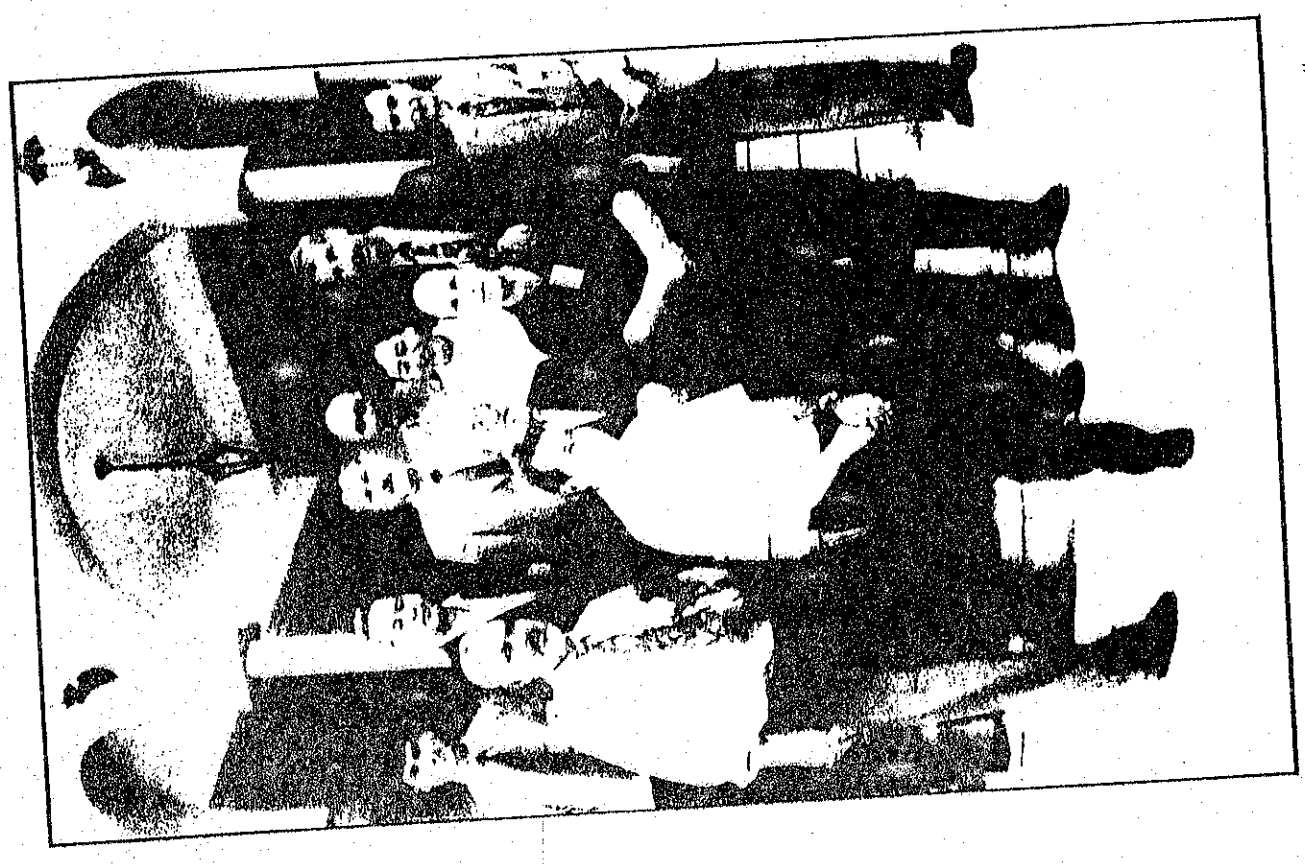

من اليمين إلى اليسار الأساتذة نصر الدين موهوب، عبد الوهاب حمودة، المشيرة
خالد بن تونس، يحي بعيطيش، حمزة بدوغي، حبيبي حبيبي، عدة بن تونس

شكل 25

الفـــهـــرس

المقـدمـة العـامـة :

- التعريف بالموضوع 01
- الإشكالية 04
- الفرضيات 06
- دواعي إختيار الموضوع 07
- المنهجية و فصول الدراسة 08
- العينة المدروسة 11

الـفـصـل الأول : التـصـوف و الـطـرق الـصـوفـيـة

المبحث الأول : التعريف بالتصوف 13

- مفهوم التصوف في الإسلام 14
- التربية الروحية و النفس البشرية 20
- المقامات و الأحوال عند الصوفية 23
- الكرامات عند الصوفية 25

المبحث الثاني : تاريخ الحركة الصوفية في المغرب العربي 34

- الطرق الصوفية في المغرب العربي 35

الـفـصـل الـثـانـي : الزاويـة العلاويـة و مؤسسهـا الشيـخ العـلاوي

المبحث الأول : الشيخ العلاوي و إسهاماته في مجالي العلم و المعرفة 45

الشيخ العلاوي مؤسس الطريقة العلاوية

- إسهاماته في مجالي العلم و المعرفة 52

المبحث الثاني : الزاوية العلاوية و تأسيسها 62

- الطريقة الشاذلية كمرجعية تاريخية للطريقة العلاوية 62

- التعريف بالزاوية العلاوية 67
- الدلالة الرمزية للموقع الجغرافي للزاوية العلاوية 70
- إنشاء و بناء الزاوية العلاوية 71
- دورها الثقافي و الإجتماعي و التربوي 74

الفصل الثالث : الطقوس الدينية و نظام التفاعل داخل للزاوية العلاوية

المبحث الأول : الطقوس الدينية ، وظيفتها و ديناميكيتها 82
الطقوس الدينية داخل الزاوية العلاوية 88
- حلقة الذكر 89
- حلقة السماع 95
- الحضرة 100
- الخلوة 104
- الاحتفالات السنوية 108

المبحث الثاني : نظام التفاعلات داخل الزاوية العلاوية 113
- ديناميكية الجماعة 113
- نسق القرابة 116
- السلطة الدينية 119
- نظام الإتصال 120
- علاقة الشيخ بالمريد 121

الفصل الرابع : إنتشار الزاوية العلاوية و تواصلها الثقافي مع المحيط الثقافي الأوربي

المبحث الأول : إنتشارها في المحيط الثقافي الأوربي 133
- الشخصيات الأوربية التي كانت لها علاقة بالزاوية العلاوية 133

المبحث الثاني : الزاوية العلاوية و التواصل الثقافي مع المجتمعات الأوربية 139
- الشيخ العلاوي 142
- الشيخ عدة بن تونس 145

- الشيخ الحاج المهدي بن تونس 147
- الشيخ خالد بن تونس 148
- الإنسان الكوني أو البعد الإنساني للتواصل بين الثقافات 152

الخـــاتمـــة 156

المـــراجـــع : باللغة العربية 161
باللغة الفرنسية 165
الجرائد و المجلات و الملتقيات و المذكرات 167
المقابلات التي أجريتها 169

المـــلاحـــق : 171

الـفـهـــرس : 197